تاريخ شيعة لبنان

من الماضي الغامض إلى المستقبل المجهول

الجزء الأوّل

من النّشأة حتّى عام ١٩٥٩



Bundesamt für
Auswärtige Angelegenheiten

German Federal Foreign Office



تاريخ شيعة لبنان

من الماضي الغامض إلى المستقبل المجهول

الجزء الأول

من النشأة حتى عام ١٩٥٩

بحث: **محمد منذر**

تحرير: **سوسن أبوظهر**

تنسيق أبحاث: **محمود حمادي**

مراجعة وتوثيق: **عباس هدلا**

إشراف عام: **مونيكا بورغمان، علي منصور**



Bundesamt für
Auswärtige Angelegenheiten

German Federal Foreign Office

أمم للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

A Cross Section of a History
The Shia Community in Lebanon

تواريخُ مُتَقاطعَة
حِصّة الشيعة منها فَي لبنان

مـن بـاب حفـظ الذاكـرة اللبنانيـة، باشـرت أمـم للتوثيـق والأبحـاث، من بـاب فهـم الواقـع اللبناني بحالاتـه وشـجونه الآنيـة، الإبحـار فـي تاريـخ أمواجـه المتمثلـة بطوائفه، وقـراءة سـردية كل طائفة، مـن تأسيسـها إلـى مسـيرتها فـي التاريـخ الزمنـي اللبنانـي، والتمعـن فـي إنجازاتهـا وإخفاقاتهـا، رؤيتهـا، جغرافيتهـا، ديموغرافيتهـا، أيديولوجيتهـا، وتاريـخ وقائعهـا، مـن خـلال مـا تيسـر مـن مصـادر مفتوحـة، تُظهـر وجهَهـا بمختلـف تعابيـره بطريقـة متجـردة بعيدة عـن الغلـو أو التفخيم.

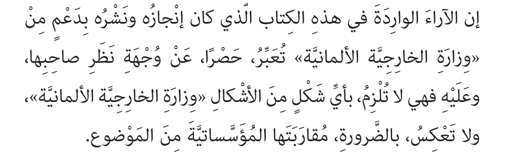
لعـل الدخـول فـي هـذه السـرديات يسـاهم فـي معرفـة وقائـع الأمـور ويعطـي فكـرة عـن الدوافع التـي أودَت فيمـا أودت إلـى الواقـع الحالـي، ومـن خـلال مـا سـينتج مـن هـذا المشـروع، يمكـن التعمـق بالرؤيـا التـي يمكـن السـير بهـا لبنـاء مسـتقبل جديـد لهـذا الوطـن، مبنـي علـى التعلـم والاتعـاظ مـن تجـارب الماضـي لبنـاء المسـتقبل المشـرق، ومعالجـة الواقـع الحالـي بكوارثـه ومآسـيه...

سـيرًا علـى خطـى مشـاريع أخـرى تجمـع بيـن همـوم «الماضـي» وإلحاحـات «الحاضـر»، يسـعى مشـروع «تواريـخُ مُتَقاطِعَـة - حِصّـة الشـيعة منهـا فـي لبنـان»، الـذي تنفـذه أمـم إلـى التوقـف عنـد مسـألة «تاريـخ الطوائـف» بوصفهـا شـأنًا يحكـم علـى علاقـات اللبنانييـن بعضهـم ببعـض مقـدار مـا يحكـم علـى مـا بينهـم وبيـن «آخريـن».



بيروت، ٢٠٢٣
هاتف: ٥٥٣٦٠٤ ١ ٩٦١ +
صندوق بريد: ٢٥ ـ ٥ الغبيري، بيروت ـ لبنان
www.umam-dr.org I www.memoryatwork.org





فهرس

مقدمة	١١
الفصل الأول: الشيعةُ لغةً واصطلاحًا وفِرقًا	
١) في معنى كلمتَـي الشّيعة والإمام لغةً واصطلاحًا	١٧
أ- الشّيعة	١٧
ب- الإمام	٢٠
٢) الفِـرقُ الشِّيعيَّة	٢٢
أ- الاثنا عشريَّة	٢٣
ب- الإسماعيليَّة	٢٥
ج- النّصيريَّة	٢٧
الفصل الثاني: شيعةُ لبنان من زمنِ الفـتوحاتِ حتى العصْر المَملوكي	
تـمهيد	٣٥
١) معضلةُ دخول التّشَـيُّع إلى لبنان (شيعة لبنان قبل القرن العاشر)	٣٦
٢) العصْر الذهبي للتّشَيُّع (شيعة لبنان بعد القرن العاشر)	٤٠

أ- طرابلس ٤١
ب- صور ٤٥
ج- صيدا ٤٦
د- جبلُ عامل ٤٨
ه- جزين ٤٩
و- بعلبك ٥٠

الفصل الثّالث: شيعةُ لبنان في العصْر المَـملوكي

تمهيد ٥٩
١) الواقع الشيعي في ظلِّ حكم المماليك ٦٠
٢) الحمـلات على كـسروان ٦٢
أ- الحملة الأولى ٦٢
ب- الحملة الثانية ٦٢
ج- الحملة الثالثة ٦٤
د- الحملة الرّابعة (الفـتوح) ٦٤
٣) هويَّة المستهدَفين من الحملات ٦٦
٤) نتائج الحمَلات على كسروان ٦٩
٥) الشهيد الأول ومشروع استنهاض الطائفة ٧٠
٦) مقتل الشّهيد الأول ٧٢
٧) الشّيعة في عصر المماليك البُرجيَّة ٧٢
٨) بزوغ نجم آلِ بشارة ٧٣

الفصل الرّابع: شيعة لبنان في العصْر العثماني حتى مرحلة القائمقاميّتَين

تمهيد ٨١
١) جبل عامل ٨٣

أ- الشهيد الثاني فقيه الحياد ٨٣
ب- الأُسَر الإقطاعيَّة والالتزام ٨٥
ج- جبلُ عامل في العهدَين المعني والشّهابي ٨٧
د- جبلُ عامل تحت الحُكم المصري ٩٤

٢) جـبلُ لبنان ٩٥
أ- الأُسَر الحمّاديَّة والالتـزام ٩٦
ب- جبلُ لبنان في العهدَين المعني والشّهابي ٩٧
ج- جبلُ لبنان تحت الحُكم المصري ١٠١

٣) بعلبك والبقاع ١٠٣
أ- الحرافشة مع الباشوات والملتزمين في العهدَين المعني والشّهابي: التزامات وصدامات ١٠٥
ب- التنافس بين الأمراءِ الحرافشة في العهدَين المعني والشّهابي ١١٠
ج- بعلبك والبقاع تحت الحُكم المصري ١١١
د- أُفول نجم الإمارة الحرفوشيَّة ١١٢

الفصل الخامس: من القائمقاميّتَين والمتصرفيَّة إلى لبنان الكبير
١) الفتنة الطائفيَّة الأولى ومشاركة الحرافشة فيها ١٢٣
٢) واقع جبل لبنان السياسي في مرحلتي القائمقاميّتَين والمتصرفيَّة ١٢٤
أ- الواقع الإداري والتمثيل الشيعي في القائمقاميّتَين ١٢٦
ب- الفتنة الطائفيَّة الثانية ودور الشيعة فيها ١٢٧
ج- واقع جبل لبنان في ظلال نظام المتصرفيَّة (١٨٦١-١٩١٨) ١٢٩
د- تمثيل الشيعة في نظام المتصرفيَّة ١٣١
هـ- استمرار الزعامات التقليديَّة ١٣٤

٣) واقع جبل عامل السياسي	١٣٦
أ- الواقع الإداري	١٣٦
ب- استمرار الزعامات التقليديَّة	١٣٧
ج- ظهور وُجهاء وأعيان جُدد	١٤١
د- النزعة القوميَّة والحرب العالميَّة الأولى	١٤٤
٤) واقع البقاع - بعلبك السياسي	١٤٨
أ- زوال سلطة الحرافشة والحكم العثماني المباشر	١٤٨
ب- الواقع الإداري	١٤٩
ج- صِدام حمادي ـ حرفوشي زمن المتصرفيَّة	١٤٩
د- بدايات العمل الحزبي والنزعة القوميَّة	١٥٠
٥) فيصل وموقف النُّخَب الشيعيَّة منه	١٥٢
٦) من فيصل إلى إعلان دولة لبنان الكبير	١٥٤
أ- لجنة كينغ ـ كراين	١٥٦
ب- اجتماع الناصريَّة والحملة الفرنسيَّة على بعلبك	١٥٧
ج- مؤتمر وادي الحجير (٢٤ نيسان ١٩٢٠)	١٥٨
د- الوفد العاملي عند فيصل	١٦٠
هـ- حملة الكولونيل نيجر	١٦٠
و- اجتماع المطلّة	١٦٢
٧) إعلان دولة لبنان الكبير	١٦٢
٨) نهاية العصابات المسلّحة	١٦٣
٩) الشيعة بين الكيان اللبناني والمشروع الوحدوي العربي	١٦٤

الفصل السادس: من لبنان الكبير إلى الاستقلال والجلاء

١) نسبة السكان الشيعة في البلد الوليد	١٨٠
٢) شيعة لبنان بين الانتداب والثورة السوريَّة الكبرى	١٨٠

٣) إعلان الجمهوريَّة ودستور ١٩٢٦ والاعتراف ١٨٤
٤) مؤتمرات الساحل والأقضية الأربعة ١٨٦
٥) احتكار التبغ والمقعد النيابي الشاغر ١٨٩
٦) آخر المؤتمرات الوحدويَّة ١٩١
٧) المعاهدة اللبنانيَّة الفرنسيَّة ١٩٢
٨) نشأة الأحزاب السياسيَّة ١٩٤
٩) المطالبة بالمساواة في الحقوق ١٩٦
١٠) اندلاع الحرب العالميَّة الثانية ١٩٩
١١) الاستقلال والجلاء ٢٠٠
١٢) الفقهاء الشيعة يدخلون المؤسسات العامة ٢٠٥

الفصل السابع: واقع شيعة لبنان من الاستقلال حتى مجيء الصدر

١) الدستور ـ الميثاق ـ الصيغة ٢١٤
٢) الأحزاب الشيعيَّة، البداية والنهاية ٢١٧
٣) العودة إلى الأحزاب السياسيَّة ٢١٩
٤) استمرار المطالبة بالمساواة في الحقوق ٢٢٠
٥) أزمة ١٩٥٢ واستقالة بشارة الخوري ٢٢٢
٦) أزمات العهد الشمعوني وأحداث ١٩٥٨ ٢٢٤
٧) مكسبان شيعيان في شؤون القضاء الجعفري ٢٣٣
٨) مجيء موسى الصدر إلى لبنان ٢٣٤
٩) الصدر وشهاب: الوفاق والتعاون ٢٣٧

الفصل الثامن: الشيعة في المؤسّستَيْن التشريعيَّة والتنفيذيَّة مِن الانتداب حتى مجيء الصدر

١) النواب ٢٤٨
٢) رؤساء المجلس النيابي ٢٥٢
٣) الوزراء ٢٥٤

٤) تراجم النخب السياسيَّة ٢٥٥

خلاصة ٢٦٧

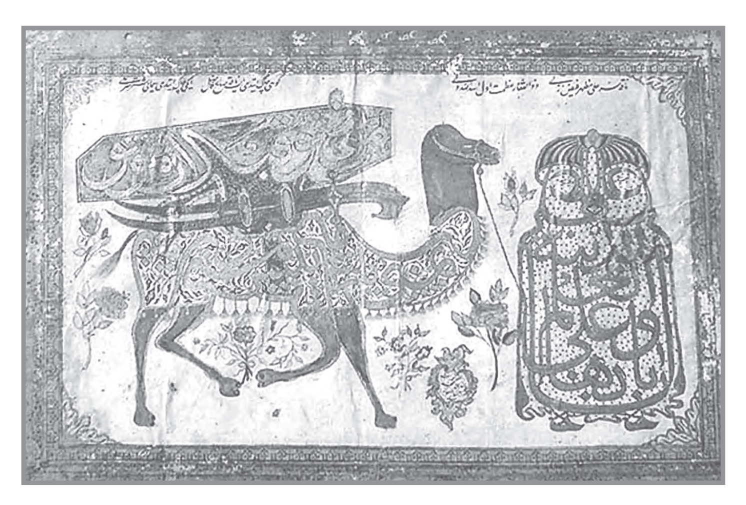
خاتمة ٢٧١

مصادر البحث ومراجـعه ٢٧٣

مصادر الصور ومراجعها ٢٩١

مقدمة

حمَل القرنُ السابع الميلادي تمدّد الإسلام من شبه الجزيرة العربيَّة في مختلف الاتجاهات فكانَ أنْ دخلَ لبنان. مع الوقت بدأت تنبثق فرقٌ إسلاميَّة عديدة كان لها وجودٌ في مختلف ديار الإسلام، بينهم الشيعة الذين انقسموا أيضًا إلى فرق عديدة بينها الإماميَّة الاثنا عشريَّة. ولئن كانت أزمنة انتشار الجماعات الشيعيَّة الأولى خارج لبنان واضحةً وتملأ الكتب، فإنَّ بدايات ظهورها فيه ليست بنفس هذا الوضوح، رغم سيطرة السرديَّة التقليديَّة التي تُرجِعها إلى حقبة وصول الصحابي أبي ذر الغفاري إليه. في المقابل، حملَ القرن العاشر معه وضوحًا أكبر في ظهور التجمّعات السكانيَّة الشيعيَّة الكبرى في مدينتَي طرابلس وصور ومحيطهما مع استقلاليَّة في الحكم خلال فترات زمنيَّة محدّدة، وكذلك في البقاع وبعلبك وجزين وجبل لبنان. حمل القرنان الثاني عشر والثالث عشر تحوّلات بارزة بخصوص الجغرافيا السكانية الشيعيّة، فكان هؤلاء عرضة لتهجيرَين على التوالي، أولٌ على يد الصليبيّين، ثم ثانٍ على يد المماليك. أمّا القرن الرابع عشر فشهد نكبتين للشيعة، أولى من خلال تهجيرهم من جبال كسروان، وأخرى من خلال مقتل الشهيد الأول الجزيني. في العصر العثماني كان الشيعة يتمركزون بشكل أساسي في ثلاث جغرافيات: جبل عامل،



الإمام علي وجمل يحمل ذا الفقار، عمل من أواخر الفترة العثمانيَّة موجود في متحف تركي

البقاع، وجبل لبنان. وقد حكمت في هذه المناطق أُسرٌ إقطاعية شيعيّة معيّنة من السلطنة كانت تدخل في صراعات في ما بينها، ومع الملتزمين الآخرين من الطوائف الأخرى مع ما يستدعي ذلك من دخول عثماني على الخط. واستمرّ الوضع على حالٍ من المدّ والجزر في مناطق مختلفة وحقبات متعددة وصولًا إلى القرن الثامن عشر الذي طبعته هزيمة للشيعة في مختلف مناطق لبنان.

مع الحكم المصري للبلاد (١٨٣٠-١٨٤٠)، وجدَ الشيعة أنفسهم مضطرّين للتموضع في الخندق العثماني لأسبابٍ متعدّدة. ومع رحيل المصريّين عن البلاد، كانوا يُمنون النفسَ بالعودةِ إلى واقعِ ما قبل القرن الثامن عشر كمكافأة لهم، وإذ بهم يصطدمون بعواملَ واقعيَّة عديدة كانت عائقًا أمام طموحاتهم، منها ما كان قانونيًّا نتيجة التنظيماتِ التي اعتمدَها العثمانيّون لتحديثِ الدولةِ وتلبيةً لشروطِ الغربِ الذي ساندَهم في حروبهم مع روسيا.

وهكذا، وانطلاقًا مِن منتصف القرن التاسع عشر، باتَ شيعةُ لبنان مقسَّمين إداريًّا بين قائمقاميّتَيْن، ثمَّ متصرفيَّة في جبل لبنان، ونظامٍ

التزامــي تقليــدي، ولكــن مــع بعــضِ المَركــزةِ والتحديثــات فــي جبــل عامــل، إضافــة إلــى حُكــمٍ عثمانــي مباشــر فــي بعلبــك مــع تفكيــكِ ســلطة الحرافشــةِ وإلغــاءِ الإمــارةِ هنــاك وتحويلهــا إلــى لــواء. وبذلــك خســرت الأُســر الشــيعيّة الحاكمــة كثيــرًا مــن امتيازاتهــا، وخســرت مناطقهــم شــيئًا مــن اســتقلاليتها.

بعـد انسـحاب العثمانيّيـن (١٩١٨) وسـقوطِ البـلاد تحـت الانتـدابِ الفرنسـي (١٩٢٠)، وإعـلانِ دولـةِ لبنـانَ الكبيـر دخـل الشـيعة إليـه كطائفـة أساسـيَّة بعـد ضـمِّ جغرافيّـاتٍ عديـدة إلـى المتصرفيَّـة، ونالـوا عـام ١٩٢٦ اعترافًـا رسـميًّا افتقـدوه عبـر تاريخهـم. ومنـذ انضمامِهـم إلـى الدولـةِ الناشـئة، ومـع اختلافِهـم فـي الموقـفِ تجاههـا بدايـةً، وحتـى نهايـةِ العقـدِ الخامـسِ مـن القـرن العشـرين، مـرَّ الشـيعةُ فـي لبنـان بمخاضـاتٍ سياسـيَّةٍ عديـدة، منهـا مـا هـو محلـيٌّ بحـتٌّ، ومنهـا مـا هـو مرتبـطٌ بالواقـع الإقليمـي.

مـع الوقـتِ، كانـت السـيرورةُ السياسـيَّةُ[I] الطبيعيَّـة لحركتِهـم الاجتماعيَّـة السياسـيَّة تسـيرُ بالطائفـةِ نحـو نضـوجِ الفرصـةِ المناسـبة للتحـوّل السياسـي، فـكان مجــيء موســى الصــدر عــام ١٩٥٩ الــذي لــم يكــن مســتقلًّا عــن الوضعيــن المحلّــي والإقليمــي وتعقيداتهمــا. ومــن أجــل الإضــاءة علــى مــا ذُكِــر كان هــذا البحــث.

بخصـوصِ إطـار البحـث الزمنـي، فهـو يشـملُ الفتـرة الممتـدة مِـن الفتـح العربــي الإســلامي للمنطقــة فــي القــرنِ الســابع الميــلادي وصــولًا حتــى نهايـة العقـدِ الخامـسِ مـن القـرن العشـرين، مـرورًا بمرحلـة القائمقاميّتَيْـن والانتــداب الفرنســي ثــمّ الاســتقلال.

(I) السيرورة السياسيَّة: هي مقاربةٌ لحركةٍ اجتماعيَّة تقول إنَّ نجاحها أو فشلها يتأثرُ بالفُرصِ السياسيَّة.

وقد واجهنا خلال هذا البحث صعوباتٍ عديدة، منها مصدريَّةٌ ومرجعيَّةٌ بما يتعلقُ بتحيزاتٍ متنوّعةِ الحيثيّاتِ عند قسمٍ من الكُتّاب، ومنها عَرضيَّةٌ تقنيَّةٌ تتعلّقُ بالوضعِ العام السيّء في لبنان وانعكاسِ ذلك على موضوعِ الكهرباءِ وخدماتِ الإنترنت، وغير ذلك. تجاوزنا الأولى من خلالِ تجنُّبِ الاعتماد على النصوصِ التي يظهرُ منها أحكامٌ أو مواقف، وأمّا الثانيةُ فلم يكُن لنا تجاهها حولٌ ولا قوة.

في هذه الدراسة اتّبعنا أساسًا المنهجَ التاريخيَّ القائم على سردِ الأحداثِ المرتبطةِ بالموضوع، ومتابعةِ كيفيَّةِ تطوِّرها وتأثيراتِها عليهِ عبر المراحل الزمنيَّة. كما استخدمنا، وبحالاتٍ عَرَضيَّة، المنهجَ الوصفيَّ الذي يعتمدُ توصيفَ الظواهرِ بأسلوبٍ أفقي خلالَ نفسِ المرحلة، والمنهجَ المقارِنَ الذي يعتمدُ المقارناتِ عبر الأزمنةِ والأمكنة. وكان ذلك بالاستنادِ على المصادرِ المعاصرةِ للأحداثِ وعلى المؤلَّفاتِ المتأخرةِ في مختلفِ المجالاتِ السياسيَّةِ والثقافيَّةِ والاجتماعيَّةِ والاقتصاديَّةِ وغيرها.

توزّعَ البحثُ على مقدّمة وثمانية فصول وخلاصة وخاتمة. تناول الفصل الأوّل بعضَ تعريفاتِ المفاهيم ذاتِ الارتباطِ الوثيقِ بالبحثِ. وعَرَض الثاني لواقعِ الشّيعةِ في لبنانَ منذُ زمن الفتوحاتِ حتى العصر المملوكي في القرن الثالث عشر. وتضمّنَ الثّالث دراسةَ أحوالِهم في العصرِ المملوكيِّ. بينما قدّم الرّابع واقعَهم في ظلِّ العثمانيين، انطلاقًا من القرن السّادس عشر وصولًا حتى القائمقاميّتَيْن منتصف القرن التاسع عشر. تطرّق الفصل الخامس إلى واقعِ شيعةِ لبنانَ من مرحلتَي القائمقاميّتَيْن والمتصرفيَّة حتى إعلانِ لبنان الكبير. واستعرض السادس حالَهم حتى الاستقلالِ والجلاء. وتناول السابع واقعهم بعدَ ذلك حتّى مجيء موسى الصدر. وأمّا الفصل الثامن والأخير فسلَّطَ الضَوء على نُخَبِهم في المؤسّستَيْن التشريعيَّةِ والتنفيذيَّة منْ مرحلةِ الانتدابِ حتى نهايةِ مرحلةِ البحث، زمن مجيء الصدر.

الفصل الأول

الشيعةُ لغةً واصطلاحًا وفِرقًا

١) في معنى كلـمتَي الشّيعة والإمام، لغةً واصطلاحًا

أ- الشّيعة

لغـــةً: كلمــةُ الشّــيعة تأتــي بمعنــى الأنصــارِ والأتبــاعِ والمُواليــن المحازِبيـن، ومـا يرتبـطُ بذلـك مـن معـانٍ. وهـذا المعنـى يظهـرُ بوضوحٍ فـي معاجـم اللّغـةِ العربيَّـة، وفـي القـرآن الكريـم. ففـي **لسـان العـرب**، «الشّـيعة: القـوم الذيـن يجتمعـون علـى الأمـر. وكلُّ قـومٍ اجتمعـوا علـى أمـرٍ، فهـم شِـيعة. وكلُّ قـومٍ أمرُهـم واحـدٌ يتبـعُ بعضُهـم رأيَ بعـضٍ، فهـم شِـيَع».[١] وفـي **العيـن**، «شـيعة الرّجـل: أصحابُـه وأتباعُـه. وكلُّ قـومٍ اجتمعـوا علـى أمـرٍ فهـم شـيعة».[٢] وقـد وردت الكلمـةُ فـي **القـرآن** بهـذا المعنـى أو قريـب منـه: ﴿وإِنَّ مِـنْ شِـيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيـم﴾،[٣] ﴿فَاسْتَـغَاثَهُ الَّـذِي مِـنْ شِـيعَتِهِ عَلَـى الَّـذِي مِـنْ عَـدُوِّه﴾.[٤]

بهــذا يظهــرُ أنَّ مدلــولَ الكلمــةِ لغويًّــا يــدورُ حــولَ مفهــومِ الأنصــار والأتبــاع والمواليــن والمحازِبيــن.

أمّـا **اصطلاحًـا**: نجـدُ أنَّ هـذا المدلـولَ تطـوّرَ وطـرأَ عليـه تَـقييدٌ وتأطيـرٌ أخرجَـه عـن عمومـه. فقـد كان المصطلـحُ يُسـتخدم لمَـن شـايعوا عَلِـيًّا



علي والحسن والحسين في لوحة زيتيَّة على القماش

علـى خصومِـه، بمـا يَحويـه ذلـك مـن دلالـةٍ سياسـيَّةٍ وحزبيَّـةٍ، إلا أنَّـه بمـرورِ الزّمـن بـات يُطلـقُ علـى مصاديـقَ[I] أخـرى، حتـى غلـب لاحقًـا فـي العصـر العبّاسـي علـى مَـن يُفضِّلـون عَلِـيًّا وأبنـاءه علـى باقـي المسـلمين بعـد النّبـي محمـد، ويعتــقدون بأحَقّيتِهـم فـي الإمامـةِ بدليلِ النـصِّ[II] والوصيَّـةِ[III]، ويؤمنـون بعِصمَتِهـم... إلـخ. فباتـت هـذه الكلمـةُ سِـمَةً لهـم.

قـال زيـن الدّيـن الجُبعـي العاملـي، المشـهورُ بالشّـهيد الثّانـي: «الشّـيعةُ مَـن شـايع عَلِـيًّا، أيِ اتَّـبعه وقدّمـه علـى غيـره فـي الإمامـة وإنْ لـم يُوافـقْ علـى إمامـةِ باقـي الأئمـة، فيدخـلُ فيهـم الإماميَّـةُ

(I) المصداق: ما ينطبق عليه المفهوم، أو حقيقة الشيء الذي تُنتزَع منه الصورة الذهنيَّة.

(II) أي أنَّهم محدّدون برواية في كتب الحديث عن النبي أو أحد الأئمة.

(III) أنْ يوصي النبي إلى الإمام، والإمام إلى الإمام الذي بعده.

والجاروديَّـةُ مـن الزيديَّـةِ والإسـماعيليَّةِ، غيـرِ الملاحـدةِ[I] منهـم، والواقفيَّـة والفطحيَّـة».[II] ولـدى الشهرستاني[III]: «الشّيعةُ هـم الذيـن شـايَعوا عَلِـيًّا علـى الخصـوص وقالـوا بإمامتِـه وخِلافتِـه نصًّـا ووصيَّـةً، إما جَليًّـا وإمـا خفيًّـا،[IV] واعتقـدوا أنَّ الإمامـةَ لا تخـرجُ مـن أولاده».[٥] وهـذا التعريـف قـد تكلّـم عـنِ الجانـبِ الخفـيِّ فـي النّـصِ، وهـو بأحـدِ أوجهـهِ قـد لازمَ إمامـةَ بعـضِ أئمـةِ الشـيعةِ، وبوجـهٍ آخـر أشـارَ إلـى تأويـلاتِ بعـضِ النصـوصِ التـي نقلَهـا وتبنّاهـا غيـرُ الشّـيعةِ ولـم يُنكِروهـا، علـى حـدِّ قـولِ شـيخِ الطائفـةِ عنـدَ الشـيعةِ أبـي جعفـر الطّوسـي (توفـي ١٠٦٧).[٦] وقـال ابـن حـزم[V]: «ومـن وافـقَ الشّـيعةَ أنَّ عَلِـيًّا أفضـلُ النـاس بعـد رسـولِ اللـه وأحقّهـم بالإمامـة وولـده مـن بعـدهِ، فهـو شـيعيٌّ، وإنْ خالفَهـم فيمـا عـدا ذلـك».[٧]

علـى أنَّ المُتـتبّع للتّـراثِ الإسـلامي يـرى أنَّ مفهـومَ الشّـيعةِ قـد مـرَّ بمراحـلَ تطوريَّـة ذات معـانٍ عديـدةٍ مختلفـةٍ باختـلافِ الزمـانِ والواقـع. ومـع تَـفرُّق الشّـيعةِ إلـى جماعـاتٍ مختلفـةٍ فـي ما بينهـا ـ بنـاءً علـى مـا تـبنَّـته كلُّ واحـدةٍ مـن مفاهيـمَ واعتقـاداتٍ وأصـول ـ

(I) الملاحدة من الإسماعيليَّة هم القائلون بالتناسخ والحلول. انظر/ي: الشهيد الثاني، **شرح اللمعة**، منشورات انتشارات داوري، قم ١٤١٠ هـ، ج٣، ص ١٨٢.

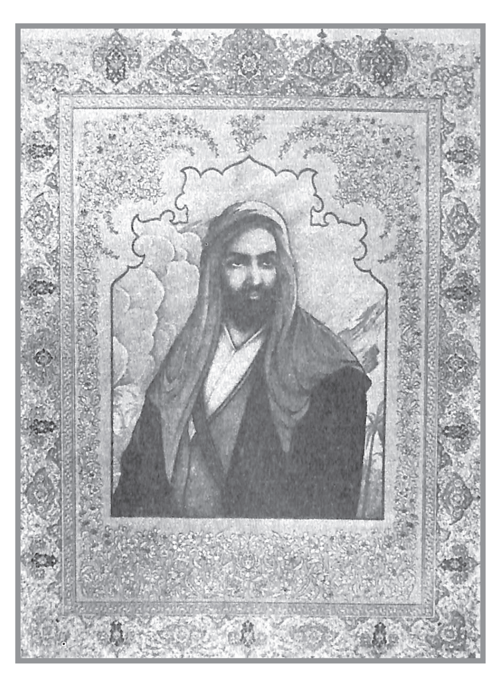
(II) زين الدين بن علي، **الروضة البهيَّة في شرح اللمعة الدمشقيَّة**، ج٣، ص ١٨٢. وفي كتاب **فرق الشيعة** للحسن بن موسى النوبختي، ص ٥١ و٦٥ و٦٨: «إنَّ الجاروديَّة تقول بإمامة زيد بن علي بن الحسين بعد أبيه، وكان يتـزعّمها زياد بن المنذر الهمداني المعروف بأبي جارود، وأنَّ الواقفيَّة أو الواقفة وقفوا على الإمام موسى بن جعفر ولم يأتمّوا بعده، والفطحيَّة فرقة إماميَّة قالت إنَّ الإمامة بعد وفاة الصادق هي لابنه عبد الله الملقب بالأفطح».

(III) أبو الفتح، مؤرّخ وفيلسوف سُنّي أشعري، كان مقرّبًا من السلطة السلجوقيَّة، وتوفي عام ١١٥٣.

(IV) جليًّا: أي أنَّ النص والوصيَّة واضحان بديهيّان بخصوص المعنى المراد. خفيًّا: أي أنَّ النص والوصيَّة يحتاجان إلى استدلال ونظر لإدراك المعنى المراد. انظر/ي: الشريف المرتضى، **الشافي في الإمامة**، تحقيق عبد الزهراء الحسيني، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران، ١٩٨٦، ج٢، ص ٦٧.

(V) فقيه وفيلسوف ومؤرّخ سنّي أندلسي على المنهج الظاهري، عاش في القرن الحادي عشر.

صار يُـقرَنُ بتعبيـرِ الشّـيعةِ مصطلحـــاتٌ تَميـــيزيَّةٌ أخـرى، كالرافضـةِ[I] مثـلاً، ممـا كان بمثابـةِ تمهيـدٍ لانبثـاقِ الفِـرق، كمـا سـيَتّضحُ عنـد الحديـثِ عنهـا فـي مـا هـو آتٍ.



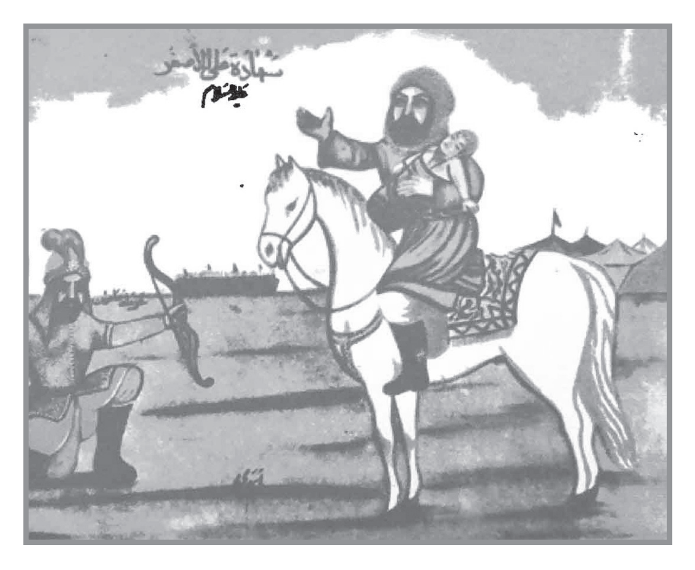
رسم شائع عن الإمام علي بن أبي طالب

ب- الإمام

لغـةً: «الإمـامُ هـو كلُّ مَـنِ ائـتمَّ بـه قـومٌ كانـوا علـى الصـراطِ المسـتقيمِ أو كانـوا ضالّيـن».[٨] وفـي **القـرآن** مـا يُوافـقُ ذلـك: ﴿وجَعَلْنَاهُـمْ أَئِمَّـةً يَدْعُـونَ إِلَـى النَّـارِ﴾،[٩] ﴿وَجَعَلْنَاهُـمْ أَئِمَّـةً يَهْـدُونَ بِأَمْرِنَـا﴾.[١٠]

أمّـا **اصطلاحًـا:** فبحسـبِ المعنـى الشـائعِ عنـد الشّـيعةِ، الإمـامُ هـو المُسـتحِقُّ للإمامـةِ أو الخلافـةِ أو الوصايـة بالنـصِّ والتّعيـين. والنـصُّ والتّعيـين للإمـام عنـد الشّـيعةِ أمـران إلَهيـان،[١١] كـون النّبي ﴿وما يَنْطِقُ

(I) أُطلق هذا الاسم على الشيعة الإماميَّة بشكل عام وعلى الاثني عشريَّة منهم بشكل خاص. ويعتبره الشيعة الاثنا عشريَّة زينًا لهم مرتبطًا برفضهم للباطل وتمسّكهم بالحق انطلاقًا من روايات وردت لديهم في هذا الخصوص. انظر/ي: محمد بن جرير الطبري (الشيعي)، **دلائل الإمامة**، مركز الطباعة والنشر مؤسسة البعثة، قُم، ط١، ١٤١٣ هـ ص ٤٧٦. وفي نفس الوقت يُطلق بعض رجالات أهل المذاهب الأخرى عليهم هذا الاسم من باب الذمّ كونهم رفضوا الخليفة الأول أبا بكر بن أبي قحافة والثاني عمر بن الخطاب. انظر/ي: أحمد بن تيميَّة، **فضل أبي بكر الصديق**، تحقيق عبد العزيز بن محمد الفريج، الناشر: مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة، مجلد ١٣، عدد ٢٢، ص ١٢٤١.



الإمام الحسين يحمل ابنه الرضيع في واقعة كربلاء للرسام الإيراني سيد عرب،
منشورة في مجلة الهلال عام ١٩٧١

عَـنِ الْهَـوَى * إِنْ هُـوَ إِلَّا وَحْـيٌ يُوحَـى﴾.(١٢) كمـا قالـوا بضـرورة أفضليَّـة كلِّ إمـام فـي عصـره علـى باقـي النـاس.(I)

والإمامـةُ بحسـب تعريـف العلّامـة الحلّـي(II) هـي «رئاسـةٌ عامّـةٌ فـي أمـورِ الدِّيـنِ والدنيـا لشـخصٍ مـن الأشـخاصِ نيابـةً عـن النبـي».(١٣) وهـي تنـطبقُ علـى أشخاصٍ مُحدَّديـن بالنّـصِ والوصيَّـة، لا بـأيِّ طريقـةٍ أخـرى.(١٤) ويقـول الفقيـه الشـيعي العراقـي محمـد رضـا المظـفّر(III): «نعتـقدُ أنَّ الإمامـةَ أصـلٌ مـن أصـولِ الدِّيـن لا يتـمُّ الإيمانُ إلَّا بالاعتـقاد بهـا».(١٥)

(I) وردت روايات في فضل أئمة الشيعة على باقي الناس، حتى الأنبياء. انظر/ي: محمد بن بابويه القمي (الصدوق)، **عيون أخبار الرضا**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٠٤ هـ، ج٢، ص ٢٣٧.

(II) فقيه ومتكلّم شيعي عراقي، أول من لُقب بآية الله، ذهب إلى إيران بطلب من السلطان المغولي خدابندا، توفي في القرن الرابع عشر.

(III) أستاذ فلسفة وفقيه شيعي عراقي، له كتاب في علم المنطق باسمه، توفي عام ١٩٦٤.



واقعة كربلاء (الطّف) للرسام الإيراني سيد عرب، منشورة في مجلة الهلال عام ١٩٧١

وهكـذا بـات يُطلَـقُ علـى الشِّـيعة المؤمـــنين بالإمامـة مصطـــلح: الإماميَّـة. وباتـت الإمامـةُ عندَهـم، وخلافًـا لأهـل السـنّة، أصلًا مـن أصـولِ الدِّيـن.[١٦]

٢) الفِـرَقُ الشِّيعيَّة

فصَّـل المتكلّـمُ والمـؤرّخُ الشّـيعيُّ الحسـن بـن موسـى النوبختـي[I] الـكلامَ فـي هـذه الفِـرقِ فـي كتابـه الشـهير **فِـرق الشيعة**،[١٧] وأوضـح أنَّ الشـيعة قـد تفرّقـوا فِرقًـا عديـدةً، وأنَّ معظمَهـا ظهـرَ قبـلَ القـرنِ التّاسـعِ

(I) متكلّم وفيلسوفٌ شيعي، توفي في القرن العاشر.

الميـلادي، أي فـي فتـرةِ حيـاةِ أئمـةِ الشّـيعة الاثنـي عشـر. أمّـا منشـأُ الاختـلافِ فـكان عقائديًّـا، وسياسـيًّا أحيانًـا. وقـد كان مرتبطًـا بشـكلٍ أساسـيٍّ بالاختـلافِ علـى اسـمِ الإمـام اللّاحـقِ بعـد وفـاةِ الإمـامِ السـابقِ، حتـى داخـلِ البيـتِ العلـويِّ(I) نفسـه.

ومـن بيـن هـذه الفـرق الشّـيعيَّة ثـلاثٌ كان لهـا دورٌ فـي تاريـخِ لبنـان بحُكـمِ تواجـدِ أفرادِهـا وتأثيرهـم فيـه، وهـي: **الاثنـا عَشـريَّة** (أكبـر الفِـرق اليـوم)، **الإسـماعيليَّة** (ومنهـا انبثــقت طائفة الموحّديـن الدروز)، **والنّصيريَّـة**.

أ- الاثنا عشريَّة

تاريـخُ هـذه الجماعـةِ فـي لبنـان أساسـيّ فـي موضـوعِ بحثِنـا، حيـثُ هـي أشـهرُ هـذه الفـرقِ وأكثرُهـا عـددًا وأوسعُها انتشـارًا اليـوم. وأبناؤهـا مَـن قالـوا بإمامـةِ اثــني عشـر معصومًـا بعد رحيـلِ النبـي، علـى أنْ تكونَ هـذه الإمامـةُ فـي علـي وولدَيـه الحسـن والحسـين، ومـن بعـدُ فـي ولـدِ الحسـين دون الحسـنِ إلـى آخـر العالـم.[١٨]

فالتسـمية إذًا تُطلَـقُ علـى مَـن يُشـايعُ أو يوالـي عَلِـيًّا وأولادَه المُعيّنيـن، باعتبـارِ أنَّهـم خلفـاءُ الرسـولِ وأئمـةُ النـاسِ بعـده. وقـد نَصَّبهـم الرسـول بأمــرٍ مــن اللــهِ، وذكــرَ أسـماءَهم وخصوصياتِهــم.[١٩] وهــم عالِمــون مَعصومـون عــن الخطـأ،[٢٠] وهـم الأفضـلُ فـي زمانِهـم ومُعيَّــنون مـن قِبـل اللـهِ ورسـولِه، ولا دخـلَ للنـاسِ فـي تَعيــينهم. وإمامتُهـم مسـتمرةٌ اليـوم عبـر الإمـامِ الثّانـي عشـر المهـديِّ الغائـبِ غيبتَـه الكبـرى منـذُ عـام

(I) أي من ذريَّة علي بن أبي طالب.



عمل شائع في أوساط الشيعة يمثل الأئمة الاثني عشر، الإمام الثاني عشر ليس موجودًا في هذه الصورة لأنه الإمام «الغائب»

٩٤١، بعد وفاةِ سفيرِه الرّابع ونائبه الخاص علي بن محمد السّمري وعدم تَعيين خلفٍ له، وستستمر إلى آخر العالم.(I) فالشّيعةُ اليومَ، «في زمنِ غيبةِ الإمامِ المهديِّ الكبرى، وهم ينتظرون ظهورَه ليملأَ الأرضَ قِسطًا وعدلًا كما مُلئت ظُلمًا وجورًا».(٢١)

بهذا، تُعدُّ عقيدةُ الإمامةِ بهذا الشكل المعروض أساسًا لتمايزٍ بينَ الشّيعةِ الاثني عشريَّة مع باقي الفرقِ الإماميَّة جميعًا باستثناء النصيريَّة،(II) ومع الفرقِ الإسلاميَّة الأخرى. كما يُعرفون بالجعفريَّةِ

(I) في زمن الغيبة الكبرى وبعد وفاة السفير الرابع (النائب الخاص) يعتبر الشيعة الاثنا عشريَّة أنَّه قد بدأت مرحلة النيابة العامة من خلال الفقهاء العدول. انظر/ي: جعفر السبحاني، **أضواء على عقائد الشيعة الإماميَّة وتاريخهم**، مؤسسة الإمام الصادق، ط١، ١٤٢١ هـ ص ٢٣٠.

(II) سيأتي الحديث عن التمايزات بين هاتين الفرقتين لاحقًا تحت عنوان النصيريَّة.

نسـبةً للإمـامِ جعفـر الصـادق، مـع مـا لذلـك مـن دلالـةٍ تُميِّـزهم عـن الحنفيَّـةِ والمالكيَّـةِ والشـافعيَّةِ والحنبليَّـة.[I] علـى أنَّ اختـلافَ التسـمياتِ هنـا يأتـي نتيجـةَ مـا يشـتركون فيـه مـع الفِـرقِ الأخـرى، أو مـا يتمايـزون بـه. لـذا يُطلَـقُ عليهـم تَـعميمًا شيـعة، واِثنـا عشـريَّة، إماميَّـة، رافضـة، جعفريَّـة تَخصيصًـا بـتَمايُزاتٍ أخـرى.

كذلـك نجـدُ أنَّ مفاهيـمَ أخـرى أخـصَّ قـد ارتبطـتْ بجماعـاتٍ شـيعيَّة اثـني عشـريَّة مُحـدَّدة عاشـتْ فـي لبنـان، منهـا لقـب المتاولـة[II] الـذي ارتبـط أولًا بشـيعةِ جبـلِ عامـل وجزيـن، ثـمَّ توسّـعَ اسـتعمالُه ليطـالَ جماعـاتٍ شـيعيَّةً فـي أماكـنَ أخـرى مـن لبنـان، كشـيعةِ البقـاعِ وجبـلِ لبنـان. ولـم يُعرفـوا بـه قبـل عهـدِ الأميـرِ فخـر الدّيـن فـي القـرن السّـادس عشـر.[٢٢] وكذلـك مفهـوم الميادنـة[III] الـذي اختـصَّ بشـيعةِ جزيـن.[IV]

ب- الإسماعيـليَّة

هـم مَـن قالـوا إنَّ الإمامـة بعـد جعفـر الصـادق (المتوفـى ٧٦٥) هـي لابنـهِ إسـماعيل، وليـس لابنـهِ موسـى الكاظـم علـى مـا قامـت عليـه الاثنـا عشـريَّة وفرقـة «الواقفـة» التـي بـادَتْ، ولا لنجلـه عبـد اللـه الأفطـح علـى مـا قالـتِ الفرقـةُ «الفطحيَّـة» التـي بـادتْ أيضًـا، ثـمَّ انقسَـموا بعـد وفـاة

(I) هي مذاهب سنّيَّة في الاجتهاد الفقهي تُنسب إلى فقهائها: أبي حنيفة النعمان ومالك بن أنس ومحمد بن إدريس الشافعي وأحمد بن حنبل.

(II) أُطلق هذا اللقب على شيعة جبل عامل والبقاع وجبل لبنان دون الشيعة الآخرين في باقي البلدان، واختُلف في معنى اللفظ.

(III) يشوب الغموض أصل هذا اللفظ، لكن مؤرّخين سُنّة، كسبط ابن الجوزي والنويري، استخدموه للإشارة إلى شيعة منطقة جزين.

(IV) وصف المؤرّخ سبط ابن الجوزي جزّين بأنَّها ضيعة الميادنة. انظر/ي: **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، دار الرسالة العالميَّة، دمشق، ط١، ٢٠١٣، ج٢٢، ص ٢١٩.



مخطوطة مؤرخة ما بين (١٨١٩-١٨٢٣) نُسخت في (سورات، كجرات) على يد نُسّاخ متعددين،
محفوظة في معهد الدراسات الإسماعيليَّة في لندن

إسماعيل: فرقةٌ رأتْ أنَّه لم يمتْ وإعلانُ موته كان تَقِيَّةً،[I] وأخرى جزمت بموته ونقلت الإمامةَ بعدَه لابنهِ محمد، ثمَّ في نسلهِ، ووقعتْ بينهما خلافاتٌ دائمةٌ في تعيين الإمام اللّاحق، ما أدّى إلى تفرّقِهم فِرقًا عدة.[٢٣]

ويُعتبرُ الإسماعيليون من الفرقِ الباطنيَّةِ التي تقولُ إنَّ للقرآن ولأحكام الدّين باطنًا إضافةً للظّاهرِ، وأنَّ هذا الباطن هو المُراد الأسمى منها.[٢٤] واستطاعَ الإسماعيليون أنْ يُقيموا دولًا عدة، لعلَّ أشهرَها الدولةُ الفاطميَّة التي نشأت في القرنِ العاشرِ واستمرّتْ

(I) التقيَّة هي سلوك يتّبعه الشيعة عندما يشعرون بالخطر على أنفسهم أو أموالهم بسبب عقائدهم، فيكتمون عليها ويُظهرون خِلافها. انظر/ي: محمد رضا المظفر، **عقائد الإماميَّة**، ص ٨٤.

حتى النّصفِ الثّاني من القرنِ الثّاني عشر، وتمدّدت في شمالِ أفريقيا والشّام.[٢٥]

ومن الإسماعيليَّةِ خرجتْ طائفةُ الموحّدين الدّروز إبّان الحكمِ الفاطميّ في القرنِ العاشرِ أو الحادي عشر، على يدِ مجموعةِ دُعاةٍ أبرزُهم حمزة بن علي الزوزني (توفي ١٠٢١). وقد رحلَ حمزة، المُكَنَّى بالعقلِ، مع أتباعٍ له من مصرَ إلى الشّام بعد وفاةِ الخليفةِ الفاطميّ الحاكم بأمر الله،[٢٦] واستقرَّ معظمُهم في وادي التّيم وما يُعرف حاليًّا بجبلِ الدروز.

ج- النُّصيريَّة

انبثقتِ النّصيريَّةُ من رَحِمِ الاثني عشريَّة، وسُمّيتْ كذلك نسبةً إلى أبي شعيب محمد بن نصير النميري، الذي وبحسب الشيعة الاثني عشريَّة، لُعِن مِن الإمام العاشر الهادي.[٢٧] وازداد خلافه معهم بعدما ادَّعى سفارتَه للإمام المهديّ بعد وفاةِ السّفيرِ الأوّلِ عثمان العمري. واتُّهِمَ بادّعائه النبوّة[٢٨] وبحلولِ الله فيه.[٢٩] وذكره الطّوسي ضمنَ مُدّعي البابيةَ[I] المَذمومين والملعونين،[٣٠] كما رُمِيَ بالغلوِّ وبالقولِ بالتناسخِ. لكنَّ النّصيريين الذين يُعرَفون أيضًا بالعلويين، يَعتبرون ابن نصير بابًا للإمام العسكري ولولدِه المهديّ الغائب، وذلك بناءً على روايةِ الخصيبي،[٣١] ويرفضون ذمَّ غيرِهم له.

لكن يبقى أنَّ النّصيريَّةَ إماميون اثنا عشريون يؤمنون بإمامة الأئمة

(I) يُقصد بالبابية الوساطة بين الإمام وعامة الناس، ويُطلق عليه أيضًا اسم السفير.



مُنمنَمة من القرن السابع عشر تُمثل علي بن أبي طالب يقاتل التنين ذا الرؤوس الستة، لخوران نامة، البنجاب ١٦٨٦

الاثنـي عشـر، أيّ يتفقـون مـع الاثنـي عشـريَّة فـي أصـولٍ اعتقاديَّـةٍ كثيـرةٍ، ويختلفـون معهـم فـي عناويـنَ جزئيَّـةٍ أخـرى. كمـا يُعَـدّون مـن الفـرقِ الباطنيَّـة.[I] ولهـم أصولُهـم الفقهيَّـةُ الخاصـةُ ومناهجُهـم فـي علمـي الدّرايـة[II] والرّجـال،[III] ولا يؤمنـون بالنّيابـةِ عـن الإمـامِ المهـدي

(I) سبق الحديث عنها سابقًا تحت عنوان «الإسماعيليَّة».

(II) هو العلم الذي يتناول الحديث (الرواية) من خلال البحث في متنه (لفظ الحديث المنقول) وسنده (مجموع رواة الحديث واحد عن الآخر حتى نصل إلى صاحبه) لنعرف ما هو مقبول منه وما هو مردود. انظر/ي: جعفر السبحاني، **أصول الحديث وأحكامه في علم الدراية**، دار جواد الأئمة، حارة حريك ط١، ٢٠١٢، ص ١٤-١٨.

(III) هو العلم الذي يبحث فيه عن أحوال الرواة مدحًا وذمًّا لارتباط ذلك بقبول أخبارهم أو رفضها،

الغائـبِ إلا بالتّعييـن المباشـر. ولهـم أيضًـا تجربتُهـم التّاريخيَّـةُ الخاصّـةُ المنفصلـةُ عـنِ الاثنـي عشـريَّة.(٣٢)

انظر/ي: جعفر السبحاني، **كليّات في علم الرجال**، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي، ط٣، ص ١١.

الهوامش

(١) ابن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ ج٨، ص ١٨٨.

(٢) الفراهيدي، **العين**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ج٢، ص ١٩١.

(٣) **القرآن الكريم**، سورة الصافات، آية ٨٣.

(٤) **القرآن الكريم**، سورة القصص، آية ١٥.

(٥) الشهرستاني، **الملل والنحل**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ج١، ص ١٤٦.

(٦) أبو جعفر الطوسي، **تلخيص الشافي**، مؤسسة انتشارات المحبين، قُم، ط١، ١٣٨٢ هـ ج٢، ص ٥٦.

(٧) ابن حزم، **الفصل في الملل والنحل والأهواء**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج٢، ص ٩٠.

(٨) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٢، ص ٢٤.

(٩) **القرآن الكريم**، سورة القصص، آية ٤١.

(١٠) **القرآن الكريم**، سورة الأنبياء، آية ٧٣.

(١١) جعفر السبحاني، **العقيدة الإسلاميَّة على ضوء مدرسة أهل البيت**، مؤسسة الصادق، قُم، ط١، ١٤١٩ هـ ص ١٨٣.

(١٢) **القرآن الكريم**، سورة النجم، الآيتان ٣-٤.

(١٣) ابن المُطهّر الحلّي، **النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر**، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٩٦، ص ٩٣، الفصل السادس في الإمامة.

(١٤) جعفر السبحاني، **العقيدة الإسلاميَّة على ضوء مدرسة أهل البيت**، ص ١٨٣.

(١٥) محمد رضا المظفر، **عقائد الإماميَّة**، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، قُم، ط١٢، ص ٦٥.

(١٦) محمد رضا المظفر، المصدر السابق، ص ٦٥.

(١٧) الحسن بن موسى النوبختي، **فِرق الشيعة**، تحقيق هيلموت ريتر، دار بيبليون، باريس، ٢٠٠٨، ص ٢.

(١٨) محمد بن محمد بن النعمان، **أوائل المقالات**، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٢، ص ٤٠.

(١٩) جعفر السبحاني، **بحوث في الملل والنحل**، مؤسسة النشر الإسلامي، قُم، ط٢، ١٤١٣هـ ج٦، ص ٩.

(٢٠) محمد رضا المظفر، **عقائد الإماميَّة**، ص ٥٣.

(٢١) أبو جعفر الطوسي، **الغيبة**، مؤسسة المعارف الإسلاميَّة، قُم، ط١، ١٤١١ هـ حديث ١٣٦.

(٢٢) إسماعيل حقي بك، **لبنان: مباحث علميَّة واجتماعيَّة**، المطبعة الأدبيَّة، بيروت، ١٩١٨، ص ٥٥٠.

(٢٣) الحسن بن موسى النوبختي، **فِرق الشيعة**، ص ٥٧-٦٥-٦٧.

(٢٤) جعفر السبحاني، **المناهج التفسيريَّة في علوم القرآن**، نشر مؤسسة الإمام الصادق، ط٤، ١٤٣٢ هـ ج١، ص ١٢٠.

(٢٥) سوزي حمود، **لبنان في العصر الوسيط منذ العهد الراشدي إلى نهاية عهد المماليك**، دار النهضة العربيَّة، بيروت، ط٢، ٢٠١٠، ص ٤١.

(٢٦) خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢، ج٢، ص ٢٧٨.

(٢٧) ابن المُطهّر الحلّي، **خلاصة الأقوال في معرفة الرجال**، مؤسسة النشر الإسلامي، قُم، ط١، ١٤١٧ هـ القسم الثاني، رقم ٤٠، ص ٤٠١.

(٢٨) الحسن بن موسى النوبختي، **فِرق الشيعة**، ص ٩٣.

(٢٩) أبو الحسن الأشعري، **مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين**، المكتبة العصريَّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص ١٥.

(٣٠) أبو جعفر الطوسي، **الغيبة**، ص ٣٩٨.

(٣١) الحسين بن حمدان الخصيبي، **الهداية الكبرى**، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط٤، ١٩٩١، ص ٣٢٣.

(٣٢) العلَويون والشيعة طائفتان لا مذهبان، موقع **المكتبة الإسلاميَّة العَلويَّة**، ١٤ تشرين الأول ٢٠١٠، تاريخ الدخول: ١٥ شباط ٢٠٢٣، الساعة ٢٣:٤٨.

الفصل الثاني

شيعةُ لبنان من زمن الفـتوحاتِ حتى العصْرِ المَملوكي

تمـهيد

إنَّ المقصـود بشـيعة لبنـان هـم الشـيعة الذيـن سـكنوا وتواجَـدوا فـي مـا هـو اليـوم الجمهوريَّـة اللبنانيَّـة المنبثقـة مـن دولـة لبنـان الكبيـر عـام ١٩٢٠، والتـي وُلـدت ممّـا يُعـرف بجبـل لبنـان، «واسـم لبنـان ورد دون انقطـاع علـى امتـداد التاريـخ منـذ حقبـة أيبـلا (٢٣٥٠-٢٢٥٠ ق. م)، حتـى أيامنـا هـذه، [...] وكانـت لفظـة لبنـان تـدلُّ علـى سلسـلة الجبـال التـي عُرفـت باسـمه».[١]

غالبًـا مـا تكـونُ تاريخيَّـةُ نشـأةِ أيٍّ مجتمـعٍ غيـرَ واضحـةٍ معرفيًّـا، لـذا تأتـي ضـرورةُ بلـورةِ هـذه البدايـاتِ والوقـوفِ بإزائهـا. وبمـا أنَّ هويَّـةَ المجتمعـاتِ نتيجـةُ تطـورٍ تدريجـي تراكُـمي ونوعـي يطـرأُ عليهـا، فإنَّهـا مـع مـرورِ الزمـانِ تلجـأُ إلـى تشـكيلِ وإعـادة تشـكيلِ تعريفِهـا لذاتِهـا، اعتمـادًا علـى نشـاطِها الاجتماعـي والاقتصـادي والسّياسـي والدّينـي، وغير ذلـك. وبِقَـدْرِ قُربِهـا مـن الماضـي المقـدّسِ، تشـعرُ بـدفءِ الحقيقـةِ، فتسـتكين ويهـدأ حالُهـا فـي خضَـمِّ الصِّراعـاتِ التّاريخيَّـة والجـدالاتِ الفكريَّـة.

يمكـن اعتــبارُ بدايـاتِ التّشـيُّع فـي لبنـان مـن البدايـاتِ غيـرِ الواضحـةِ معرفـيًّا. لذلـك، سـنتناول روايـات واقـعِ شـيعةِ لبنـان قبـل القـرن العاشـر

الميـلادي، القـرن الـذي نعتبـرُ أنَّـه شَـهِدَ التّشـكُّلاتِ الشّـيعيَّة، وسنطَّـلعُ بعـده علـى الواقـع التاريخـي والسياسـي فـي المناطـقِ التـي تواجـدوا فيهـا لاحقًـا.

١) معـضلةُ دخـولِ التشـيُّع إلـى لبنان (شـيعة لبـنان قبل القرن العاشـر الميلادي)

إجابـةً علـى سـؤالِ كيـفَ دخـلَ التّشـيُّع إلـى لبنـانَ وأيـنَ حـلّ فـي بداياتِه، دَرَجَ الـرأيُ العـامُّ علـى تبنّـي روايـةٍ شـعبيَّةٍ تقـولُ إنَّـه حـدَثَ مـن طريـقِ إحـدى الشّـخصياتِ الشّـيعيَّةِ الأساسـيَّة فـي تاريـخ الطّائفـة، وهـي شـخصيَّةُ أبـي ذرّ الغفـاري، أحـد صحابـة النبـي، وقد تشـيَّع بعدهـا للإمام علـيّ. هذا الـرأيُ الشّـعبيُّ يُـورده باحثـون فـي التّاريـخ الشّـيعي، مـن أمثـال محمـد علـي مكـي فـي كتابـه **لبنـان مـن الفتـح العربـي إلـى الفتـح العثمانـي** الـذي جـاء فيــه «يبـدو مــن الأخبــار والتقاليــد الشـعبيَّة، أنَّ الشــيعة ظهـرت فـي العهـد الأمـوي، فـي جنـوب لبنـان منـذ نُفـي أبـو ذرّ الغفـاري إلـى الجنـوب فـي عهـد معاويـة، وتنقُّلـه الدائـم مـا بيـن مَيْـس الجبـل والصرفنـد، وهاتـان البلدتـان تعتقـدان أنَّ أبـا ذرّ الغفـاري أقـام فيهمـا».[٢] ومعاويـة هـذا كان والـي الشـام فـي خلافـة عثمـان بـن عفّـان فـي تلـك الفتـرة. يعتبـر أحمـد بيضـون، فـي كتابـه **الصّـراع علـى تاريـخ لبنـان**، أنَّ مكـي يلجـأ إلـى النـّزعة التـي تميـلُ إلـى «الأخـذ بالتقاليـدِ الشّـعبيَّة دون أي مناقشــة تُذكــر».[٣] لأنَّــه، بحســب بيضــون، يعـرضُ روايــة المتاولــة[I]

(I) هذا اللفظ مشتقّ ممّن تولّى أو اتَّخذ وليًّا، أو هو مشتقٌّ من توالى أي تتابع، أي التتابع والاسترسال خَلَف عن سَلَف في موالاة آل البيت. انظر/ي: علي الزّين، **للبحث عن تاريخنا في لبنان**، ١٩٧٣، ط١، ص ١٦٦. طبعًا هناك اختلاف في الآراء حول معنى اللفظ كما يظهر من الاقتباس أعلاه. وكما ورد في هامش سابق يُطلق اللفظ على الشيعة في لبنان دون غيرهم من شيعة العالم.




مقام أبي ذر الغفاري في الصرفند

التقليديَّـةَ القائلـة بـأنَّ «معاويـة أخـذ جبـل عامـل منفًـى لخصومـه (مـن العلوييـن) وأنَّـه نفـى أبـا ذرّ الغفـاري الـذي تنقّـلَ بيـن قريتَـي الصّرفنـد ومَيْـس الجبـل. وهـذا التقليـدُ يدعـمُ قـولَ العامليـيـن (أو رغبتهـم) بـأنْ تكـونَ منطقتُهـم هـذه قـد تشـيّعتْ منـذ مطلـع العهـد الأمـوي، أي منـذ نشـوءِ الحـزبِ العَلَـوي أصـلًا».[٤] يذكُـرُ هـذه الرّوايـةَ أيضًـا المـؤرّخُ محمـد كـرد علـي، إذ يَنقـل علـى لسـانِ العامليـيـن، وبينهـم الحـرّ العاملـي: «أمّـا فـي الشّـام فالمعـروفُ بيـن الشّـيعة فـي جبـل عامـل خَلَفًـا عـن سـلفٍ أنَّ الـذي دلَّهـم علـى هـذا المذهـبِ أبـو [كـذا فـي الأصـل] ذرّ الغفـاري لمّـا سُيِّـر إلـى الشّـام. ولـه مقـام معـروف باسـمه فـي قريـةِ الصّرفنـد (بيـن صيـدا وصـور) اتّخِـذَ مسـجدًا معمـورًا. [...] وفـي قريـة مَيْـس الجبـل لـه مقـام آخـر [...]. وروى الحـرُّ العاملـي فـي كتابـه **أمـل الآمـل** أنَّ أبـا ذرّ لمـا أُخـرجَ إلـى الشّـام تشـيَّع فيهـا جماعـةٌ ثـمَّ أخرجـه معاويـة إلـى القـرى فوقَـع فـي جبـل عامـل فتشـيّعوا مـن ذلـك اليـوم».[٥]

هـذا التصـوّر الـذي ينقلُـه المؤرِّخـون، يسـتندُ كذلـك إلـى جملـةِ حبيـب بـن مسـلمة الفهَـري الـذي قـال لمعاويـة: «إنَّ أبـا ذَرّ لمُفسـدٌ عليكـم الشّـام، فتـدارَك أهلَـه إنْ كان لـك فيـه حاجـة».[I] علـى معنـى أنَّ وجـود

(I) ابن أبي حـديد، **شرح نهج البلاغة**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٩٩٨، ج٨، ص ٢٥٧. كما يُلـمِّح الباحث محمد حمادة في السياق ذاته إلى أنَّ الأثر الذي تركه أبو ذرّ في مجموع السوريين يمكن أنْ



رسم لأبي ذر الغفاري

الغفــاري شكَّــل مشــكلةً كبيــرةً فــي المــكانِ الــذي نُــفِيَ إليــه، وقــد يــؤدِّي إلــى إفســادِ الشّــام.

وتحمــلُ هــذه النّظــرة إلــى التّاريــخ بشــكلٍ «أســطوري»،[٦] وفــقَ وضّــاح شــرارة، فكــرةَ أنَّ جبــلَ عامــل هــو بــؤرةُ انتشــارِ التّشــيُّع فــي لبنــان.

ويملــك المــؤرّخ الشّــيخ جعفــر المهاجــر رؤيــةً مقابلــةً لروايــةِ تشــيُّع أهــل جبــل عامــل بســببِ وجــودِ الغفــاري بينهــم، وفيهــا محاولــةٌ للْبنــاءِ علــى وقائــعَ محــدّدةٍ وتعميمهــا، مــا يجعــلُ الحســمَ بنتائجِه مســألةً غيــرَ تلقائيَّــة، لكنّهــا فــي نهايــةِ الأمــرِ مســعى جديــرٌ بالالْتفــاتِ إليــه لمــا فيــه مــن بــروزٍ للتّفكيــرِ النّقــدي تجــاه قضيَّــةٍ اعتُبــرت إلــى حــدٍّ مــا مــن مُســلّماتِ الوجــودِ الشّــيعي فــي لبنــان. إذ يُشــيرُ إلــى أنَّ أوّل مَــن حمــلَ التشــيّع إلــى لبنــان هــي قبيلــةُ هَمَــدان، ويســتند فــي ذلــك إلــى المُحاججَــةِ التاليــة: كان لــهَمَدانِ الشّــيعيَّة ـ القبيلــة التــي هاجــرت مــن اليمــن إلــى الكوفــة[٧] ـ دَورٌ كبيــرٌ، ثــمَّ مــا لبــثَ أنِ اختــفى، فلــم يظهــرْ لا فــي كربــلاء مثــلًا، ولا فــي حركــة التوّابيــن، أو حركــةِ مختــار الثَّقَفــي وثــورة

يكون قد نشَرَ بذرة التشيّع فيه، أو بالأحرى بذرة الاستياء من حُكم عثمان وحكومة معاوية، وهذا ما كان مصدر إزعاج لمعاوية، ما أدّى إلى طلب الأخير من عثمان أنْ يُعيد أبا ذرّ إلى الحجاز وأنْ يضعه تحت المراقبة. انظر/ي: محمد حمادة، **تاريخ الشيعة في لبنان وسوريا والجزيرة في القرون الوسطى**، ترجمة محمود الزّين، دار بهاء الدين العاملي، بعلبك، ٢٠١٣، ص ٩٢-٩٣.

ابــن الأشــعث.[I] «تلــك أحــداثٌ أربعــةٌ، مــن أخطــرِ مــا يكــون، تتابعــت متســارعةً علــى مــدى ثــلاثٍ وعشــرين ســنة [...] لــم يكــن لهمــدان فيهــا دورٌ ولا ذِكْــر»، فيســأل: «أيــن راحــت القبيلــة ولمــاذا ومتــى؟».[٨]

ثــمَّ يعــودُ المهاجــرُ ويُحــاولُ أنْ يقتــفيَ أثَــرَ أفرادِهــا فــي حمــص، ويذكُــر نــداءً خاطبهــم فيــه الخليفــة عبــد الملــك بــن مــروان[II]: أهــل الكويفــة، تصغيــرًا لشــأنهِم. ثــمَّ يســتندُ إلــى الدّليــلِ الــذي يؤكِّــدُ علــى أنَّ «هــؤلاء الكوفييــن النازليــن "حمــص" كانــوا هَمَدانييــن، [لأنَّ مَــن خاطــب عبــد الملــك خطابًــا غليظًــا] هــو رجــلٌ مــن فايــش، وفايــشٌ بطــنٌ مــن حاشــدِ، وحاشــدٌ بطــنٌ مــن هَمَــدان».[٩] ويُســتَنْتَجُ مــن هــذه الأحــداثِ، ومــن غلاظــةِ الخطــابِ المُوجَّــه إلــى عبــد الملــك، أنَّ أبنــاءَ همــدان كانــوا قــوةً لا يُســتهانُ بهــا فــي حمــص. ويعطِــفُ اســتنتاجه هــذا علــى مســألةٍ يُورِدُهــا ياقــوت الحمــوي أنَّ أهــلَ حمــص «صــاروا مــن غُــلاة الشّــيعة».[١٠] ثــمَّ يعتمــدُ المهاجــرُ علــى إشــارةٍ للمــؤرّخ اليعقوبــي بــأنَّ فــي أطــرافِ بعلبــك «قــومٌ مــن اليمــن»، ليخلُــصَ إلــى أنَّهــم «هَمَــدان الشّــيعيَّة» الذيــن انتقلــوا مــن اليمــنِ إلــى الكوفــةِ وبعدهــا حمــص والبقــاع اللّبنانــي حيــث يوجــدُ فــي بعلبــك بــابُ هَمَــدان.[١١]

فــي مقابــلِ ذلــك، يــورد الباحــثُ محمــد حمــادة الروايــة التــي تردّ التشــيّع

(I) حركة التوّابين: هي الثورة الأولى التي قامت بعد واقعة كربلاء، وكانت بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نَجَبة الفزاري، وغيرهما. وكانت عام ٦٥ هـ. انظر/ي: جعفر السبحاني، **بحوث في الملل والنحل**، ج٧، ص ٢٤٦-٢٥٧. ثورة ابن الأشعث: هي ثورة حصلت ضد الحَجاج بن يوسف الثقفي وكانت بقيادة عبد الرحمن بن الأشعث، وكانت في عام ٨٠ هـ. انظر/ي: المرجع السابق، ص ٢٧٠-٢٧٥. ثورة الثقفي انطلقت من الكوفة في عام ٦٦ هـ وهدفت إلى الثأر من المشاركين في قتل الحسين وآل بيته ونجحت في قتل بعضهم. انظر/ي: هاشم معروف الحسني، **الانتفاضات الشيعيَّة عبر التاريخ**، دار الكتب الشعبيَّة، بيروت، ص ٤٥٨-٤٦٤.

(II) (٢٦-٨٦ هـ/٦٤٦-٧٠٥م) هو الخليفة الخامس من خلفاء بني أمـيَّة.

إلـى الأصـلِ الفارسـيّ الـذي حملتـهُ عائـلاتُ المهاجريـن معهـا، والتـي دَرَج عليهـا عـددٌ مـن المستشـرقين. فهـو يكتـبُ: «كمـا نُلاحـظُ وجـودَ متحدّريـن مـن أصـولٍ فارسـيَّة وطَّـنَهم معاويـة وسُـلالته علـى طـول السـاحلِ اللّبنانـي مـن طرابلـس إلـى صـور كمـا فـي بعلبـك. وفـي هـذه المناطـقِ عَيْنِها سـوف نُلاقـي لاحقًـا كلَّ المنشـقّين عـن الإسـلامِ، بحسـب "**بـورون**"،[I] فـي جبـال سـوريا (جبـال الأعلـى)، علـى سـفوح لبنـان، وفـي حـوران، وسـوف تكـون الطائفـةُ الشّـيعيَّة الأكثـر قـوّة بينهـم». وقـد اعتبر حمـادة هـذه الروايـة تفسـير إسـقاطي مـن الحاضـر إلـى الماضـي، وإن التشـيع فـي المنطقـة هـو أكبـر بكثيـر مـن هـذا التفسـير.[١٢]

بغـضّ النظـر عـن الغمـوض بخصـوص تاريـخ نشـأة التشـيّع في لبنـان، إلّا أنّ الواضـح أنّـه مـا أن أقبـل القـرن العاشـر حتـى بـات للشّـيعة تجمّعـات واضحـة فـي مختلـف المناطـق السّـاحلية والدّاخلية.

٢) العصْرُ الذهبي للتّـشيُّع (شيعة لبنان بعد القرن العاشر الميلادي)

شـهدَ القـرنُ العاشـرُ الميـلادي قيـامَ دويـلاتٍ شـيعيَّةٍ متفرقـةٍ، علـى رأسِـها فِـرقٌ مختلفـةٌ فـي شـمالي أفريقيـا وغربـي آسـيا: الحَمَدانيـون فـي الموصـلِ وحلـب، والبويْهيّـون فـي فـارس والعـراق، ثـمَّ الفاطميـون فـي شـمالي أفريقيـا والشّـام. وانتشـرَ التّشـيّع وقـتَها بشـكلٍ كبيـرٍ، حتـى روى السّـيوطي خـلال حديثـهِ عـن فتـرةِ حكـمِ الخليفـة الطائـع باللـه[II]: «غـلا الرفـضُ وفـازَ بمصـر والمشـرقِ والمغـربِ».[١٣] وقـال ابـنُ كثيـر بخصـوصِ

(I) المقصود هو الكابيتان بورون مؤلف كتاب **الدروز**، الذي ترجمه عادل تـقي الدين ونشرته مطبعة القديس بولس في العام ١٩٣٣.

(II) حَكَم من ٩٧٤ حتى ٩٩١.

فتــرة الحكــمِ الفاطمــي: «وكثــرَ بــأرضِ الشّــام النّصرانيَّــة والدّرزيَّــة والحشيشـيَّة».(I) وكتـبَ الجغرافـيُّ ابـن جُبيـر عـن رحلتِـه إلـى الشّـام فـي عـام ١١٨٤: «وللشّـيعة فـي هـذه البـلادِ أمـورٌ عجيبـةٌ، وهـم أكثـرُ مـن السُـنّيين بهـا. وقـد عمّـروا البـلاد بمذاهبِهـم، وهـم فِـرَق شـتّى».(١٤)

إذًا، فقـد سـاهمَ قيـامُ هـذه الدّويـلاتِ الشّـيعيَّة، علـى اختـلافِ مشـاربِها، فـي انتشـارِ التّشـيُّع فـي المنطقـةِ، ومنهـا لبنـان. وظهـرتْ للشّـيعة فيـه تجمّعـاتٌ كبيـرةٌ فـي مدينتَـي طرابلـس وصـور ومحيطهمـا، مع اسـتقلاليَّةٍ فـي الحكـمِ خـلال فتـراتٍ زمنيَّـةٍ، دون إغفـالِ وجـودٍ آخـر لهـم فـي أماكـنَ أخـرى، ومنهـا: البقـاعُ وبعلبـك وجزّيـن وجبـلُ لبنـان وغيرهـا، ولكـن بعـددٍ أقـلَّ ودورٍ أضعـف. وتزامنًـا مـع الحمـلاتِ الصّليبيَّـة علـى السّـاحل وسـقوطِ مدنِـه وإقامـةِ الدويـلاتِ الصّليبيَّـة فيهـا، بـدأ النشـاطُ الشّـيعي يندفـعُ صـوبَ الداخـلِ معمِّـرًا إيـاه سكانـيًّا وثقافيًّـا واقتصاديًّـا وعمرانيًّـا... إلـى غيـر ذلـك، فنزَحـتْ موجـاتٌ سُـكّانيَّةٌ مـن طرابلـس وجوارِهـا نحـو جبـلِ لبنـان والدّاخـل، وبدرجـةٍ أقـلّ، مـن صـور وصيـدا وحوْلَهمـا، باتجـاه جبـل عامـل الداخلـي. والمرجّـح أنْ يكـون قـد نـزحَ إلـى هـذا الجبـلِ أيضًـا شـيعةُ فلسـطين والأردن فـي ذاك الوقـت، فـ«أهلُ طبريَّـة ونصـفُ نابلـسَ وقـدَس، وأكثـر عمّـانَ كانـوا شـيعة»(١٥) وقتَهـا.

أ- طرابلس

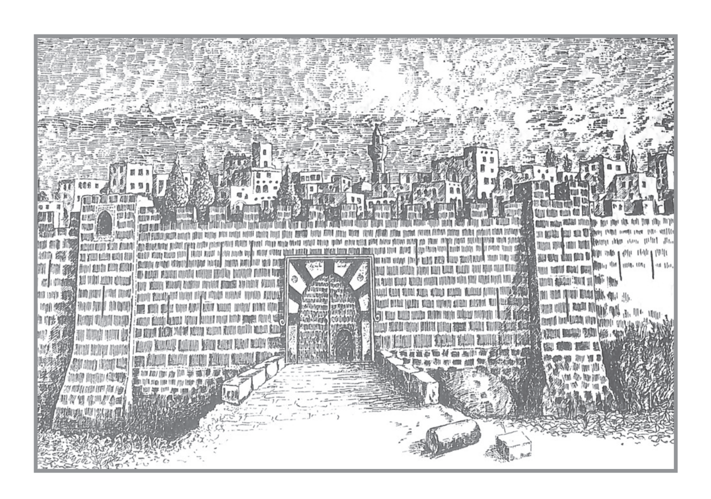
بعدمـا فتـحَ العـربُ المسـلمونَ طرابلـسَ زمـنَ الخليفـةِ الراشـدي

(I) ابن كثير، **البداية والنهاية**، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلام، ط١، ١٩٩٧، ج١٢، ص ٣٣٢. أمّا الحشيشيَّة فهي فِرقة إسماعيليَّة نزاريَّة نشأت في فارس بفضل جهود زعيمها الحسن الصباح وتمكّن رجالُها من اغتيال الكثير من الخلفاء والسلاطين والوزراء، وتبنّت الفكر العسكري السري المسلّح. انظر/ي: محمود إسماعيل، **فرق الشيعة بين الدين والسياسة**، رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص ٥٧.

عثمـان عـام ٦٤٦، وخضعَـتْ لاحقًـا للأموييـن والعبّاسـيين وحكمَهـا الطولونيـون فالإخشـيديون الّذيـن ضَمّوهـا إلـى نفوذِهـم فـي مصـرَ، سـقطَت المدينـة تحـت سـيطرةِ الفاطمييـن فـي القـرن العاشـر.(١٦)

وكانـت تُحكَـمُ عبـر والٍ يتبـعُ الفاطمييـن فـي مصـر، وكان بنـو عمّـار فيها وجهـاءَ ذوي شـأنٍ، وقُضـاة، وينتظـرون الفرصـةَ المناسـبةَ للتّخلّـصِ مـن تبعيَّـة المدينـة، للقاهـرة. وحصـلَ لهـم ذلـك عـام ١٠٧٠ مـع اسـتقلالِ قاضيهـا أميـن الدّولـة بـن عمـار بعـد وفـاةِ واليهـا الفاطمـي مختـار الدّولـة ابـن البـزّال.(١٧) ودامَ حكـمُ بنـي عمـار حوالـي ٤٠ سـنة حتـى عـام ١١٠٨، سعَوا فيهـا لإبعـادِ المدينـةِ عـن الصّراعـاتِ والتّجاذبـات السّياسـيَّة فـي المنطقـةِ فحاولـوا أخـذَ دورٍ حيـاديٍّ بيـن الفاطمييـن والسـلاجقةِ لـدرءِ الخطـرِ الصّليبـي المحـدِق، وصانَعـوا السّـلاجقةَ الأقـربَ إليهـم جغرافيًّـا بالهدايـا والملاطفـات.(١٨) ثـمَّ عـادت طرابلـس إلـى التّبعيَّـة للفاطمييـن الذيـن حاولـوا قطـعَ الطّريـق علـى التّقـاربِ مـع السّـلاجقةِ، قبـل أنْ تسـقطَ بعـد عاميـن بيـدِ الصليبييـن بعـد رحلـةِ طلـبِ مسـاعدةٍ فاشـلة مـن فخـر الملـك بـن عمـار باتجـاه الخليفـة العبّاسـي المسـتظهر والسـلطان السـلجوقي محمـد بـن ملكشـاه،(١٩) وعـدمِ وجـودِ نجـدةٍ فاطميَّـةٍ سـريعةٍ بالميـرة(I) بسـببِ الرّيـاح. وبعـد سـقوطِ المدينـةِ نزحـت جماعـاتٌ مـن السّـكّانِ إلـى الدّاخـل، «إلـى أقـرب الجبـال إليهـم».(٢٠) وبقيـتْ طرابلـس تحـت سـيطرةِ الصّليبييـن حتـى عـام ١٢٨٩ حيـن فتحَهـا السّـلطانُ المملوكـي قـلاوون، فهـدَم أبنيتَهـا وأسـوارَها، وخطّـطَ لبنـاء مدينـةٍ جديـدةٍ بعيـدةٍ عـن الشـاطئ لحمايتهـا،(٢١) وتـوزَّع كثيـرٌ مـن سـكّانها باتجـاه جبـال كسـروان ومناطـق أخـرى فـي الدّاخـل.(٢٢)

(I) لغويًّا هي المؤونة من الطعام، واصطلاحًا نظام الطعام في الجيش.



رسم لِسور طرابلس في عهد بني عمار

وخـلال حكـمِ بنـي عمـار أخرجَـتِ المدينـةُ فقهـاءَ شـيعةً، كان أشـهرَهم، الفقيـه الشـيعي الاثنـا عشـري، أبـو الفتـح الكراجكـي (توفـي ١٠٥٧)، والـذي وصفـه ابـن العمـاد الحنبلـي[I] بـرأسِ الشّـيعة وصاحـبِ التّصانيـفِ المتكلّـمِ المتفنّـنِ مـن كبـار أصحـاب الشّـريف المرتضـى،[٢٣] ونعتَـهُ الذهبـي[II] بشـيخِ الشّـيعة وأنَّـه مـن فحـولِ الرافضـة.[٢٤] كذلـك أنجبـت المدينـة فقهـاء آخريـن معروفيـن كعبـد العزيـز بـن نحريـر المعـروف بابـن البـراج وأسـعد بـن أحمـد بـن أبـي روح.[٢٥]

ويبـدو أنَّـه كان للشّـيعةِ فيها قبـل مرحلـة الكراجكـي تواصُـلٌ مـع فقهـاءِ العـراق الشّـيعة المؤسّـسين. فللشـريف المرتضـى فـي كتابـه **المسـائل** أبـوابٌ بعنـوان: جـواب المسـائل الطرابلسـيات.[٢٦]

(I) مؤرّخ وفقيه سُنّي عاش في العصر العثماني، وتوفي عام ١٦٧٩.

(II) محدّث ومؤرّخ وعالم رجال سُنّي، عاش في العصر المملوكي، وتوفي عام ١٣٤٨.



بيرتراند كونت تولوز يتلقى استسلام القاضي فخر الملك بن عمار بعد الاستيلاء على مدينة طرابلس، الرسم أمر به لوي- فيليب للمتحف التاريخي في فرساي عام ١٨٣٨، ونفّذه عام ١٨٤٢ الرسّام ألكسندر شارل دبك

كما قصدَها الرّحالةُ الفارسي ناصر خسرو عام ١٠٤٧، بعد التّوسّع الفاطمي، وقال بعد وصفه لفرادةِ المدينةِ عمرانيًّا وتحصينيًّا واقتصاديًّا: «[...] وسكان طرابلس كلّهم شيعة».[٢٧]

يجدرُ الذكرُ أنَّ منطقةَ حصنِ عكّار بناحيةِ طرابلس كانت قد مُلِكَتْ من قِبل المرداسيين الشّيعة الاثني عشريَّة عام ١٠٢٥[٢٨] ولسنواتٍ عديدة. والمرداسيون هم أسرةٌ شيعيَّةٌ عربيَّةٌ من بني كلاب أسّسوا دولتَهم على أنقاضِ الدولةِ الحَمَدانيَّة الشّيعيَّة في سوريا،[I] الأمر الذي ساهمَ في زيادةِ الفاعلياتِ السّكّانيَّةِ الشّيعيَّة في تلك النواحي.

(I) شملت دولتهم عند تأسيسها حلب ومنبج وبالس والرقّة والرحبة ثمَّ حمص وصيدا وبعلبك ونواحٍ من طرابلس.

ب- صور

فتـحَ المسـلمون العـربُ مدينـةَ صـور زمـن الخلافـةِ الراشـدة، ثـمَّ انتقلـت تحـت الحكـم الأمـوي فالعباسـي، وفـي القـرن العاشـر سـيطر الفاطميـون عليهـا. وفـي عـام ٩٩٠، بعـد الدّخـولِ الفاطمـي إلـى المنطقـة بحوالـي ٢١ سـنة، زارهـا الجغرافـي المقدسـي وأورد: «إنَّ أهـلَ هـذه المنطقـةِ ومـا يُجاورُهـا شـيعةٌ فاطميـون إسـماعيليون».(٢٩)

ورغـم الهويَّـةِ الشّـيعيَّة الإسـماعيليَّة، بحسـب المقدسـي، فـإنَّ كتـبَ التراجـمِ أخبرتـنا أيضًـا عـنِ اسـتمرارِ وجـودِ شـخصياتٍ سُـنّيَّة فـي صـور لاحقًـا، كالمتصـوّف أحمـد بـن عطـاء الروذبـاري (توفـي ٩٨٠)،(٣٠) وأبـي عبـد اللـه محمـد بـن علـي بـن عبـد اللـه الصـوري (المتوفـى عـام ١٠٤٩).(٣١) ورابـطَ فيهـا الفقيـهُ الشـافعيُّ سـليم بـن أيـوب الـرازي، وهـو أوّلُ مـن نشـرَ الفقـه فيهـا.(٣٢)

ومـن الشّـخصياتِ الشّـيعيَّةِ المميّـزَةِ التـي أنجبَتْهـا صـور الشّـاعر عبـد المحسـن الصّـوري الـذي لـم يتـردّدْ رغـمَ اثـني عشـريته فـي مـدحِ بعـضِ الخلفـاءِ الفاطمييـن.(٣٣) وفـي منتصـف القـرن الحـادي عشـر، زار الرحالـة ناصـر خسـرو المدينـة، وذكـر أنَّ معظـم سـكانها شـيعة.(٣٤)

كانـت المدينـةُ نظـرًا لمَوقعِهـا المهـمِّ أرضَ صـراعٍ شـديدٍ بيـن الفاطمييـن والصّليبيـن، وكانـت تتمتّـعُ دائمًـا بحصانـةٍ طبيعيَّـةٍ كبيـرة. وعـام ١٠٧٠ أسّـسَ عيـنُ الدولـةِ بـن أبـي عقيـل، وهـو نجـلُ قاضـي المدينـة السّـنّي، إمـارةً مسـتقلّةً عـن الفاطمييـن فـي صـور، إمـارةً حاولـت كطرابلـسَ، أنْ تأخـذَ دورَ الحيـادِ فـي الصّـراعِ الفاطمـي ـ السّـلجوقي.(٣٥) وعـن ذلـك يذكـرُ ابـنُ القلانسـي: «كان ثغـرا صـور وطرابلـس فـي أيـدي قضاتهمـا [...] ولا طاعـةٌ عندهمـا لأميـر الجيـوش

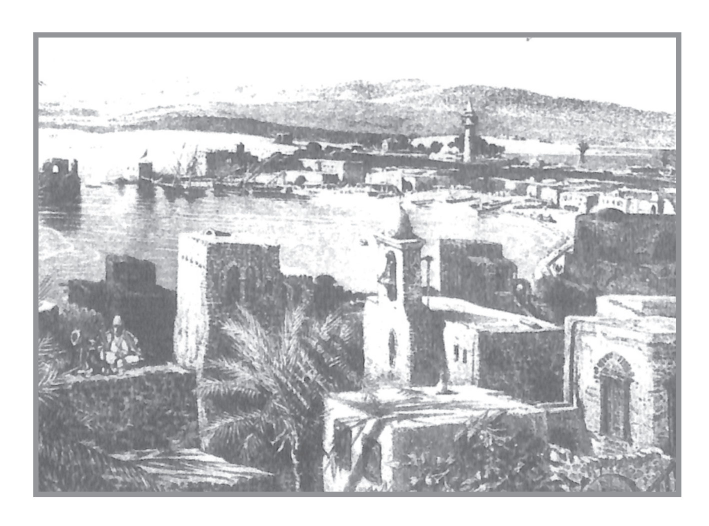
بـل يُصانِعـان الأتـراك بالهدايـا والملاطفـات».[٣٦] لكـن بعـد وفـاةِ عيـن الدولـة عـام ١٠٨٩ سـلَّم أولادُه المدينـةَ للفاطمييـن مجـدّدًا.[٣٧]

ولئـن كانـت صـور قاعـدةَ الأسـطولِ الفاطمـي، حُوصـرت مـن قِبـل الصّليبييـن بـرًّا وبحـرًا، ابتـداءً مـن عـام ١١١١، فاضطُّرَّ واليهـا الفاطمـي إلـى طلـبِ المعونـةِ مـن أتابـك دمشـق فأنجـده، وأضحـت المدينـةُ تحـت إمرتِـه[٣٨] حتـى عـام ١١٢٤، حيـن استسـلمتْ للصليبييـن وخـرجَ منهـا كثيـرون مـن السّـكّانِ والجنـود.[٣٩] وكان لذلـك تداعيـاتٌ كثيـرةٌ، فنـزح العديـد مـن سـكّانِها الشّـيعةِ باتجـاه الداخـلِ، فعَمَـرَ جبـلُ عامـلٍ أكثـر مـن ذي قبـل. ورغـم تعرّضهـا للحمـلاتِ المملوكيَّـةِ منـذ عـام ١٢٦٦، لـم يَخـرجِ الصليبيـون منهـا نهائـيًّا إلّا عـام ١٢٩١. وبعـد سـقوطِها، وكحالِ طرابلـسَ قبلهـا، هـدمَ المماليـكُ أسـوارَها وخرّبـوا أبنيَتها بذريعـةِ منـعِ عـودةِ الصّليبييـن إليهـا.

ج- صيدا

أمّـا مدينـةُ صيـدا، فقـد فتحهـا العـربُ المسـلمون علـى يـدِ يزيـد بـن أبـي سـفيان عـام ٦٣٤، وخضعـت كغيرهـا مـن المـدن اللبنانيَّـة للأموييـن ثـمَّ العبّاسـيين والطولونييـن والإخشـيديين، قبـل أنْ تستسـلم للوافديـن الجُـددِ مـن الفاطمييـن.

وفـي رحلـةِ اليعقوبـي فـي القـرنِ التّاسـع، ذكرهـا مرّتيـن: مـرةً باسـم صيـدا، وقـال إنَّ سُـكّانَها فُـرسٌ جلَبَهـم معاويـةُ، وأخـرى باسـم لبنـان صيـدا، وبهـا قـومٌ مـن قُريـش ومـن اليمـن.[٤٠] وكان للمدينـة دورٌ أساسـي فـي الثـورة التـي قادهـا أبـو العميطـر السُّـفياني فـي بدايـة هـذا القـرن ضـد الحكـم العباسـي لإعـادة الخلافـة الأمويَّـة.[٤١]



رسم تاريخي لمدينة صور

وبرغـم الطابـعِ المذهبـي السّـنّي الـذي تميّـزتْ بـه، بـدأتْ مـع القـرنِ العاشـر الإشـاراتُ إلـى وجـودِ التّجمّعـاتِ السّـكّانيَّة الشّـيعيَّة تظهـرُ فـي المدينـة. ففـي **رسـائلِ** الشـريف المرتضـى[٤٢] عنـوان أسـماه «جوابـات المسـائل الصيداويّـة»، بمـا يـدلُّ علـى انتشـارِ التشـيّع ووجـود صلـةٍ بيـن الشّـيعة فيهـا وفقهـاءِ العـراق. والمنطقـي أنْ يكـونَ الصيداويـون الذيـن راسـلوا الشّـريف المرتضـى هـم مـن الاثنـي عشـريَّة تحديـدًا، كعـادةِ أهـلِ المذاهـبِ فـي التّواصـلِ مـع فقهائِهـم المذهبييـن. كمـا أنَّ دخـولَ المدينـةِ فـي دائـرةِ نفـوذِ الأسـرة المرداسـيَّة الشّـيعيَّة عـام ١٠٢٥، يُرجّـحُ أنَّـه قـد سـاهمَ فـي توافـد جماعـاتٍ شـيعيَّة إليهـا، خصوصًـا وأنَّ صالـح بـن مـرداس بعـد سـيطرته علـى الجنـوبِ والبقـاع اتخـذَ مـن صيـدا عاصمـةً لـه.[٤٣]

ومـا لبثـتِ المدينـةُ أنْ سـقطتْ بيَـدِ الصّليبييـن عـام ١١١٠.[٤٤] وبعـد انتصـارِه علـى الصّليبييـن فـي معركـةِ حطّيـن عـام ١١٨٧، اسـتولى صـلاحُ الدّيـن الأيوبـي علـى الشـقيف وتبنيـن، قبـل أنْ يتّجـهَ ليحتـلّ صيـدا.[٤٥]

وبعـد صُلـح عـام ١١٩٢ بينـه وريتشـارد قلـب الأسـد بقيـتِ المدينـة ضمـن حصّـة الأيّوبييـن. ولكـن بعـد وفـاةِ صـلاح الدّيـن عـام ١١٩٣، وبسـبب النّـزاعِ داخـلَ البيـتِ الأيّوبـي الواحـدِ، صـارتْ تحـتَ سـيطرةِ الصّليبييـن.[٤٦] ثـمَّ باتـت لاحقًـا مقسّـمةً بيـن المماليـك والصليبييـن عـام ١٢٦٩، علـى أنْ تكـونَ المدينـةُ للصّليبييـن، ومناطقُهـا الجبليَّـة للمماليـك. ومـع نهايـةِ القـرنِ الثّالـث عشـر عـام ١٢٩١، عـادتْ صيـدا كغيرِهـا مـن مـدنِ السّـاحل تحـت سـيطرةِ المماليـك، وكان ذلـك بعـد سـقوطِ عـكّا بأيديهـم وطردِهـم للصّليبييـن منهـا. وقـد دمّرَهـا المماليـكُ كغيرِهـا مـن المـدنِ التـي اسـتولوا عليهـا.[٤٧]

د- جبلُ عامـل

جبـلُ عامـلٍ أو عاملـة، يُعـرفُ أيضًـا بجبـل الخليـل، وجبـل الجليـل. ونسـبتُه كشـهرةٍ عامـةٍ، هـي لـ«عاملـة»، القبيلـةِ التـي سـكنت المنطقـةَ قادمـةً مـن اليمـن.[٤٨] وكغيـره مـن المناطـق اللبنانيَّـة خضـع جبـل عامـل للسـيطرة الأمويَّـة ثـمَّ العباسـيَّة. ثـمَّ مـا لبـث الجبـل أنْ وقـع تحـت القبضـة الفاطميَّة فـي القـرن العاشـر، ممّـا عـزّز الوجـود الشـيعي فيـه.

ومـع اسـتيلاء الصّليبييـن علـى السـواحلِ وهِجـرة الكثيريـن مـن سـكّان المـدنِ السّـاحليَّةِ مـن الشّـيعة باتجـاه الداخـل، بـدأ جبـل عامـل يـزداد عمرانًـا، وتظهـرُ فيـه بلـداتٌ عامـرةٌ سكّانــيًّا. وهكـذا نـال قسـطًا كبيـرًا مـن هجـرةِ شـيعة مدينــةِ صـور، وامتــلأ بالسـكان وبـات ذا مـردودٍ اقتصـادي وزراعــيّ وفيـر. ويصفــه المقدسـيُّ الـذي زار المنطقـةَ فـي القـرن العاشـر، فيقـول: «وجبـل عاملـة ذو قـرى نفيسـةٍ وأعنـابٍ وأثمـارٍ وزيتـونٍ وعيـونٍ، المطـرُ يَسـقي زروعَهـم».[٤٩] وعندمـا قصـدَ الرّحالـةُ والجغرافـي ابـن جُبيـر المنطقـةَ عـام ١١٨٤ إبّـان حكـم الصّليبييـن، مـرَّ

في تبنين تاركًا مشاهداته التي تُعطينا فكرةً عن الهويَّة الدينيَّة الشّيعيَّة للسّكّان، فقد قَرَنَ ذكرَ تبنين بعبارة: «دمّرها الله»،[٥٠] إشارة إلى الاختلاف والخلاف المذهبي.

وبعد معركةِ حطّين عام ١١٨٧ التي انتصرَ فيها صلاحُ الدّين على الصّليبيين،[٥١] سقطت قلاعُ جبلِ عامل الدّاخليَّة في الشّقيف وهونين وتبنين، ولاذَ إلى مدينةِ صور الكثير من الصّليبيين. لكن ما لبثَت أنْ عادت بعضُ القلاعِ للصّليبيين بعد وفاةِ صلاح الدّين، مثل قلعة الشّقيف عام ١٢٤٠.[٥٢] ولاحقًا، صار جبلُ عاملٍ تحتَ سيطرةِ المماليكِ، فأحكموا قبضتَهم على قلاعِه ومناطِقه تدريجيًّا انطلاقًا من عام ١٢٦٦ إبّان حكمِ الظاهر بيبرس بعد الاستيلاء على قلعتَي تبنين وهونين.[٥٣]

هـ- جزين

حالها كحال كل المناطق اللبنانيَّة خضعت جزين للحكم الأموي والعباسي وصولًا إلى الفاطمي. وفي أحوال سنة ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م، يصفُ المؤرّخ سبطُ ابن الجوزي جزّين بأنَّها ضَيْعَة الميادنة، ويتحدث عن مواجهتهم للفرنج فيها.[٥٤]

وتُخبرُنا كتبُ التراجمِ والرّجالِ عن الفقيهِ أبي القاسم بن الحسين ابن العود الجزيني[I] المتوفّى عام ١٢٨٠ م الذي ترجمَه الذّهبي بأنَّه «رأسُ الرافضة وشيخُ الشّيعة... ثمَّ إنَّه أقام بجزين مأوى الرّافضةِ، فأقبلوا عليه وملّكوه بإحسان».[٥٥] ومن تعبيرِ الذّهبي «مأوى

(I) توفي عام ١٢٧٨.

الرّافضـة» يظهـر أنَّ المدينـةَ بـدأتْ تنشـطُ فـي هـذه الفتـرةِ المملوكيَّـة، وتتحـوّلُ إلـى مركـزِ ثقـلٍ شـيعيٍّ سـكّاني وفقهـي فعّـال. وبوصولِنـا إلـى بدايـةِ القـرن الرّابـع عشـر، كانـت جزيـن ومـا حولَهـا وجبـلُ عامـلٍ ذات أكثريَّـةٍ شـيعيَّة. فهـا هـو تقـي الدّيـن أحمـد بـن تيميَّـة[I] فـي الحملـة الأخيـرة علـى كسـروان، ذكَـر فـي وصفِـه لأهـلِ تلـكَ الجبـالِ: «هُـمْ وَسَـائِرُ أَهْـلِ هَـذَا الْمَذْهَـبِ الْمَلْعُـونِ مِثْـلَ أَهْـلِ جَزِّيْـنَ وَمَـا حَوَالَيْهَـا، وَجَبَـلِ عَامِـلٍ وَنَوَاحِيـه».[٥٦]

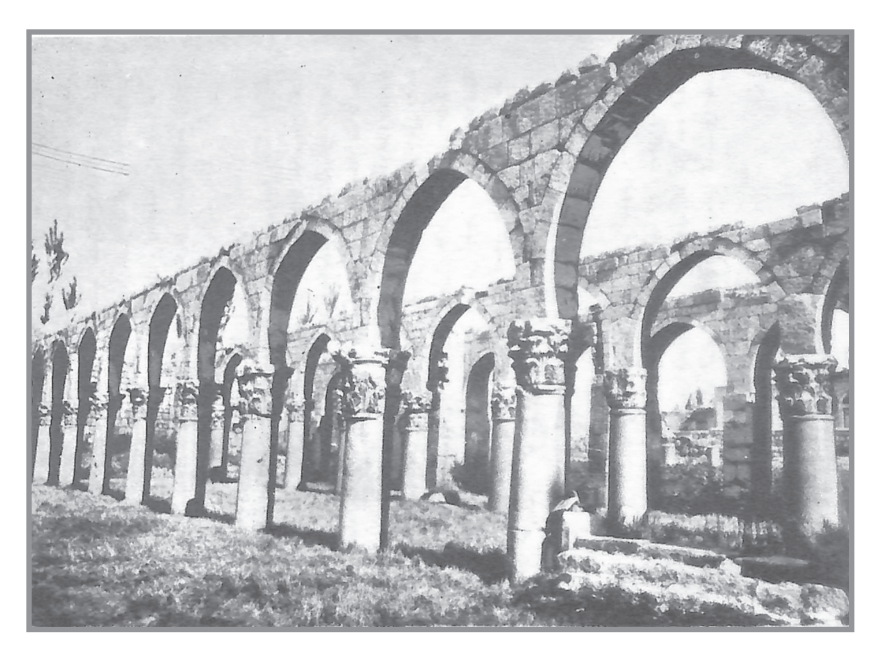
و- بعلبك

تـمَّ الفتْـحُ العربـيّ الإسـلامي لبعلبـك عـام ٦٣٦ علـى يـد أبـي عُبيـدة بـن الجـرّاح. وخضعـت المدينـة للحكـم الأمـويّ ثـمَّ العباسـيّ.

ارتكـب القرامطـةُ الإسـماعيليَّة فـي بعلبـك فـي بدايـاتِ القـرن العاشـر، وتحديـدًا عـام ٩٠٣، مذبحـة ذَكَرهـا الطبـري علـى الشـكل التالـي: «ثـمَّ سـارَ الحسـين بـن زكرويـه إلـى بعلبـك، فقتـلَ عامّـةَ أهلِهـا حتـى لـم يبـقَ منهـم فيمـا قيـلَ إلّا اليسـير».[٥٧] وبعـد حوالـي سـنةٍ، عـادتِ المدينةُ إلـى حضـنِ الخلافـة العبّاسـيَّة، قبـل أنْ تسـقطَ بيـدِ الحمدانييـن الشّـيعةِ منتصـفَ القـرنِ العاشـر. وعندمـا زارَهـا الجغرافـيُّ والمـؤرّخُ اليعقوبـي فـي القـرن العاشـر ذكـر أنَّ «أهلَهـا قـومٌ مـن الفـرسِ، وفـي أطرافِهـا قـومٌ مـن اليمـن».[٥٨]

وخضعـتْ بعلبـك للحكـمِ الفاطمـي الإسـماعيلي الشّـيعي ابتـداءً مـن عـام ٩٧٠ مـع دخـولِ جعفـر بـن فـلاح الكتامـي لهـا،[٥٩] ولـم يكـنْ لذلـك

(I) أحد فقهاء الحنابلة المشهورين، وقد شارك في حملات كسروان التي شنّها المماليك.



عقود الجامع الكبير البيضاويَّة في بعلبك

تأثيـراتٌ كبيـرةٌ مذهبيًّـا علـى هُويَّـةِ السـكّان السّـنيَّة الطاغيـةِ علـى المدينـة. ثـمَّ كانـت فـي ظـلِّ المرداسـيين الشـيعة الاثنـي عشـريَّة عـام ١٠٢٤،(٦٠) قبـل أنْ يقضـي الفاطميـون علـى نفوذِهـم فـي المنطقـةِ إثـرَ واقعـةِ الأقحوانـةِ قـربَ طبريَّـة وقتـلِهم لقائدِهـم صالـح بـن مـرداس.(٦١) وعـام ١٠٧٥ انتقلـت إلـى الأميـر أتسـز بـن أوق الخوارزمـي بعـد سـيطرتِه علـى دمشـقَ لصالـحِ السـلجوقي ملكشـاه.(٦٢) ثـمَّ دخلـت بعلبـك فـي حكـمِ الزنكيّيـن ابتـداءً مـن عـام ١١٥٧،(٦٣) والأيوبيّيـن مـن عـام ١١٧٤،(٦٤) قبـل أنْ تصيـرَ لاحقًـا بيـدِ التتـار (المغـول) بقيـادة كتبغـا عـام ١٢٦٠ الـذي اعتقـلَ والـي قلعتهـا.(٦٥) ومـا لبثـت أنْ سـقطتْ كغيرِهـا مـن مـدنِ المنطقـةِ بيـدِ المماليـكِ وأتبعوهـا لنيابـةِ دمشـق.(٦٦)

وفـي فتـرةِ حكـمِ بهـرام شـاه الأيوبـي للمدينـةِ بـرزَ فيهـا أحمد بـن معقلِ

الأزديّ، وعنه قال الذهبي: «كبيرُ الرّافضةِ، ثخينُ الرّفضِ، وسكنَ بعلبك في صحبةِ الملكِ الأمجدِ، وقرّرَ له جامكيَّة[I] وتخرّجوا به في المذهب»،[٦٧] كما قال: «وعاش به رافضةُ تلك النّاحيةِ وأخذوا عنه»،[٦٨] مما يشيرُ إلى التواجدِ الشّيعيِّ. وبرزَ أيضًا الشّاعرُ الحسن ابن علي بن نصر بن عقل، أبو علي العبدي الملقّب بالصّمامِ، والذي اتصلَ بخدمةِ الأمجد أيضًا.[٦٩] وكذلك اسمُ الفقيهِ أحمد بن محسن بن ملّي الذي ترجمَه الذهبيُّ قائلًا: «وأخذَ الرفض والفلسفة عن جماعة».[٧٠] وأوضح البرزالي: «وكانت وفاتُه في جمادى الآخرة بقرية بخعون بجبل الظنّيين،[II] وكان قدِ الْتجأَ إلى هذا المكان بسببِ التتار».[٧١]

(I) «جمعها: جوامك وجماكي: عطاء، راتب، أجرة، وظيفة». رينهارت دوزي، **تكملة المعاجم العربيَّة**، وزارة الثقافة العراقيَّة، بغداد، ط١، من ١٩٧٩-٢٠٠٠، ج٢، ص ١٢٧.

(II) جبال الظنيين هي جبال بين طرابلس وبعلبك، كما ورد في (**شذرات الذهب في أخبار من ذهب** لابن العماد الحنبلي ج٧، ص ٧٧٨)، وهي المعروفة اليوم بالضنّيَّة، وتقع فيها قرية بخعون المعروفة باسمها إلى يومنا الحالي. في حين أنَّ أبا الفدا يذكر جبال الظنينين، وتتطابق أخبار حملة أقوش الأفرم على هذه الجبال كما يوردها مع تلك التي نصفها بجبال كسروان كما عند ابن سباط في **صدق الأخبار** وعند ابن تيميَّة في **جامع المسائل**.

الهوامش

(١) ليلى بدر، تاريخ لبنان القديم، مقالةٌ نُشرت ضمن كتاب **لبنان في تاريخه وتراثه**، مركز الحريري الثقافي، بيروت، ١٩٩٢، ص ٣٤.

(٢) محمد علي مكي، **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني**، دار النهار للنشر، بيروت، ط٥، ٢٠٠٦، ص ٥٦.

(٣) أحمد بيضون، **الصراع على تاريخ لبنان**، منشورات الجامعة اللبنانيَّة، بيروت، ١٩٨٩، ص ١٨٣.

(٤) أحمد بيضون، المصدر السابق، ص ١٨٣.

(٥) محمد كرد علي، **خطط الشام**، مكتبة النوري، دمشق، ج٦، ص ٢٥٢.

(٦) وضّاح شرارة، **الأمّـة القلقة ـ العامليون والعصبيَّة العامليَّة على عتبة الدول**، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٩٦، ص ٣٣.

(٧) جعفر المهاجر، **التأسيس لوجود الشيعة في لبنان وسوريا**، دار الملاك، بيروت، ١٩٩٢، ص ٧٢-٧٣.

(٨) جعفر المهاجر، المصدر السابق، ص ٨١.

(٩) جعفر المهاجر، المصدر السابق، ص ٩٦.

(١٠) جعفر المهاجر، المصدر السابق، ص ٩٧.

(١١) جعفر المهاجر، المصدر السابق، ص ١١٩.

(١٢) محمد حمادة، **تاريخ الشيعة في لبنان وسوريا والجزيرة في القرون الوسطى**، ص ١٢٦ - ١٢٧.

(١٣) جلال الدين السّيوطي، **تاريخ الخلفاء**، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ص ٣٢١.

(١٤) ابن جُبير، **رحلة ابن جُبير**، دار صادر، بيروت، ص ٢٧.

(١٥) المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ١٩٩١، ص ١٣٠.

(١٦) محمد علي مكي، **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني**، ص ٩٢.

(١٧) محمد علي مكي، المصدر السابق، ص ١٠٠.

(١٨) ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، دار حسّان للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٣، ج١، ص ١٨٢.
كذلك انظر/ي: سوزي حمود، **لبنان في العصر الوسيط منذ العهد الراشدي إلى نهاية عهد المماليك**، ص ٤٤.

(١٩) محمد علي مكي، **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني**، ص ١٠٢.

(٢٠) جعفر المهاجر، **شيعة لبنان والمنطلق الحقيقي لتاريخه**، دار بهاء الدين العاملي للنشر والتوزيع، بعلبك، ط١، ٢٠١٣، ص ١٣٦.

(٢١) محمد علي مكي، **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني**، ص ٢٠٥.

(٢٢) جعفر المهاجر، **شيعة لبنان والمنطلق الحقيقي لتاريخه**، ص ١٣٦.

(٢٣) ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، ط١، ١٩٨٦، ج٥، ص ٢١٤.

(٢٤) الذهبي، **تاريخ الإسلام**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٣، ج٣٠، ص ٢٣٦.

(٢٥) جعفر المهاجر، **شيعة لبنان والمنطلق الحقيقي لتاريخه**، ص ١٢٧.

(٢٦) الشريف المرتضى، **الرسائل**، دار القرآن، قُم، ١٤٠٥هـ ج١، ص ٣٠٩، ٣٥٩.

(٢٧) ناصر خسرو، **سَفَرْنامة**، ترجمة يحيى الخشّاب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٤٥، ص ١٣.

(٢٨) ابن العديم، **زبدة الحلب في تاريخ حلب**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٦، ص ١٣١.

(٢٩) المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ص ١٥٣.

(٣٠) الذهبي، **سِيَر أعلام النبلاء**، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٦، ج١٢، الطبقة ٢٠، ص ٢٧٤.

(٣١) الذهبي، المصدر السابق، ج١٧، الطبقة ٢٣، ص ٣٩٢.

(٣٢) الذهبي، المصدر السابق، ج١٧، طبقة ٢٣، ص ٦٤٥.

(٣٣) ابن خلّكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج٣، ص ٢٣٣.

(٣٤) ناصر خسرو، **سَفَرْنامة**، ص ١٥.

(٣٥) سوزي حمود، **لبنان في العصر الوسيط منذ العهد الراشدي إلى نهاية عهد المماليك**، ص ٤٤.

(٣٦) ابن القلانسي، **تاريخ دمشق**، ج١، ص ١٨٢.

(٣٧) ابن القلانسي، المصدر السابق، ج١، ص ١٩٧.

(٣٨) ابن القلانسي، المصدر السابق، ج١، ص ٢٩٠.

(٣٩) ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ج٨، ص ٣١٥.

(٤٠) اليعقوبي، **البلدان**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ص ١٦٤.

(٤١) عمر تدمري، **لبنان من قيام الدولة العباسيَّة حتى سقوط الدولة الإخشيديَّة**، دار جرّوس برس، طرابلس، ط١، ١٩٩٢، ص ٥٠.

(٤٢) الشريف المرتضى، **الرسائل**، ج١، ص ٣٥.

(٤٣) محمد علي مكي، **السياسة الشّيعيَّة في لبنان من القرن الـ١١ إلى القرن الـ١٤**، ندوة من ندوات متفرِّقة جُمعت تحت عنوان «حلقة دراسيَّة حول عاشوراء»، بيروت، ١٩٧٤، ص ٦٢.

(٤٤) أحمد حطيط، **سكان لبنان في زمن الحروب الصليبيَّة**، دار المحجة البيضاء، ط١، ٢٠١٠، ص ٣٢.

(٤٥) سوزي حمود، **لبنان في العصر الوسيط منذ العهد الراشدي إلى نهاية عهد المماليك**، ص ٧٠.

(٤٦) سوزي حمود، المصدر السابق، ص ٧٦.

(٤٧) محمد علي مكي، **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني**، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٤٨) علي داود جابر، **الحلقة الضائعة من تاريخ جبل عامل**، دار الهادي، بيروت، ٢٠٠٥، ص٢٠-٢١.

(٤٩) المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ص ٦٢.

(٥٠) ابن جُبير، **رحلة ابن جُبير**، ص ٢٧٤.

(٥١) أحمد العسيري، **موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر**، الرياض، ط١، ١٤١٧ هـ ص ٢١٥.

(٥٢) أحمد حطيط، **تاريخ لبنان الوسيط ـ دراسة في مرحلة الصراع المملوكي الصليبي**، منشورات دار البحار، بيروت، ط١، ١٩٨٦، ص ٩٦.

(٥٣) أحمد حطيط، المصدر السابق، ص ٨٥.

(٥٤) سبط ابن الجوزي، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، ج ٢٢، ص ٢١٩.

(٥٥) الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج١٥، ص ٣٨١.

(٥٦) أحمد ابن تيميَّة، **مجموع الفتاوى**، مجمّع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ٢٠٠٤، ج٢٨، ص ٤٠٠.

(٥٧) الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ ج١٠، ص ١٠٠.

(٥٨) اليعقوبي، **البلدان**، ص ١٦٤.

(٥٩) علي درة، **الصراع على المدن الداخليَّة في الحروب الصليبيَّة ـ بعلبك أنموذجًا**، ط١، ٢٠١٤، ص ٧٩.

(٦٠) علي درة، المصدر السابق، ص ٩٢.

(٦١) ابن العديم، **زبدة الحلب في تاريخ حلب**، ص ١٣١.

(٦٢) علي درة، **الصراع على المدن الداخليَّة في الحروب الصليبيَّة ـ بعلبك أنموذجًا**، ص ٩٣.

(٦٣) علي درة، المصدر السابق، ص ١٧٦.

(٦٤) علي درة، المصدر السابق، ص ٢٠٣.

(٦٥) اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، دائرة المعارف العثمانيَّة، الهند، ط١، ١٩٥٤، ج١، ص ٣٥٥.

(٦٦) علي درة، **الصراع على المدن الداخليَّة في الحروب الصليبيَّة ـ بعلبك أنموذجًا**، ص ٢٨٧.

(٦٧) الذهبي، **سِيَر أعلام النبلاء**، ج٢٣، الطبقة ٣٤، ترجمة ١٤٢، ص ٢٢٢.

(٦٨) الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج٤٧، ص ٢٤١.

(٦٩) الذهبي، المصدر السابق، ج٤٢، ص ٢٣٧.

(٧٠) الذهبي، المصدر السابق، ج٥٢، ص ٣٨٨.

(٧١) البرزالي، **المقتفي على الروضتين**، المكتبة العصريَّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ج٣، ص ٦٥.

الفصل الثالث

شيـعةُ لبنان في العصْر المَملوكي

تمـهيد

كانـت بـلادُ الشّـامِ ومصـرُ تُعانـي مـنَ الانقسـاماتِ والصّراعاتِ بيـن الأمراءِ الأيّوبييـن المستنــزَفين والمُنــهَكين نتيجـةَ صراعاتِهـم مـع الصّليبييـن وتـوزّعِ ولاءاتِهـم.[١] ولشَـدِّ أزرِهـم، بالـغَ هـؤلاءِ الأمـراءُ في اسـتقدامِ رقيقٍ أبيـضَ مـن آسـيا الوسـطى يُطلـقُ عليهـم اسـمُ المماليـك. واسـتطاع هؤلاء المتحكّمـونَ بالجيـشِ القبـضَ علـى مقاليـدِ الحكـمِ فـي مصـرَ بعـد زواجِ المَملوكـيّ التركمانـيّ عـز الدّيـن أيبـك أتابـك العسـكر، مـن شـجرةِ الـدّر، أرْملـةِ أو جاريـةِ الصّالـح أيّـوب، والتـي تنازلـتْ لـه عـن الحكـمِ لإرضـاءِ الخليفـةِ العبّاسـي والفقهـاء الذيـن رفضـوا تولّـي امـرأةٍ للحكـم.[٢] كمـا تخلّـص المماليـكُ مـن طـوران شـاه ابـن الصالـح نجـم الديـن أيـوب.[٣]

بالمـرورِ علـى معركـةِ عيـن جالوت عـام ١٢٦٠، فقد كانت حاسـمةً لكَسـر هيبـةِ المغول/التـتار، بـل قالـتْ كلمـةَ الفصـلِ بيـن المماليـكِ والأيوبييـن العاجزيـن، وجعلـت الشـام تحـت سـيطرة القـوة الإسـلاميَّة الجديـدة.[٤] وهكـذا وجـدَ المماليـكُ أنفسَـهم فـي مواجهـةِ الصّليبييـن سـاحلًا بعدمـا سـيطروا علـى البقـاعِ وبـلادِ الغـرب فيـه، وتمكّنـوا مـن طردِهـم منـه بعـد حوالـى ثلاثـة عقـود. وكان هـدمُ المماليـكِ لعـددٍ مـن المـدنِ السّـاحليَّة بعـد تحريرِهـا،[٥] ومنهـا طرابلـس وصـور، سـاهمَ فـي هجـراتٍ مـن شـيعةِ المدينــتَين باتجـاه الداخـلِ، نحـو جبـلِ لبنـان وعمـق جبلِ عامل؛ فسـاعدَ

ذلـك فـي الحشـدِ السّـكّاني لهاتيـن البقعتيـن الجغرافيتيـن اللتيـن شـهدتَا قبـلُ نزوحًـا سكّانــيًّا باتجاهِهمـا هربًـا مـن الصّليبيّين. وهكذا خضـعَ لبنان بمكوّناتِـه المتباينـةِ لسـلطةِ المماليـكِ التي سـتمتدُّ لحوالـي قرنين ونصفِ القـرن مـن الزمنِ.

١) الواقع الشيعي في ظلِّ حكم المماليك

بحسـب مـا ورد عنـد المؤرِّخيـن فقـد كان المماليـكُ شـديدي التّعصُّـبِ لمذهـبِ أهـلِ السُّـنّة، وقـد انعكـسَ ذلـك ارتيابًـا وظُلْمًـا منهـم حيـالَ باقـي الفِـرقِ الإسـلاميَّة، ومنهـا الشّـيعة.[٦] فالمماليكُ نشـأوا كدولـةٍ دينيَّةٍ، وعـزّزوا منصـبَ الخلافـةِ العبّاسـيَّة وجعلـوا عاصمتَهـا القاهـرة،[٧] وقرّبـوا منهـم الفقهـاءَ الذيـن كانوا يُشـاركونَهم الحَمَلات، ومشـاركةُ ابـنِ تيميَّة في حملتيـن علـى بـلاد كسـروان خيـرُ مثـال، وكذلـك حملـةُ بيبرس نحـو قلعةِ الشّـقيفِ لـتَحريرِها مـن الصّليبييـن، وقـد ذكـر المقريـزي تقديـمَ الفقهاءِ للجهـاد فيهـا.[٨] علـى ذلـك، قامَ بيبـرس، وعلى خطـى الزنكيّيـن والأيّوبيّين قبلـه، بـتَحريم أيِّ مذهـبٍ غيـر المذاهـبِ السّـنيَّة الفقهيَّـة الأربعـة، فـلا يُرشَّـحُ لوظيفـةِ القضـاءِ أو الخطابـةِ أو الإمارةِ أو التدريـسِ إلّا مَن كان على هـذه المذاهب.[٩]

وبلغـتْ أمور الشّـيعةِ من السّـوءِ درجـةَ أنَّ مَن كان يريدُ أنْ يكيدَ لشـخصٍ مـا، يرميـه بالتّشـيّع لمـا يترتـبُ علـى ذلـك مـن تبعاتٍ عليـه. فها هـو ابن حجـر العسـقلاني،[١٠] يـروي فـي ترجمـةِ جلال الدّيـن الأسـنائي، كيف كان بنـو السّـديدِ يحسـدونَه، فدَسّـوا عليه مَن رماهُ بالتّشـيّع، فاضطُّـرَّ أنْ ينطقَ الشـهادتين ويتبـرأَ ويُظهـرَ التّوبـةَ مـن الرفضِ لينجـو. ويخبرُنا القلقشـندي عـن منـعِ أهـلِ صيـدا وبيـروت وأعمالِهمـا مـن اعتقـادِ الرّافضـةِ والشّـيعةِ وردعِهـم، والرجـوعِ إلى السُّـنّة.[١١]

مـن الطّبيعـي إذًا بسـببِ هذا التّضييـقِ والتّنكيلِ، أنْ يصبحَ السُّـنّة مذهبَ السّـواحلِ ومدنِهـا،[١٢] بينمـا يكون مذهبُ الشّـيعةِ وغيرِهـم، وعلى مراحلَ عـدةٍ حتـى منـذ الوجـودِ الصّليبـيّ فـي السّـاحلِ، هـو مذهـب الدّاخـلِ والجبال.[١٣]

ومـا أنِ انتهـى المماليـكُ مـن صراعِهـم مع الصّليبيّيـن وتحريرِهم للسّـاحلِ منهـم، حتـى تفرَّغوا للمناطـق التي كانـوا يعتبرونها ذات نطاقٍ استـقلاليٍّ جغرافـيٍّ ومذهبـيٍّ خـارجَ نطـاقِ سـيطرتِهم. وكان لجبـالِ كسـروان نصيبٌ كبيـرٌ مـن هـذه الحمـلاتِ، وأعنفُهـا الأخيـرةُ. فالمماليـكُ كانـوا يـرونَ فـي أهـلِ الجبـالِ هنـاك خطـرًا سياسـيًّا كبيـرًا، خلافًـا لباقـي الأقلّيّـات. يرجـعُ ذلـك لأسـباب: **أولًا**، كثـرتُهم؛ **ثانيًا**، حصانـةُ بلادِهـم وصعوبـةُ مسـالِكها علـى الجيـوش؛ **ثالثًـا**، الموقـعُ المميّـزُ القريبُ نسـبيًّا من بيـروت والمُؤدّي مـن خـلال سـاحلِه إلى الشّـمالِ، إضافـةً إلى الفصلِ بيـن السّـاحلِ والبقاع؛ **رابعًـا**، نزعـةُ الاسـتقلاليَّةِ التـي تمتّعتْ بهـا الجماعاتُ هناك منـذ التواجدِ الصّليبـي على السّـاحلِ.[١٤]

ولعـل التّشـيُّعَ فـي لبنان وقتَهـا قد دفعَ ثمـنَ العلاقةِ الجيـدةِ التي قامت بيـن أحـد أهـمّ الفقهـاء العراقييـن الشـيعة العلّامـة الحِلّـي[I] مـع الخـانِ المغولـي ـ التتـاري أولجايتـو خدابنـدا[II] المنتقـل إلـى التّشـيُّع والمقـرِّ لـه كمذهـبٍ رسـميٍّ للدولـة المغوليَّـة، فقـد كان للعلّامـةِ دورٌ كبيـرٌ فـي بـلاطِ الخـانِ، وحَظِـيَ عنـده بمكانـة فريـدة.[١٥] ولـه جـولات مـن الصراع الأيديولوجـي الدينـي مـع الفقيـه ابـن تيميَّـة[١٦] الـذي سـيضطلع بـدور كبيـر فـي الحمـلات المملوكيَّـة على كسـروان.

(I) ابن المطهّر الحِلّي، «عالِم الشيعة وإمامهم ومصنِّفهم، وكان آية في الذكاء[...] وهو الذي ردّ عليه الشيخ تـقي الدين ابن تيميَّة في كتابه المعروف بالردّ على الرافضة. وكان ابن المطهّر مُشتهر الذكاء ريِّض الأخلاق». انظر/ي: العسقلاني، **لسان الميزان**، دار البشائر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢، ج٣، ص ٢١٥.

(II) ثامن ملوك الأيلخانيَّة، وهو ابن حفيد هولاك. حَكَم بين عامي ١٣٠٤ و١٣١٦.

٢) الحـملات على كـسروان

أ- الحملةُ الأولى

قامـت عـام ١٢٩٢ بقيـادةِ نائـبِ السّـلطان بـدر الدّيـن بيـدرا. وكان ذريعة مـن شـنّها، مُمـالأةَ أهـلِ الجبـلِ للصّليبيّيـن علـى المسـلمين،[١٧] إذ إنَّهـم «كانـوا يقفـون موقفًـا عدائيًّـا مـن المماليـكِ أثنـاء الصّـراعِ بيـن المماليـكِ والصّليبيّيـن بالشّـام»،[١٨] ولأنَّهـم عُصـاةٌ علـى نائـب الشّـام، وكانـوا ينزلون مـن الجبـلِ ويقطعـون الطّريـقَ علـى التّجـارِ والمسـافرين.[١٩] وعـادت الحملـةُ شـبه مهزومـة[٢٠] بعدمـا تمكّن الكسـروانيّون «من أطـراف الجيش فـي تلـك الجبـال الوعـرة»[٢١] ومُنيـتْ بالفشـلِ،[٢٢] ممـا زادَ مـن حنـقِ المماليـكِ المزهوّيـن بانتصاراتهـم علـى الصّليبيّيـن والتّتـار.[٢٣]

ب- الحملةُ الثانية

كانـت عـام ١٣٠٠ بقيـادةِ نائـبِ السّـلطنة جمال الدّيـن أقوش الأفـرم، ومعه الفقيـه ابـن تيميَّـة الحرّانـي الـذي بـرز دوره فـي الحملـة كوسيط بيـن الكسـروانيين والسـلطة المملوكيَّـة.[٢٤] وكانـت الذّريعـةُ هـذه المـرةُ سـوءَ معاملـةِ أهـلِ الجبـلِ للمماليـكِ المنهزميـن أمـام المغول/التتـار فـي معركةِ مجمـعِ المـروجِ بيـن حِمـص وحماة، في العام نفسـه. وكان هـؤلاء المماليكُ يسـلكون الطّريقَ الدّاخليَّة عائدين إلى مصر، بعد هجومِ التّتار على دمشـق أيضًـا، فقـام أهـلُ الجبـلِ بالانقضـاضِ عليهم فقـتلوا منهم ونهبوهـم.[٢٥]

وتظهـرُ مـن بعـضِ الرّوايـات إشـاراتٌ إلى سـببٍ سياسـيٍّ آخر، وهـو أنَّ أهل كسـروان لـم يكونـوا يدخلـون فـي طاعـةِ الجُنـدِ، وإنْ كانـت نصوصهـا لـم تخـلُ مـن توصيفـاتٍ مذهبيَّـة. فهـا هو ابـنُ كثير الدمشـقيّ يقـول: «وخرجَ


رسم لابن تيميَّة

الشَّـيخُ تقـيُّ الدّيـنِ ابْـنُ تيْمِيَّـةَ ومعَـهُ خلـقٌ كثيرٌ مـن المطَّوِّعةِ والحوارِنَـةِ لقتـالِ أهْـلِ تلـكَ النَّاحيـةِ، بسـببِ فسـادِ دينهِـم وعقائدهـم، وكُفرهـم وضلالهِم، ومـا كانُـوا عاملُـوا بـهِ العسـاكرَ لمَّا كسـرهمُ التَّتـرُ وهربوا، حينَ اجْتَـازُوا ببلَادِهـم وثبُـوا عليهـم ونهبوهـم، وأَخَـذوا أَسـلحتهُم وخيولهـم، وقتلـوا كثيـرًا منهُـم، فلمَّـا وصلـوا إلى بلادهِم جاءَ رؤسـاؤهم إلى الشَّـيخ تقـيِّ الدِّينِ ابْـنِ تيمِيَّةَ، فاسـتتابَهم، وبيَّـنَ لكثيـرٍ منهـمُ الصَّـوَابَ [...] والتـزموا بـرَدِّ ما كانُـوا أَخذوهُ مِـن أَمـوالِ الجيـشِ، وقـرَّرَ عليهـم أَمـوالًا كثيـرةً يَحمِلونهـا إلـى بيـتِ المالِ، وَأُقْطِعـتْ أراضيهـم وضِياعهـم، ولَـمْ يَكونـوا قبـلَ ذلـكَ يدخلـونَ فـي طاعةِ الجُنـدِ ولا يلتَزِمـونَ أحـكامَ المِلَّـةِ، ولا يَدينـونَ ديـنَ الحـقِّ، ولا يُحرِّمـونَ مـا حـرَّمَ اللَّـهُ ورسُـولُه».[٢٦]

أمَّـا المقريـزي فيـروي: «وجّـهَ الْأَمِيـرُ أقـش [كـذا فـي الأصـل] الأفـرم مـن دمشـق لغـزوِ الدّرزيَّـةِ أهـلِ جبـال كسـروان، فَـإِنَّ ضررَهـم اشْـتَدَّ ونـالَ الْعَسْـكَر عِنْـد انهزامهـا مـن غازان إلـى مصر مِنْهُـم [...] فزحفتِ العسـاكرُ السُّـلْطَانِيَّة [...] وقاتَلوهـم سِـتَّة أَيَّـامٍ قتـالًا شَـدِيدًا إِلـى الْغَايَـة، فَلم يثبتْ أهـلُ الْجبَـال وانهزموا [...] واسـتدعوا مشـايخَهم وأَلْزموهـم بإحضارِ جَمِيعِ مَـا أُخـذَ مـن الْعَسْـكَر وَقـت الْهَزِيمَـة [...] فقـرّر عَلَيْهِم الْأَمِيـر أقش الأفرم مبلـغ مائـة ألـف دِرْهَـمٍ جَبوها وَأخذَ عـدَّةً من مشـايخِهم وأكابرِهـم وَعَادَ إِلى دمشق».[٢٧]

فبحسـب نَصَّـي المقريـزي وابـن كثيـر، كانـت نتيجـةُ الحملـةِ أن أذعـنَ

أهـلُ الجبـلِ، لكـن دون أنْ يعنـيَ ذلك كسـرَ شـوكتِهم أو سـقوطَ مناطقِهم فـي طاعـةِ المماليـك. فلعـلَّ الكسـروانيين قـد قـرّروا عـدم مواجهـة هـذه الحملـة، بـل الاستسـلام لهـا مقابـل دفـع الضريبـة السـنويَّة.(٢٨)

ج- الحملةُ الثالثة

حصلـت عـام ١٣٠٢، بعدمـا أقطعَ أقـوشُ الأفرمُ أهـلَ كسـروان لمُجاوريهم التّنوخيّيـن الذيـن فرضـوا ضرائبَ باهظةً على الكسـروانيّين ووقـعَ الصّدامُ بينهـم، وكان مـن نتيجـةِ ذلـك أنْ أرسـلَ المماليـكُ قـوةً إلى كسـروان، وقد مُنيَـتْ بهزيمـةٍ «وغُنِمَتْ أمتعتُهم وسـلاحُهم».(٢٩)

وهـذه المعركـةُ لـم يذكرْهـا مؤرِّخـو العصْـرِ المملوكـيّ رغـمَ رواياتِهـم، بإسـهابٍ، عـن الحمـلاتِ علـى كسـروان.(٣٠)

د- الحملة الرّابعة (الفتـوح)

كان عـام ١٣٠٥ قاصمًـا لظهـرِ أهلِ الجبـلِ، فقد جهّز نائبُ السّـلطنة أقوش الأفـرم جيشًـا شـاميًا كبيـرًا لشَـنِّ حملـةٍ حاسـمةٍ شـارك فيهـا نـواب الشـام وطرابلـس وصفـد، إضافـة إلـى الأمـراء التنوخييـن (الـدروز).(٣١) كمـا انضمَّ إليهـا الفقيـه ابـن تيميَّـة، ويظهـر أنَّ اختيـار المماليـك له ليكـون في هذه الحملـة، وليقـوم بـدور تفاوضـي ما، نابـعٌ من كـون الكسـروانيين يعرفونه مـن الحملـة الثانية.(٣٢)

وبخصـوص الحملـة يقول ابنُ تيميَّة: «فـإنَّ أكثرَ الرّوافـضِ ونحوهم من أهلِ البِدعِ هواهُم مع العدوّ، فإنَّهم أظهروا السـرورَ بانكسـارِ عسـكرِ المسـلمين، وأظهـروا الشّـماتةَ بجمهـورِ المسـلمين. وهذا معـروف لهم من نَوبـةِ بغدادَ وحلـب، وهـذه النّوبـةُ أيضًا، كمـا فعلَ أهلُ الجبـلِ الجردِ والكَسْـرَوان، ولهذا

خَرَجنـا فـي غزوِهـم».[٣٣] ويتابـع: «ولهـذا لمَّا قَـدِمَ التَّتـارُ إلى البـلادِ وفعلوا بعسـكرِ المُسـلمينَ مـا لا يُحصَـى مِـنَ الفسـادِ وأَرسـلوا إلـى أهـلِ قبـرُصَ فملكـوا بعـضَ السَّـاحلِ وحملـوا رايـةَ الصَّليبِ وحملـوا إلى قبـرُصَ مِنْ خيلِ المُسـلمينَ وسـلاحِهم وأسـراهُم مـا لا يُحصـي عـددهُ إلَّا اللَّـه وأُقيمَ سـوقُهُم بالسَّـاحلِ عشـرينَ يَومًـا يبيعـونَ فيهِ المُسـلمينَ والخيلَ والسِّـلاحَ على أهلِ قُبـرُصَ وفرحـوا بمجـيءِ التَّتَـار [...] كانـوا في قطـع الطرقات وإخافة سـكان البيوتـات علـى أقبح سـيرة عُرفت مِـنْ أهل الجنايـات».[٣٤]

وأمّا أبو الفدا، فيروي: «فيها سـارَ جمالُ الدِّين أقوش الأفرم بعسـكرِ دمشق وغيـرِه من عسـاكرِ الشّـام، إلى جبـالِ الظنّينيـن،[I] [...] فأحاطتِ العسـاكرُ الإسـلاميَّة بتلـك الجبـالِ المَنيعـةِ، وترجّلـوا عـن خيولهم، وصَعَـدوا في تلك الجبـالِ مـن كلِّ الجهـاتِ، وقتلـوا وأسَـروا جميـع مَـن بهـا مِـنَ النّصيريَّـة والظنينيـن وغيرِهـم من المارقيـن، [...] وأمِنَتِ الطرقُ بعد ذلـك [...]».[٣٥] ويقـول ابـن كثيـر: «وفـي ثانيـهِ خَرجَ نائـبُ السَّـلطنةِ بِمَـنْ بقيَ معـهُ مِنَ الجيـوشِ الشَّـاميَّةِ، وقـدْ كانَ تقـدَّمَ بَيـنَ يدَيْـهِ طائفَـةٌ مِنهُم مع ابْـنِ تَيْمِيَّةَ فـي ثاني المُحَرَّمِ، فسـاروا إلى بـلادِ الجُردِ، والرَّفـضِ، والتَّيامِنَةِ، فخرجَ نائبُ السَّـلطنةِ الأفـرَمُ بِنَفسـهِ بعدَ خروجِ الشَّـيخِ لغَزوهِـم، فَنصَرهُم اللَّـهُ...».[٣٦] ولـدى ابـن سـباط: «وفـي هـذه السَّـنةِ سـارَ جمـالُ الدِّيـن أقـوَش الأفـرم نايـبُ الشـامِ بعسـاكر الشـام وغيرهـا يـوم الاثنين ثانـي المُحَرّمِ إلـى جبالِ كسـروان، وكانـوا سَـكَنُها عُصـاةً مارقيـن مـن الديـن، فحاطَـت العسـاكرُ الإسـلاميَّةُ بتلـكَ الجبـالِ المنيعـة، وترجّلـوا عـن خيولِهـم وصعـدوا في تلكَ الجبـالِ مـن كل الجهـات[...] وقتلـوا وأسَـروا جميـعَ مَـنْ بهـا مـن الدُرزيَّـة والكسـروانيين وغيرهـم مـن المارقيـن، وتطهّرت تلـكَ الجبـالُ منهم، وهي

(I) تَرِد التسمية عند أبي الفدا على هذه الشاكلة باختلاف عن لفظة ظنّيين التي يُوردها البرزالي، كما في النصِّ عند إشارته إلى جبال الظنّيين.

جبالٌ شاهقةٌ بين دمشقَ وطرابلس، وأمنت الطرقُ بعدَ ذلك، فإنَّهم كانوا يقطعون الطريقَ ويتخطّفونَ المسلمينَ ويبيعونهم للكُفّار».[٣٧]

إذًا، وانطلاقًا مما ذُكِر أعلاه، يظهر أنَّ أسبابَ هذه الحملة متنوعةٌ، منها ما يرتبطُ بالدّين، ومنها ما يتّصلُ باعتراضِ أهلِ الجبلِ لـ«المسلمين»[I] وتجارتِهم، ومنها ما يتعلّقُ بشماتةِ أهلِ الجبلِ بانكسارِ عسكرِ «المسلمين» أمام المغول، ومنها لقطعِهم الطّرقاتِ وإغاراتِهم على القوافلِ والبيوت؛ لكن، وبمنظار السياسة، يبقى السّببَ الرئيسيَّ كسرُ خروجِ هذا الجبل عن طاعة السّلطنة السياسيَّة والأيديولوجيَّة ـ المذهبيَّة.[٣٨]

كذلك لعله قد كان للعلاقةِ المميّزة التي كانت تجمع في ذلك الوقت بين الخان التتاري أولجايتو والفقيه العراقي العلّامة الحِلّي، الدور في تأجيج الموقف المملوكي من الشيعة بشكل عام.

٣) هويَّة المستهدَفين من الحملات

بالرجوعِ إلى العديدِ من الرّوايات، سنجدُ إشاراتٍ متنوّعةً إلى هُويَّةِ الجماعاتِ التي سكَنَتْ هذه الجبالَ وتحصّنتْ فيها. وبعضُ واضِعيها كانوا من المعاصرين لتلك الحملات، كابن تيميَّة (١٢٦٣-١٣٢٨) وأبي الفدا (١٢٧٣-١٣٣١)، وشمس الدين الذهبي (١٢٧٤-١٣٤٨).

ووفق الذهبي: «وكانوا من النّصيريَّة والعلويين والمتَأولَة».[٣٩] ولدى أبي الفدا في الحملةِ الرّابعة: «وكانوا عُصاة مارِقين منَ الدّين وقتلوا وأسَروا جميع مَنْ بها من النّصيريَّة والظنّينين وغيرهم من المارِقين».[٤٠]

أمّا ابنُ تَيْميَّة، فيقولُ حول الحملةِ الرّابعة: «أَهلُ البدعِ المارِقون

(I) كان المؤرخون والفقهاء المؤيّدون للمماليك يستخدمون هذا المصطلح على سبيل تمييز سكان تلك الجبال عن المسلمين السُّنّة.

وذوو الضـلالِ المنافقـون الخارجـون عـن السُّـنَّة والجماعـةِ المفارقـون للشِّـرعة والطّاعـة [...] هـؤلاء وجنسـهُم مـنْ أكابـر المُفسِـدين فـي أمـرِ الدّنيـا والدِّيـن [... لاعتــقادِهم] أنَّ أبـا بكْـرٍ وعمـرَ وعثمـانَ وأهْـلَ [كـذا فـي الأصـل] بـدرٍ وبَيعةَ الرِّضـوانِ وجمهـورَ المهاجِرينَ والأنصـارَ والتَّابعينَ لهـم بِإحسـانٍ وأَئمَّـةَ الإسـلامِ وعلماءهـم أهل المذاهـبِ الأربعـةِ وغيرهُم ومشـايخَ الإسـلامِ وعبَّادهُم وملوكَ المسـلمينَ وأجنادهم وعوامَّ المُسلمينَ وأفرادَهُـم. كلُّ هـؤلاءِ عندهُـم كفَّـارٌ مرتـدُّونَ أكفرُ مِـنَ اليهـودِ والنَّصارى؛ لأنَّهـم مرتـدُّونَ عندهـم والمُرتـدُّ شـرٌّ مـن الكافـرِ الأصلـي [...] هم وسـائرُ أهـلِ هـذا المذهـبِ الملعـونِ [...] عندهُـم أنَّ كلَّ مـنْ لـم يوافقهُـم على ضلالهـم فهـوَ كافـرٌ مرتـد. ومَن اسـتحلَّ الفُقَّاعَ فهـوَ كافرٌ. ومنْ مسـحَ على الخُفَّيـن فهـوَ عندهـم كافِـر. ومَـنْ أحـبَّ أبـا بكـر أو عمـر أو عثمـان أو ترضَّـى عنهُـم أو عـن جماهيـرِ الصَّحابَـة فهـو عندَهُـم كافـر. ومَـنْ حـرَّمَ المُتعـةَ فهـوَ عندهُـمْ كَافـر. ومنْ لَـم يؤمِـن بمُنتظرهِم فهو عندهُـم كافِر. وهـذا المنتظـرُ صبـيٌّ عمره سـنتانِ أو ثـلاثٌ أو خمـسٌ. يزعمـونَ أنَّه دخلَ السِّـردابَ بسـامرّا مِـن أكثرِ مِـن أربعمائةِ سـنةٍ. وهو يعلمُ كلَّ شـيء. وهو حجَّـةُ اللَّـهِ علـى أهـلِ الأرض. فمـنْ لـم يُؤمِـن بـه فهـوَ عندهُم كافـر [...] وعندَهُـم مَـنْ قـالَ إنَّ اللـهَ يُـرَى فـي الآخـرةِ فهُـو كافِر.

ومَـنْ قـالَ إنَّ اللـهَ تَكلَّـمَ بالقُـرآنِ حقيقةً فهُـوَ كافِر. ومَنْ قـالَ إنَّ اللهَ فوقَ السَّـماواتِ فهُـو كافِـر. هـذا هـو المذهبُ الـذي تُلقّنُه لهـم أئِمَّــتُهُم. مثل بنـي العودِ، فإنَّهم شـيوخُ أهلِ هـذا الجُبِّ».[٤١] ويكتـبُ أيضًا: «وفي هؤلاءِ خَلـقٌ كثيـرٌ لا يُقرُّونَ بصـلاةٍ ولا صيامٍ ولا حجٍّ ولا عمـرةٍ ولا يحرِّمونَ الميْتةَ والـدَّمَ ولحـمَ الخِنزيـرِ ولا يؤمنـونَ بالجنَّـةِ والنَّـار. مِـنْ جنسِ الإِسـماعيليَّة والنُصيريَّـة والحاكميَّـةِ والباطنيَّةِ [...]».[٤٢]

وأمّـا لـدى المتأخّريـن زمانًا عـن الأحداثِ، فيـورد ابنُ كثيـر (١٣٠١-١٣٧٣) عـن الحملـةِ الثانيـة: «بسـببِ فسـادِ دينِهـم وعقائدِهـم وكفرِهـم [...] ولا

يلتزمـون أحـكامَ الملّـة، ولا يَدينـون بديـنِ الحـقِّ، ولا يُحرِّمون ما حـرّم اللهُ ورسـولُه». وبخصـوصِ الحملـةِ الثّالثـة: «فسـاروا إلـى بـلادِ الجـردِ والرّفـضِ والتّيامنـةِ وبـادوا خَلْقًـا كثيرًا منهم ومن فرقتِهم الضّالـة». ويقول المقريزي (١٣٦٤-١٤٤٢) عـن الحملـةِ الثانيـة: «الدّرزيَّـة أهلُ جبالِ كسـروان». وعند ابـنِ سـباط (توفـي ١٥٢٠) فـي الحملـةِ الثّالثـة: «وكانـوا سَـكنها عصـاةً [كـذا فـي الأصـل] مارِقيـن في الدِّيـن، وأسَـروا جميعَ مَـن بها مـن الدّرزيَّة والكسـروانيّين وغيرهـم مـن المارقين».

مـن هـذه النّصـوصِ إذًا، نجـدُ إشـاراتٍ تـدلُّ علـى كـونِ أبنـاءِ الجماعاتِ السّـاكنةِ لهـذه الجبالِ ليسـوا علـى ذاتِ هُويَّـةِ مُهاجمِيهم مـن المماليك، حيـث وُصِفوا بــفسادِ الدّيـن والعقيدة، والانحرافِ عن الملّةِ، والاسـتِتابة، وأنَّهـم كانـوا كفَّـارًا ومارقيـن وخارجيـن عـن السُّـنّة والجماعـةِ ومفارِقين للشّـريعةِ، ومُفسِـدين فـي أمـرِ الدِّيـن، وأهـلَ البـدعِ... وغيرهـا مـن العبارات.

لكـنَّ هـذه النّصوصَ عامةٌ، وتدلُّ بحسـبِ الثّقافـةِ الفقهيَّـةِ والعقيديَّةِ لذلك العصرِ، على تبايُنِ هذه الجماعاتِ مذهبــيًّا عن السّلطنةِ وفقهائِها وأصحابِ النّصـوصِ التّاريخيَّـة، وليس على الهُويَّـةِ المذهبيَّةِ المغايرةِ الخاصة.

لكـن يبقـى نـصُّ ابنِ تيميَّـة التّفصيلي، الدقيـق فقهيًّا وعقائديًّا، هو الحاسـمُ فـي هـذا المجـالِ الجدَلـي. فهـو يركّـزُ فـي إسـهابِه الطّويـلِ علـى الهُويَّـةِ المذهبيَّةِ الاثني عشـريَّة المسـيطرةِ في كسـروانَ دون إغفالِهِ ذكـرَ الهُويّاتِ الأخـرى. وقـد كان جبـلُ لبنـان ملجـأً للفِـرقِ المغايـرةِ مذهبيًّا للسّـلطنةِ، وتقصـدُه الجماعـاتُ بكثـرةٍ منذ سـيطرةِ الصّليبيّيـن على السّـواحلِ لتختلطَ بمـن كان فيـه مـن السّـكانِ وليشـكّلا معًـا تكتُّـلًا بشـريًّا كبيرًا.

ويظهـرُ أنَّ الشّـيعةَ الاثنـي عشـريَّة والنّصيريَّـة كانتـا فـي ذلـك الزّمـانِ جماعتَيـن متداخلَتيـن عقائديًّـا وسـكانيًّا، وحتـى فـي توصيـفِ المؤرّخيـن

السُّـنّة لهمـا. فهـا هو ابـنُ حجـرِ العسـقلاني (١٣٧٢-١٤٤٩) القريـبُ زمانًا مـن تلـك الفتْـرةِ يكتـبُ عن الشّـهيد الأولِ الاثني عشـري الذي سـيردُ ذكرُه لاحقًـا بالتفصيـل أنَّـه «قُتِـلَ علـى الرّفـضِ ومذهـبِ النّصيريَّـة».[٤٣]

يبقـى أنْ نشـيرَ إلـى أنَّـه فـي زَجَليات ابـن القلاعـي المارونـي (١٤٤٧-١٥١٦) مـا يُفيـدُ بـأنَّ المماليـكَ هُزمـوا أمـامَ مقدّمـي الموارنةِ فـي حملةِ ١٢٩٢، وكذلـك ذكـرَ بخصـوصِ حملـةِ ١٣٠٥ أنَّ نكبةَ كسـروان كانتْ نكبةَ الموارنـةِ فـي المنطقـة. فلعـلّ تلـك الحمـلاتِ قـد شـملتْ أيضًـا المناطقَ الجبليَّـةَ المارونيَّـةَ فـي جُبيـل وكسـروان، فنالَهـا مـا نالها من الخـراب.[٤٤] و**زجليـات جبرائيـل ابـن القلاعـي** المتأخّـر زمانًـا بأكثـر مـن قرنيـن عـن الأحـداثِ، هـي المصـدرُ الأقـدمُ الـذي يشـيرُ إلـى كـونِ المسـيحيين الموارنـة طرَفًـا فـي هـذه الحمـلات، وهـو مـا لـم يتطـرَّقْ إليـه أحـدٌ مـن المؤرّخيـن المعاصريـن للأحـداثِ أو الأقـرب زمانًـا منهـا. وعليهـا اعتمـدَ المؤرّخـون اللّبنانيـون الكلاسـيكيون لاحقًـا، كإسـطفان الدويهـي (١٦٣٠-١٧٠٤) وطنّـوس الشّـدياق (١٧٩١-١٨٦١).[٤٥]

٤) نـتائج الحمَلات على كسروان

بعـد خضـوعِ جبـالِ كسـروانَ للمماليـكِ، واصـلَ بهـاءُ الدّين قراقـوش الذي عيَّــنه أقـوشُ الأفـرَمُ ناظـرًا علـى بعلبـك وكسـروان، محاربـةَ مَنْ بَــقِيَ من الكسـروانييّن هنـاك، فقتـلَ بعـضَ أعيانِهـم وأمّـنَ مَـنْ خـرجَ منهـم.[٤٦] ثمَّ تـمَّ إقطـاعُ المنطقـةِ للتُّركمـان.[٤٧] كمـا اسـتُقْدِمَتْ جماعـاتٌ مـن هـؤلاء وأُسْـكِنَتْ فـي أزواقٍ للحفـاظِ علـى المنطقـةِ السّـاحليَّةِ من ظاهـرِ بيروتَ نحوَ عمـلِ طرابلـس.[٤٨]

وأدّتِ الحمـلاتُ علـى كسـروانَ إلى نـزوحِ أهلِها إلى مناطـقَ أخرى، فانتقلَ الشّـيعةُ نحـو جزّيـنَ التـي ازدادتْ أهميتُهـا كمركـزٍ شـيعيّ قيـادي، ونحـو

بعلبـك والبقـاعِ، مـع اسـتمرارِ جبـلِ عامـلٍ كتواجـدٍ مركـزيٍّ لهـم.[٤٩] بينمـا نـزحَ معظـمُ النّصيريّيـن شـمالًا باتجـاه جبـالِ العلويّين في سـوريا، وبقيت جماعـاتٌ منهـم في لبنـان.[٥٠]

وهكـذا خضـعَ الشّـيعةُ لسـلطةِ الأمرِ الواقـعِ التي كانتْ لا ترى شـرعيَّةً لأيِّ انتمـاءٍ خـارجَ المذاهـبِ السّـنيَّة الأربعـة، فكان عليهم أنْ يُخفوا طقوسَـهم، وأنْ يلتزمـوا بالتّقيَّـةِ؛ فتحوّلـتْ جماعـاتٌ منهـم للمسـيحيَّةِ، وأخـرى للمذهـبِ السُـنّي،[٥١] خصوصًـا مـن شـيعةِ السّـواحل الذيـن وُصفـوا عنـد أحـد المؤرِّخيـن الشـيعة بـ«الشّـيعة المتخاذلـة».[٥٢] وأصبـح الشّـيعةُ فـي جزّيـنَ وجبـلِ عامـلٍ أمـام مرحلـةٍ جديـدةٍ تتطلّـبُ منهـم إعادةَ اسـتجماعِ أنفسِـهم، سـواءٌ كان بسـببِ موجةِ التسـنُّنِ التي حصلتْ ساحلـيًّا، وبدرجةٍ أقـلَّ داخليًّـا، أو لمواجهـةِ النّـازحِ النّصيـري الجديـد، والـذي قـد يكـون لـه دورٌ فـي الصّـراعِ الـذي نشـأَ زمـنَ الشـهيدِ الأوّلِ شـمس الدّيـن محمـد بن مكـي الجزّينـي نهايـة القـرن الرّابع عشـر.[I]

٥) الشهيد الأول ومشروع استـنهاض الطائـفة

فـي جزّيـنَ، البلدةِ المُحصَّنـةِ طبيعيًّا والبعيـدة عن مراكزِ سـلطةِ المماليكِ وأعيُنِهـم والتابعـةِ لدمشـق إداريًّـا، بـرزَ محمد بن مكـي الملقّبُ بالشّـهيدِ الأوّلِ (١٣٣٣-١٣٨٤) كقائـدٍ دينيٍّ شـيعيٍّ لإعادةِ إحيـاءِ الجماعةِ وتوحيدِها بعـد أنْ شـعر أنَّهـا قد «ضاعـت ضمن زحمـة التيـارات السياسـيَّة المناوئة لهـم».[٥٣] فجزّيـنُ وجبـلُ عامـل باتـت تجمُّعـات شـيعيَّةً سُـكّانيَّةً كبيـرةً وقتهـا. والشّـهيدُ الأوّل نشـرَ الـوكلاءَ الخاصيـن فـي مختلفِ المناطـقِ، وقد

(I) اعتبر جودت القزويني أنَّه كان للنصيريَّة دور في المنطقة في تلك الفترة. انظر/ي: جودت القزويني، **المرجعيَّة الدينيَّة العليا عند الشيعة الإماميَّة**، ص ١٣٢.

كانـوا يُجبـون لـه الأمـوالَ بعنوانِ الخُمـسِ وخلافِـه، وذلك بعـد عودتِه عام ١٣٥٤ مـن العـراق حيـث كان أمضـى عـدّةَ سـنوات.(٥٤) وكانـت لـه أيضًـا نشـاطاتٌ متشـعّبة أخـرى، منها السياسـيّ والاجتماعيّ. وصـارت جزّينُ في عصـرِه فـي القـرنِ الرّابعَ عشـر معقِـلًا معروفًا للشّـيعةِ، وبات اسـمُها يُقرَن بـه كرمـزٍ للرّفـضِ والتّشـيّعِ وغيرِهـا مـن المصطلحـاتِ الأخـرى المرتبطـةِ بالإماميَّـة.[I] ومـارس ابـنُ مكّي ـ الـذي درسَ فقهَ المذاهـبِ السّـنيَّة الأربعة ـ التَّـقِـيَّة. وهـا هـو ابـن الجزري يُترجمـه: «محمّد بنُ مكّي بـن محمّد بنُ حامـدٍ أبـو عبـد الله الجزّيني الشّـافعي. كـذا كتبَ لي بخطِّه في اسـتدعاءٍ، ولكنّـه شـيخُ الشّـيعةِ والمجتهـدِ فـي مذهبِهـم [...] صحبنـي مـدةً مديـدةً فلـم أسـمعْ منه مـا يُخالفُ السُّـنّةَ».(٥٥)

اصطـدم الشـهيد الأول بشـخصٍ يُدعى محمد اليالوش،[II] وقـد قيل إنَّه ادَّعى النّبوّةَ ومارسَ الشّعوذةَ والسِّحر، وانتصر عليه(٥٦) ويظهر أنَّه قد كان لليالوش هـذا أتبـاعٌ كُثـرٌ، لدرجـةِ أنَّـه كادَ يَهـزمُ الشّـهيدَ الأوّل فـي معركـةِ الشّـهداء فـي النّبطيَّـة عـام ١٣٨٣. كمـا أنَّ عـددَ مُريـدي اليالـوش الكبيـرَ، واسـتمرارَ حركتِـه بعـده عبـر تَـقيّ الدّيـن الجبلـيّ الخيامـيّ ويوسـف ابـن يحيـى،(٥٧) دليـلٌ علـى أنَّـه كان ذا تأثيرٍ كبيرٍ وقاعـدةٍ جماهيريَّةٍ وازنةٍ، ممَّـا يُرجِّحُ أكثرَ أنْ يكـونَ خِـلافُ الشّـهيدِ الأوّل معـه إمّـا سياسـيًّا أو مذهبيًّا، وليـس لمجردِ كـونِ الرّجـلِ كان تلميـذًا سـابقًا ادّعى مـا ادّعاه ممـا يخالف مبادئ التشـيّع بحسـب المرويـات المتداوَلة عنـه. وإذا نظرْنا إلى واقعِ جبـلِ عامل في تلك الفتْـرةِ، وبعـد نـزوحِ أعـدادٍ مـن سـكان جبـالِ كسـروانَ إليـه بعـد الحملات المملوكيَّـة علـى هـذه الجبـال، فقـد يكـون اليالـوش هذا مـن النّصيريَّـة.(٥٨) كمـا يجـدر الالتفـات إلـى أنَّ النـزاعَ بيـن الرجلَيـن كان فـي فتـرةِ الصّـراعِ

(I) وصفها المؤرّخ وعالم الرجال السّنّي الذهبي (توفي ١٣٤٨) بمأوى الرافضة، أثناء ترجمته للشيخ الشيعي نجيب الدّين الأسدي (توفي ١٢٨٠). انظر/ي: الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج٥٠، ص ٣٣٧.

(II) كان أحد تلامذة الشهيد الأول ثمَّ انحرف عنه، ونُسبت إليه تُهم شعوذةٍ وسِحْرٍ وغيرها.

الدّاخلـيّ بيـن مماليـكِ التُـركِ ومماليـكِ الشّـركسِ، وانقسـامِ أمـراءِ المناطقِ بيـن الطّرفيـن.[٥٩]

٦) مقـتـل الشهيد الأول

أُعـدِم الشّـهيدُ الأوّل فـي عهـدِ السُّـلطانِ المملوكـيّ الشّركسـيّ الظاهـر برقـوق، وبفتـوًى من القاضيين المالكـيّ والشّـافعيّ، وكان ذلك عام ١٣٨٤، بعد سَـجنِه لمدةِ سـنةٍ تقريبًا.[٦٠] والشّائعُ أنَّ سببَ قتلِه مذهبِــيٌّ، ويتعلّقُ بعقيدتِـه أو فقهِـه. ولكـنْ بالنّظرِ إلى دورِه ونشـاطِه، فلا يُسـتَبعَدُ أنْ تكونَ هنـاكَ أسـبابٌ أخـرى سياسـيَّةٌ، فقـد تُوفّـي بُعيْد سـيطرةِ مماليكِ الشّـركسِ علـى الحكـمِ عـام ١٣٨٢،[٦١] وبعـد قضائِـه علـى حركـةِ اليالـوش بعـام.[٦٢] وهـو كان ألّـفَ كتابَـه الفقهي **اللُّمعة الدمشـقيَّة** بناءً على طلبِ السّـلطانِ علـيّ بـن المؤيّـد ملـك خراسـان ومـا والاهـا فـي إيـران، لاعتماده دسـتورًا هنـاك.[٦٣] وقـد عرفنـا حساسـيَّةَ المماليكِ المذهبيَّـةَ تجاه الفِرقِ الإسـلاميَّةِ الأخـرى، فكيـف بدولِها!

وبعـد مقتـلِ الشّـهيد الأوّلِ بدايـة حُكـم مماليك الشّـركس، «زالـت القيادة الدينيَّـة مـن جزّيـن»، وأخـذتِ الزعامـةُ الشّـيعيَّةُ تتّجـهُ جنوبًـا نحـو جبـلِ عامـل عبر رجـالاتِ الإقطـاع.[٦٤]

٧) الشّيعة في عصرِ المماليك البُرجيَّة

بـدأ عصرُ المماليـكِ (الشّركسـيَّة) البُرجيَّـة مـع الظاهـرِ برقـوق،[٦٥] وقـد حكمـوا معظـمَ لبنـان. وفـي هـذا العهـدِ، ازدادَ المَـلءُ السُّـكّانيُّ للدّاخـلِ والجبـالِ فـي لبنـان، ومنـه المَــلءُ الشّـيعيُّ أيضًـا. وسـاعدَ في ذلـكِ الغزوُ

المغولـيّ التيمورلنكـي[I] للمنطقـةِ ولبنان عـام ١٤٠٠،[٦٦] بحيث نـزحَ عامّةُ النّـاسِ مـن المـدنِ المركزيَّـةِ باتّجـاه المناطقِ الأكثـرِ أمانًا وتحصينًـا بحُكمِ الجُغرافيـا. فذكَـر بعـض المؤرّخيـن هروبًا إلـى «القلاع والحصـون المانعة، منهـم مَـن توجّـه إلى قلعـة أرنـون ومنهـم مَـن قصَدَ شـقيف تيـرون».[٦٧]

وأدّى إعـدامُ الشّـهيدِ الأوّل إلـى سـقوطِ مَشـروعِه في جزّين والجـوارِ، كما إلـى هجـرةٍ شـيعيَّةٍ كبيرةٍ مـن المنطقـة، فاندفعَ النّـاسُ إلى الداخـلِ أكثرَ، ووجـدَ الفقهـاءُ الشّـيعةُ أنفسَـهم فـي مراكزِ قرى جديـدةٍ، كالكَـرَك الواقعة علـى الطريـق بين سـهل البقـاع وكسـروانَ،[٦٨] وَمْيـسِ الجبـلِ[٦٩] وغيرِهِما. وباتـت هاتـان القريتـان مركزَيـن تخـرّج منهما فقهاءُ شـيعةٌ تركـوا آثارهم.

٨) بـزوغ نجم آلِ بشارة

بفَشـلِ حركـةِ الشّـهيدِ الأوّلِ السّياسـيَّةِ، خلَـت السّـاحةُ سياسـيًّا واجتماعيًّـا للأُسَـر الإقطاعيَّـة الشّـيعيَّة، وعلـى رأسِـها آلُ بشـارة.

وركّـز الفقهـاءُ علـى دورِهم فـي الجانبِ الثّقافـيّ الفقهيّ.[٧٠] فقـد قامَ ابن بشـارةٍ[II] بإعمـار مدينـةِ صـور التـي كان قـد دمّرَها قـلاوون بعـد تحريرِها مـن الصّليبيّيـن، فبنـى فيهـا الأسـواق، وجعـل لهـا أسـوارًا وحصَّنهـا، ونقـلَ إليهـا جماعـاتٍ مـن النـاس. وكان ذلك عـام ١٤٢١.[٧١]

ويخبرُنـا ابـنُ تغـريّ بـرديّ كيف لُقِّـبَ ابنُ بشـارة بــمقدّمِ العشـيرِ بالبلادِ الشّـاميَّة، إذ طوَّقـت صُـورَ مراكب من الفرنـجِ وهاجَمَت المدينـةَ فأدركَهُم بجُموعِـه وقاتلَهـم قتالًا شـديدًا حتـى جَلاهم.[٧٢]

(I) نسبةً إلى تيمورلنك، القائد المغول ـ تركي الذي أسس الإمبراطوريَّة التيموريَّة التي امتدت على جغرافيا آسيا الوسطى وإيران الحاليَّة انطلاقًا من عام ١٣٧٢.

(II) لم يَرِد في كتاب **اللمعات البرقيَّة في النّكت التاريخيَّة** تفاصيل أكثر عن هذه الشخصيَّة.

وقد تولّى آلُ بشارة، الّذين قيل إنَّهم ينتسبون إلى حسامِ الدّين بنِ بشارة الأمير في جيشِ صلاحِ الدّين، منطقةَ جبلِ عاملٍ حتّى بدايةِ العصْرِ العُثماني، ثمَّ اختفوا عن مسرحِ التّاريخ بطريقةٍ غامضةٍ نُسجت حولها العديدُ من التّحليلات التي منها أنَّ نهاية سلطتهم قد ارتبطت بنهاية حِقْبة المماليك في المنطقة إثر هزيمتهم أمام العثمانيين في معركة مَرْج دابق.(٧٣)

الهوامش

(١) سوزي حمود، **لبنان في العصر الوسيط منذ العهد الراشدي إلى نهاية عهد المماليك**، ص ٧٤-٧٥.

(٢) شفيق محمود، **المماليك البحريَّة وقضاؤهم على الصليبيِّين في الشام**، الجامعة الإسلاميَّة بالمدينة المنورة، السنة ٢١، العددان ٨١-٨٢، ١٤٠٩ هـ ص ١٠٧، ١١٩-١٢٠.

(٣) ابن سِباط، **صدق الأخبار**، جرّوس برس، طرابلس، ط١، ١٩٩٣، ص ٣٤٩.

(٤) العباسي الصفدي، **نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولِّيَ مصر من الملوك**، المكتبة العصريَّة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ص ١٤٩.

(٥) سوزي حمود، **لبنان في العصر الوسيط منذ العهد الراشدي إلى نهاية عهد المماليك**، ص ٩١.

(٦) مصطفى سبيتي، **الحياة الفكريَّة للأقليات المذهبيَّة في لبنان في العهد المملوكي**، دار المواسم، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، ص ٧٧.

(٧) مصطفى سبيتي، المصدر السابق، ص ١٧.

(٨) المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ج٢، ص ٤٧.

(٩) المقريزي، المصدر السابق، ج١، ص ٥٣٨.

(١٠) العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، مجلس دائرة المعارف العثمانيَّة، حيدر أباد، ط٢، ١٩٧٢، ج٢، ص ١٥٦.

(١١) القلقشندي، **صُبح الأعشى**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ٢٠١٢، ج١٣، ص ١٤.

(١٢) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، المطبعة الكاثوليكيَّة، بيروت، ط٢، ١٩٢٧، ص ٣٥.

(١٣) صالح بن يحيى، المصدر السابق، ص ١٩٥.

(١٤) محمد علي مكي، **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني**، ص ٢١٨؛ كذلك انظر/ي: مصطفى سبيتي، **الحياة الفكريَّة للأقليات المذهبيَّة في لبنان في العهد المملوكي**، ص ٧٥.

(١٥) فؤاد إبراهيم، **الفقيه والدولة ـ الفكر السياسي الشيعي ـ تطور الفقه السياسي الشيعي**، دار الكنوز الأدبيَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ص ١٠٩-١١٣.

(١٦) محمد جمال باروت، **حملات كسروان في التاريخ السياسي لفتاوى ابن تيميَّة**، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط١، ٢٠١٧، ص ٢٠٢.

(١٧) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٤، ص ١٢.

(١٨) الذهبي، **سِيَر أعلام النبلاء**، ج١، ص ١٠.

(١٩) بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني، **عقد الجُمان في تاريخ أهل الزمان ـ عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٧١٢ هـ)**، مطبعة دار الكتب الوثائق القوميَّة، القاهرة، ٢٠١٠، ج٣، ص ١٢٧.

(٢٠) المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج١، ص ٧٧٩.

(٢١) محمد جمال باروت، **حملات كسروان في التاريخ السياسي لفتاوى ابن تيميَّة**، ص ١٢٦.

(٢٢) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص ٤٤.

(٢٣) مصطفى سبيتي، **الحياة الفكريَّة للأقليات المذهبيَّة في لبنان في العهد المملوكي**، ص ٨٥.

(٢٤) محمد جمال باروت، **حملات كسروان في التاريخ السياسي لفتاوى ابن تيميَّة**، ص ١٥٠.

(٢٥) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص ٤٨.

(٢٦) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٧، ص ٧٣٠.

(٢٧) المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، ج٢، ص ٣٣١.

(٢٨) محمد جمال باروت، **حملات كسروان في التاريخ السياسي لفتاوى ابن تيميَّة**، ص ١٤٩.

(٢٩) محمد علي مكي، **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني**، ص ٢٢٤.

(٣٠) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، دار الولاء لصناعة النشر، بيروت، ط١، ٢٠١٧، ص ١٤٩.

(٣١) محمد جمال باروت، **حملات كسروان في التاريخ السياسي لفتاوى ابن تيميَّة**، ص ١٦١.

(٣٢) محمد جمال باروت، المصدر السابق، ص ١٦٠.

(٣٣) أحمد ابن تيميَّة، **جامع المسائل**، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠١٩، ج٥، ص ٣٠٥.

(٣٤) أحمد ابن تيميَّة، **مجموع الفتاوى**، ج٢٨، ص ٤٠٠.

(٣٥) أبو الفدا، **المختصَر في أخبار البشر**، المطبعة الحسينيَّة المصريَّة، القاهرة، ط١، ج٤، ص ٥٢.

(٣٦) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١٨، ص ٥٠.

(٣٧) ابن سباط، **صدق الأخبار**، ج٢، ص ٥٨٨.

(٣٨) محمد جمال باروت، **حملات كسروان في التاريخ السياسي لفتاوى ابن تيميَّة**، ص ١٦٠.

(٣٩) الذهبي، **سِيَر أعلام النبلاء**، ج١، ص ١٠.

(٤٠) أبو الفدا، **المختصر في أخبار البشر**، ج٤، ص ٥٢.

(٤١) أحمد ابن تيميَّة، **مجموع الفتاوى**، ج٢٨، ص ٤٠٠-٤٠٢.

(٤٢) أحمد ابن تيميَّة، المصدر السابق، ج٢٨، ص ٤٠٨.

(٤٣) العسقلاني، **إنباء الغمر بأبناء العمر**، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة، مصر، ١٩٦٩، ج١، ص ٢٩٩.

(٤٤) كمال الصليبي، **منطلق تاريخ لبنان**، دار نوفل، بيروت، ط٢، ١٩٩٢، ص ١٣٤-١٣٨.

(٤٥) محمد جمال باروت، **حملات كسروان في التاريخ السياسي لفتاوى ابن تيميَّة**، ص ١٧.

(٤٦) إسماعيل حقي بك، **لبنان: مباحث علميَّة واجتماعيَّة**، ص ٢٧٥.

(٤٧) محمد جمال باروت، **حملات كسروان في التاريخ السياسي لفتاوى ابن تيميَّة**، ص ١٦٨.

(٤٨) صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص ٥١.

(٤٩) مصطفى سبيتي، **الحياة الفكريَّة للأقليات المذهبيَّة في لبنان في العهد الملوكي**، ص ٩٩.

(٥٠) العصور التي تعاقبت على العلويّين، موقع **المكتبة الإسلاميَّة العلويَّة**، ٦ تشرين الثاني ٢٠١٠، تاريخ الدخول: ١٦ شباط ٢٠٢٣، الساعة ١٨:١٢.

(٥١) محمد علي مكي، **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني**، ص ٢٣٠.

(٥٢) جودت القزويني، **المرجعيَّة الدينيَّة العليا عند الشيعة الإماميَّة**، دار الرافدين، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص ١٢٩.

(٥٣) جودت القزويني، المصدر السابق، ص ١٣٠.

(٥٤) جودت القزويني، المصدر السابق، ص ١٣١.

(٥٥) ابن الجزري، **غاية النهاية في طبقات القرّاء**، مكتبة ابن تيميَّة، عُنِي بنشره أول مرة عام ١٣٥١ هـ ج. برجستراسر، ج٢، ص ٢٦٥.

(٥٦) الخوانساري، **روضات الجَنّات**، الدار الإسلاميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩١، ج٧، ص ٥.

(٥٧) جودت القزويني، **المرجعيَّة الدينيَّة العليا عند الشيعة الإماميَّة**، ص ١٣٢-١٣٣.

(٥٨) جودت القزويني، المصدر السابق، ص ١٣٢.

(٥٩) للمزيد عن صراع مماليك الترك ومماليك الشركس انظر/ي: محمد علي مكي، **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح الإسلامي**، ص ٢٥١-٢٥٢.

(٦٠) جعفر المهاجر، **الشهيد الأول محمد بن مكّي الجزّيني باعث النهضة في لبنان**، دار بهاء الدين العاملي للنشر، بعلبك، ٢٠١٤، ص ١٩٠.

(٦١) محمد علي مكي، **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني**، ص ٢٥٢.

(٦٢) جودت القزويني، **المرجعيَّة الدينيَّة العليا عند الشيعة الإماميَّة**، ص ١٣٣.

(٦٣) محمد بن مكي، **القواعد والفوائد**، تحقيق عبد الهادي الحكيم، مكتبة المفيد، قُم، ط١، ج١، ص ٢٠.

(٦٤) جودت القزويني، **المرجعيَّة الدينيَّة العليا عند الشيعة الإماميَّة**، ص ١٣٤.

(٦٥) محمد علي مكي، **القواعد والفوائد**، ص ٢٥٢.

(٦٦) سوزي حمود، **لبنان في العصر الوسيط منذ العهد الراشدي إلى نهاية عهد المماليك**، ص ٩٨.

(٦٧) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ١٧٩.

(٦٨) جعفر المهاجر، **الكَرَك حاضرة علميَّة**، المستشاريَّة الثقافيَّة للجمهوريَّة الإسلاميَّة الإيرانيَّة في بيروت، المؤتمر الدولي حول العلّامة المحقّق الكركي، ص ٩؛ جودت القزويني، **المرجعيَّة الدينيَّة العليا عند الشيعة الإماميَّة**، ص ١٣٥.

(٦٩) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٢٢٥.

(٧٠) جودت القزويني، **المرجعيَّة الدينيَّة العليا عند الشيعة الإماميَّة**، ص ١٣٤.

(٧١) ابن طولون، **اللّمعات البرقيَّة في النّكت التاريخيَّة**، مكتبة القدسي والبدير، دمشق، ١٣٤٨هـ ص ٦٠.

(٧٢) ابن تغري بردي، **حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور**، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ج٢، ص ٣٢٨.

(٧٣) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٢٠٦.

الفصل الرابع

شيعة لبنان في العصْر العثماني حتى مرحلة القائمقاميّتَين

تمـهيد

مـع إطلالـةِ القـرنِ السّـادس عشـر، كانـت المنطقـة تخضـعُ لثـلاثِ قـوى كبيـرةٍ: العثمانيـون، المماليـك، والصفويّـون.

تبـعَ لبنـانُ، حالُـه كحالِ الشّـام، للسّـيطرةِ العثمانيَّةِ بعد معركـة مرج دابق عـام ١٥١٦ بيـن العثمانيّيـن والمماليـك البُرجيَّـة الشّـركس والتـي انتهـت بانتصـار العثمانييـن ومقتـل السـلطان المملوكـي قانصـوه الغـوري.[١] والعثمانيّـون اعتبروا أنفُسَـهم مسـؤولين عـن حِمَى الدّين الإسـلامي عامةً، وعـن المذهـبِ السُّـني خاصـةً،[٢] وخاضوا الكثيـرَ من المعـارك تحتَ هذه العناويـن، كحروبِهـم مـع البيزنطيّيـن والصّفوييّـن والتيموريّيـن المغـولِ وغيرِهم.

وخضـع شـيعةُ لبنـان كسِـواهم مـن الجماعـاتِ الدينيَّـةِ إلى هذه السـلطةِ التركيَّـةِ الجديـدةِ ذاتِ العاصمـةِ البعيـدة، والتـي اسـتمرَّ حُكمُها لأربعـةِ قـرون، وعاشـوا معهـا تجـاربَ سياسـيَّة مختلفـة فـي مراحلَ عديـدةٍ تركت آثارَهـا علـى أحوالِهـم، وأحيانًا علـى جغرافيّتهم ووجودهـم. وهم مَن كانوا خـارج التصنيفـاتِ العثمانيَّـة للمِلَـل،[I] لكونهـم بالنسـبة إلـى العثمانييـن

(I) كان التصنيف يشمل الجماعات اليهوديَّة والمسيحيَّة من رعايا السلطنة تمييزًا لهم عن المسلمين، وكان لهم حق إدارة شؤونهم عبر الدولة.

مُرتدّيـن ومُهرْطِقيـن وأهـل بِـدَعٍ وغيرها مـن التّعريفات. كمـا أُضيفَ إليها مفهـومٌ جديدٌ، مُسقَــطٌ من جُغرافيـا أخرى جديدةٍ، وهو مفهـومُ القزلباش (ذَوُو القبّعـات الحمـراء بالاثنـي عشـر شِـقًّا)، وهـم رعايـا السّـلطنةِ الّذين ثـاروا في الأناضـول.(I)

وهكـذا اعتبـرَ العثمانيـون شـيعةَ لبنـانَ جـزءًا مـن الحالـةِ الشّـيعيَّة أو الرافضيَّـةِ العامـةِ التـي كانـت تسـودُ فـي مناطـقِ الإمبراطوريَّـة الشّاسـعةِ وتَديـنُ بالمذهـبِ الرّسـمي للعـدوِّ الصّفـوي.

وبموجـب التّنظيـم الإداري الجديـد الـذي فَرَضَتْهُ السُّـلطةُ علـى لبنانَ بعد سـيطرتِها عليـه، خضعـتْ بعلبـك وجبـلُ عامل لولايةِ دمشـق، وجبـلُ لبنان لولايـةِ طرابلـس. واسـتمرَّ الوضـعُ علـى ذلـك إلـى منتَصـفِ القـرنِ السّـابع عشـر حيـن أُنشـئت ولايـةُ صيـدا فبـات جبلُ عامـلٍ تابعًـا لها.[٣]

يمكـنُ تمييـزُ واقـعِ شـيعةِ لبنـانَ في هـذا العصْـرِ العُثماني عـن قبلِه، عبر تعزيـز الـدّورِ السّياسـيّ للزعاماتِ الأُسَـريَّة فيه على حسـابِ تلـكَ الدّينيَّةِ، فكانـت هـذه العائـلاتُ الإقطاعيَّـةُ الملتزمَـةُ تؤمّـنُ الجُنـدَ حيـن الحاجـةِ للحمـلات العسـكريَّة، وتحفـظُ الأمـنَ فـي مناطقهـا، وتتولّـى تحصيـل الضرائـب.[٤] فظهـورُ نفـوذ العائـلاتِ الإقطاعيَّـةِ هـو مـن الخصائـصِ التـي رافقـتِ العصـرَ العثمانـي، مـا أدّى إلـى نشـوءِ إمـاراتٍ محلّيَّةٍ عديـدةٍ، من دون أنْ يعنـيَ ذلـك غيـابَ الزّعاماتِ الدّينيَّةِ عن المشـهدِ، إنْ كان المحلّيّ كمـا حصـلَ مـع الشّـهيد الثانـي، أو الإقليمـيّ، كالأدوارِ التي لعبَهـا المحقّقُ الكركـيّ والبهائـيّ وغيرُهمـا في إيـران.(II)

(I) إحدى قرارات العفو العثمانيَّة عن الأمير المعنيّ ذُكرت ضمن الشروط: «... وأنْ لا يُؤوي القزلباش، ولا قطّاع الطرق الشيعة المبتدعين...». انظر/ي: ستيفان وينتر، **دراستان على تاريخ الشيعة في جبل لبنان**، تُرجم بإشراف جعفر المهاجر، دار بهاء الدين العاملي للنشر، ص ٤٤؛ ستيفان وينتر، **الشيعة في لبنان تحت الحكم العثماني**، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠١٦، ص ٤١.

(II) ستمرّ أحوال الشهيد الثاني والمحقّق الكركي لاحقًا في هذا الفصل. أمّا البهائي ففيلسوف

لعبـت الأُسَـرُ الإقطاعيَّة أدوارَها ضمـنَ نواحٍ مُحدّدةٍ ارتبطتْ أسـماؤها بها، فَسَـادَ آل علـي الصّغيـر في جبلِ عامل على حسـابِ أُسـرتَيّ مُنكَرٍ وصعب، انطلاقًـا مـن عـام ١٦٦٠، كمـا حكَـمَ الحرافشـة فـي البقـاعِ، والحمَّاديـون فـي جبـلِ لبنـان، وكانـت هـذه الزّعامـاتُ، وانطلاقًـا مـن نظـام الالتـزام، ترتبـطُ بـوُلاة المراكـزِ العُثمانيَّـة، وتمتلـكُ حـدًّا أدنـى مـن الاسـتقلاليَّةِ في مناطِقِها.(٥)

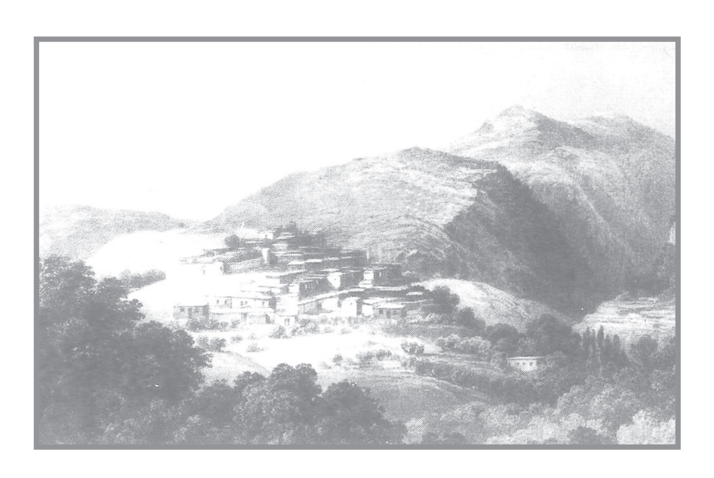
١) جبل عامل

أ- الشّهيد الثّاني فقيه الحياد

هـو زينُ الدّين بنُ علي الجُبَعيّ العامليّ (١٥٠٥-١٥٥٩)، المعروف بالشّـهيدِ الثّانـي. وكان فقيهًـا أصولـيًّا(I) ولـه تآليـفُ كثيـرةٌ، منهـا مؤلّفُـه المشـهورُ «**الروضـة البهيَّـة فـي شـرح اللمعـة الدمشـقيَّة**»، الّـذي انتشـرَ بقـوةٍ فـي العـراقِ وإيـران. كمـا يُعتبـرُ أوّلَ مَن صَنَّفَ مـن الإماميَّةِ في درايـةِ الحديثِ، لكنّـه نقـلَ الاصطلاحـاتِ مـن كُتُـبِ المذهـب السُّـنيّ.(٦) وهو حاولَ السّـيرَ علـى خطـى الفقهـاءِ التّقليديّيـن الذين تجنّبوا الصّـراعَ معَ السُّـلطةِ الحاكمةِ المغايـرةِ لمذهبِـه، كمـا أخـذَ موقفًـا مُحايـدًا بخصـوصِ الصّـراعِ العُثمانـيّ الصّفـويّ.(٧) فلـم يكـنْ، بحسـبِ حركتِـه، فـي حـالِ قلقٍ علـى نفْسِـه كما لم يُهاجـرْ إلـى إيـرانَ كمـا فعـل غيـرُه. فَـدَرَسَ علـى يـدِ فقهـاءٍ مـن المذاهـبِ السُّـنيَّة المختلفـةِ، وروى عـن كثيريـن من العامّةِ (السُّـنّة) في الشّـامِ ومصرَ

وفقيه شيعي بعلبكي، عُيّن في منصب شيخ الإسلام في الدولة الصفويَّة في القرن السادس عشر.

(I) المدرسة الأصوليَّة في الفقه الشيعي هي مدرسة سُمِّيت بهذا الاسم نسبة لاعتماد فقهائها واهتمامهم الشديد على علم أصول الفقه. وعلم الأصول هو المدارك التي يرجع إليها الفقهاء المجتهدون في استنباط الأحكام الفقهيَّة. انظر/ي: أحمد عبد الرحيم، **الصراع بين الأخباريين والأصوليين داخل المذهب الشيعي الاثنا عشري**، تكوين للدراسات والأبحاث، ط٢، ٢٠١٥، ص ١٦.



بلدة جباع عام (١٨٥١-١٨٥٢) للفنان دو فالد

وبغـدادَ وقسـطنطينيَّة. كما قـام بتدريسِ الفقهِ على المذاهبِ الخمسـةِ في المدرسـةِ النّوريَّة ببعلبك بعدما زارَ اسطنبول.[٨]

رغـم ابتعـاده عـن لعب أدوارٍ سياسـيَّة، وهو الشـخصيَّة الشـيعيَّة الأهمّ في عصره، إلّا أنَّ ذلـك لـم يُجنِّـبْه القتـلَ بطريقـةٍ مُلتـبسةٍ يسـودُها الغموض وتفيـض عنهـا عديـد الروايـات والتحليـلات؛ فبعضُها أشـارَ إلـى دورٍ لقاضي صيـدا معـروف الشـامي فـي ذلـك، مـع روايتَيـن لدوافعـه. وبعضهـا الآخـر تحـدّث عـن يـدٍ لمبعـوث السـلطان العثمانـي بعـد لقائـه الشـهيد الثانـي فـي طريقـه إلـى القسـطنطينيَّة إثر دعـوةٍ من السـلطان العثماني سـليمان القانونـي.[٩] ولعلّـه قد دفعَ ثمنَ الصّراعِ المذْهبي المسـتَعِرِ بينَ العثمانيّين والصّفويّيـن، وخصوصًـا بوجـودِ فقهـاءٍ لبنانييـن هاجـروا إلى إيـرانَ والبلاطِ الصّفـويّ وكان لهـم الـدورُ البـارزُ فـي الصّـراعِ، وعلـى رأسـهِم المحقّقُ علي بـن الحسـين عبـد العالي الكركي،[I] مـن الكَرَك التي ازدهـرتْ بعدَ الحملاتِ

(I) ستيفان وينتر، **الشيعة في لبنان تحت الحكم العثماني**، ص ٥٥؛ كما حصل الكركي على دعم كامل من الشاهَيْن إسماعيل وطهماسب الصفويين إبّان وجوده في إيران. وكان نشاطه يقوم على وضع الأسس

علـى كسـروان. وكان قتـلُ الشّـهيدِ الثّانـي دفَـعَ الفقهـاءَ علـى الهجـرةِ مـن البـلادِ،(١٠) ممـا فتـحَ المجـالَ أمـامَ نفـوذِ الأُسَـر الإقطاعيَّـةِ سياسـيًّا، بينمـا تفـرّغَ مَـن بَـقِــيَ مـن رجـالِ الدّيـن للجوانـبِ الدّينيَّـةِ والقضائيَّـةِ المحليَّةِ والتبليغيَّـةِ وغيرِها.

ب- الأُسَر الإقطاعيَّة والالتزام

مـع بـزوغِ عصـرِ السّـلطنةِ العُثمانيَّـةِ فـي جبـلِ عامـل، اختــفى ذِكـرُ آلِ بشـارة، وظهـرت بقـوة «العائلـة الوائليَّـة التـي منهـا بنو علـي الصغيـر».(١١) واختفـاء آل بشـارة قـد يكـونُ مقصـودًا مـن العُثمانييـن الذيـن تخلّصوا من بعـضِ العائـلاتِ التـي اعتبروهـا من بقايـا الحقبـةِ المملوكيَّةِ، وأمكـنَ وجودُ البديـلِ لهـا، ولو أنَّهم أبقـوا في أماكنَ كثيرةٍ على رجـالاتِ الحقبةِ المملوكيَّةِ ممَّـن نقــلوا ولاءَهـم إليهـم؛ أو قد تكونُ هذه الأسـرةُ ضَعُفَـتْ أواخرَ العصرِ المملوكـي إثْـرَ نزاعِهـا مـع الأميرِ البقاعـيّ ناصر الدّيـن بن الحنـش،(I) إذ بدأ نفوذهـا يتلاشـى ليختفي كليًّا مـع بداية العهـد العثماني.(١٢)

لكن جبلَ عاملٍ لم يكنْ إقليمًا واحدًا زعاماتـيًّا، بل كان يُقسَّمُ إلى أقاليمَ عـدةٍ يحكمُهـا مُلتــزمون مـن أُسَـرٍ إقطاعيَّـةٍ مختلفةٍ توارثـتِ الأمرَ جيلًا بعـد جيـل، ويلتزمـون لشـيخِ مشـايخِهم الملتزِم أمـامَ الوالـي العثماني. فمـع القـرنِ السّـابع عشـر، سـاد آلُ علـي الصغيـر بـلادَ بشـارةِ وكان مركزهـم تبنيـن، وحَكـم آلُ مُنكـر إقليمَـي الشّـومر والتفـاح، وكان مقرّهـم جبـاع فـي إقليـمِ التّفـاح، بينمـا سـادَ آلُ صعـبٍ الّذيـن ينتسـبون إلـى الأيّوبييـن الكُـردِ بـلاد الشـقيف. «وكان شـيخُ كل

الشرعيَّة الدستوريَّة لدولتهم. جودت القزويني، **المرجعيَّة الدينيَّة العليا عند الشيعة الإماميَّة**، ص ١٤٣.

(I) والي صيدا، التابعة لنيابة دمشق، ومقدَّم البقاع، في زمن السلطان المملوكي قانصوه الغوري (١٥١١-١٥١٦).

مقاطعـةٍ يديـرُ شـؤونَ مقاطعتِـهِ، ويتمتّـعُ ضمـن حدودِهـا بالحصانـةِ الإداريَّـة الكاملـة، وعليـه أنْ يلتـزمَ الضرائـبَ المترتّبـةَ علـى مقاطعتِـه لشـيخِ المشـايخ، وأنْ يؤمِّـنَ الطـرقَ ويحفـظَ الأمـنَ ويـؤدّيَ الخدمـةَ العسـكريَّة للدولـة. أمّـا شـيخُ المشـايخ، الذي له الرياسـةُ العليـا، فيلتزمُ بـدورِهِ أمـامَ والـي صيـدا بدفـعِ الضرائـبِ المسـتحَقّةِ للدولـة علـى المقاطعـاتِ التـي يحكمُهـا بنفسـهِ، أو بواسـطةِ أتباعـهِ مِـنَ المشـايخِ الإقطاعييـن».[١٣] علمًـا بأنَّـه قبـلَ إنشـاءِ ولايـةِ صيـدا عـام ١٦٦٠ كان التـزامُ العامليـيـن تجـاه حاكـم صفـد وبالتالـي تجـاه والـي دمشـق.[١٤] وكان لآلِ علـي الصغيـر منهـم المقدّميَّـة، أي الرياسـة العليـا، على باقي الأُسـرِ في جبـلِ عامل.[١٥]

وقبـل ذلـك برزتْ أُسـرتا سـودون وشُـكْر. فأُسـرةُ سـودون التـي اتّخذتْ مـن قانـا مركـزًا لهـا، اختُـلِف فـي أصولهـا، ويُرجِعُهـا البعـضُ إلـى الشّـركسِ لتشـابُهِ الأسـماءِ مـع شـخصيّاتٍ مترجمـةٍ تمتلكُ نفسَ الاسـمِ، كسـودون القاضـي الظّاهـري، وسـودون القَرَمانـي النّاصـري، وسـودون قريـبِ الظّاهـرِ برقـوق وغيرهـم.[١٦] وخـرجَ مـن هـذه الأسـرةِ فقهـاءُ شـيعةٌ، كالشّـيخِ عـز الديـن حسـينِ بـن علـي بـن محمّـد بـن سـودون الميسـي وحسـين التّبنينـي المعـروف بابـنِ سـودون التّبنينـي.[١٧] وأمّـا أسـرة شُـكْر، فنشـأت فـي بلـدة عيناتـا، وحكمـت فـي بلاد بشـارة الجنوبيَّـة لعشـرين سـنة. وقد تزامـن وجودُها مع آل سـودون وآل علي الصغيـر. ولكـن بعـد هزيمتهـا مـن آل علـي الصغيـر عـام ١٦٤٩، بـدأ نفوذهـا بالانحسـار، ولـم تعُـدْ تقـوم لها قائمـة.[١٨]

وكانـت هـذه الأُسـرُ، علـى وحدتِهـا العامّـةِ فـي الظّـروفِ المصيريَّـةِ، تتنافـسُ فـي مـا بينهـا، وتهاجـمُ مناطـقَ بعضِهـا البعـضِ، كمـا حصـل في

مهاجمـةِ محمـود النّصّـار[I] لإقليـمِ الشّـومرِ عـام ١٧٥٨، وحصـارِ حمـزةِ النّصّـار[II] للشـيخِ واكـدٍ فـي شَـمَع عـام ١٧٦١، وهجـومِ حسـين منصـور[III] علـى الغازيَّـةِ وتخريبِـه إقليـمَ التّفـاحِ عـام ١٧٦٣، والمواجهـةِ بيـن أبـي حَمَـدٍ بـن محمـود النّصّار[IV] وعبّـاس العلـي[V] فـي طيرفلسـيه عـام ١٧٦٥.[١٩]



رسم لناصيف النصّار

ج- جـبلُ عامل في العهدَين المعني والشهابي

كان المعــنيون والشّـهابيون يطمعـونَ دومًـا فـي التِـزامِ جبـلِ عامـل مـن الـوُلاة.[VI] ومـع إطلالـةِ القـرن السّـابع عشـر كان الجبـلُ يخضَـعُ لنفـوذِ

(I) وهو محمود بن نصّار شقيق ناصيف النصّار ووالد حمد بك من آل علي الصغير. وكان يعيش مع أخيه ناصيف في قلعة تبنين. قُتِل عام ١٧٧٩.

(II) حمزة بن محمد النصّار. قاد الثورة على أحمد باشا الجزّار بعد مقتل ناصيف النصّار، وبالتنسيق مع المدبّر الشيخ علي الزّين الشحوري. تم أَسْرهُ إثر واقعة شحور، وأعدمه الجزّار على الخازوق.

(III) أحد مشايخ الإقطاع العامليين من آل مُنْكَر الذين كانوا يتولّون إقليم الشومر والتفاح.

(IV) هو محمد بن محمود النصّار أخو حمد بك وجد علي بك والد الفرع الباشوي من آل علي الصغير، والذين اشتهر منهم شبيب باشا وناصيف باشا.

(V) هو عباس بن علي بن محمد النصّار. جدّد بناء مدينة صور، وتولاّها، وله قبر في منطقة المعشوق فيها.

(VI) كان المعنيون ثمَّ الشهابيون جُباة ضرائب عند العثمانيين. فتوسّعوا جنوبًا نحو جبل عامل لأجل هذا الأمر. انظر/ي: ستيفان وينتر، **الشيعة في لبنان تحت الحكم العثماني**، ص ٢٣٢.

الأمير فخر الدّين المعني الثّاني[I] الذي أصبح ملتزِمًا لسنجقِ صفد، وشاركَه العامليون في بعضِ حروبِه، كمعركتِه مع يوسف سيفا[II] في النّاعمةِ عام ١٦١٦، ومع والي دمشقَ في عنجر عام ١٦٢٣.[٢٠] وبقيَ العامليّون مُستَكينين في فترةِ قوّة فخر الدّين، رغمَ عملياتِ الطّردِ التي تعرّضوا لها في بعضِ مناطقِ إقليمَيِّ التّفاحِ والخرّوبِ وجزّين لمصلحةِ الفلاحين المسيحيين.[٢١] ويظهر أنَّ العلاقة العامليَّة مع فخر الدين كانت بشكل عام جيدة إلى مستوى جعل الفقيهَ حسن بن علي العامليّ الكونيني[III] يكتب الأشعارَ في مدحِه.[٢٢]

وفي أعقاب إعدام فخر الدين عام ١٦٣٥،[٢٣] حاولَ العامليّون التّخلّصَ من النّفوذِ المعنيّ[٢٤]، فاصطدموا بهم مرات عديدة، كان أعنفها في بلدة «أنصار» عام ١٦٣٨. وبعد إنشاءِ ولايةِ صيدا عام ١٦٦٠، تبِعَها جبلُ عاملٍ كلُّه، فابتعدَ نسبيًّا عن سلطةِ المعنيّين.[٢٥] واستمرّ الاستقرارُ بشكلٍ عام حتى زوالِ حكم الأُسرةِ المعنيَّةِ واستلامِ الشهّابيين إمارةِ جبلِ الدّروز عام ١٦٩٧بإمرة الأمير بشير الأول[IV] الذي حاولَ أنْ يُوسِّعَ حدودَ إمارتِه لتشملَ جبلَ عامل وأجزاءَ من فلسطين. فجرّد الأميرُ بشيرُ الأوّل عام ١٧٠٠، وبدعمٍ من والي صيدا، حملةً على الجبلِ، وأسندَ الباشا للأمير بشير

(I) فخر الدين المعني الثاني (١٥٧٢-١٦٣٥) أحد الأمراء المعنيين، حَكَمَ في فترة من الفترات الجغرافيا الكاملة لما يُسمّى اليوم بدولة لبنان، كما امتدّ حكمه خارجها. أقام تحالفات خارجيَّة مع دوق توسكانا، الأمر الذي أثار قلق الدولة العثمانيَّة. أُسر وأُرسل إلى اسطنبول، ثمَّ قُتِلَ بعد وصول الأخبار إلى الدولة العثمانيَّة عن قيام ابن شقيق فخر الدين بالثورة في مناطق عديدة، والاصطدام مع والي دمشق.

(II) يوسف باشا ابن سيفا (توفي ١٦٢٥). أمير طرابلس الشام لفترة طويلة. دخل في نزاعات طويلة مع الأمير فخر الدين الذي كان يسعى دومًا لتوسيع حدود إمارته.

(III) الحسن بن علي الكونيني (نسبة إلى بلدة كونين)، ويُعرف أيضًا بالحانيني (نسبة إلى بلدة حانين) العاملي. كان شاعرًا وفقيهًا ومؤرّخًا. توفي عام ١٦٢٦. انظر/ي: عمر كحالة، **معجم المؤلفين**، مكتبة المثنى، بيروت، ج٣، ص ٢٥٠.

(IV) الأمير بشير الشهابي الأول (توفي ١٧٠٦)، أول الأمراء الشهابيين بعد زوال الإمارة المعنيَّة. خَلَفَهُ بعد وفاته الأمير حيدر الشهابي.

ولايـةَ صفـدٍ مـن مقاطعـاتِ جبلِ عامـل الثلاث (بشـارة، الشّـقيف، الشّـومر والتّفـاح)، ووقـع الصـدام مـع العامليين بزعامـة الشّـيخِ مشـرف الوائلـي،[I] فانكسـر العامليون، ووقع الشـيخ مشـرف في الأسْـرِ،[٢٦] ليموت في السـجن عـام ١٧٠٢.[٢٧]

وفـي عهـدِ الأميـرِ حيـدر الشّـهابي[II] (١٧٠٧-١٧٣٢) هاجـم الشّـهابيّون جبـلَ عامـل بعـد الْتِــزامه مـن والـي صيـدا، واصطدمـوا بتحالـفِ الأُسَـرِ العامليَّـةِ ونصّبـوا علـى البـلادِ الشّـيخ محمـود بـو هرمـوش.[III] كمـا قـام الأميـرُ ملحـم الشّـهابي،[IV] الـذي تولّـى الإمـارةَ خلَفًـا للأميـر حيـدر، بحمـلاتٍ عـدّةٍ علـى الجبـل. وكانـت حملـةُ ١٧٤٣ كارثيَّـةَ النّتائـجِ علـى العامليـين، بعدمـا خـرجَ المناكـرةُ والصّعبيَّـةُ عـن طاعـةِ والـي صيـدا سـعد الدّيـن باشـا[V] وامتنعـوا عن دفـعِ التزاماتِهـم الماليَّةِ وسَـطوا على إقليـمِ التّفـاحِ التّابـعِ وقتهـا للأميـر ملحـم.[٢٨] وعام ١٧٤٤ وقعـتْ معركةُ مرجعيـون بيـن العامليّيـن والأميـرِ ملحـم مدعومًـا بشهابيـّـي وادي التّيْـم.[٢٩] وحصلـت صدامـاتٌ أخـرى مع والـي صيـدا والشّـهابيّين أعوام ١٧٥٣ و١٧٥٩ و١٧٦٦ و١٧٦٧.[٣٠]

(I) مشرف بن النصّار من آل علي الصغير. إليه تُنسب بلدة مزرعة مشرف اليوم في قضاء صور. وكان حاكمًا في بلاد بشارة.

(II) ثاني الأمراء الشهابيين بعد الأمير بشير الأول. أكثر ما ارتبط اسمه بمعركة عين داره حيث تزعّم العصبيَّة القيْسيَّة مقابل العصبيَّة اليمنيَّة. حكَم من عام ١٧٠٧ حتى عام ١٧٣٢، ليخلفه ابنه ملحم.

(III) عادل إسماعيل، **لبنان في تاريخه وتراثه**، سلسلة دراسات لبنانيَّة، مركز الحريري الثقافي، بيروت، ط١، ١٩٩٣، ص ٣٣٠. أمّا محمود بو هرموش فهو أحد الأمراء المتولّين على العصبيَّة اليمنيَّة، خصمة العصبيَّة القيْسيَّة. اصطدم مع حلفائه آل علم الدين اليمنيين بالأمير حيدر الشهابي في منطقة عين داره. كان النصر حليف القيسيين، وأُسِرَ بو هرموش وقُطع لسانهُ وإبهاما يديه.

(IV) ملحم ابن حيدر الشهابي (توفي ١٧٥٩)، أحد أمراء جبل لبنان منتصف القرن الثامن عشر، دُفن في جامع الأمير منذر التنوخي.

(V) سعد الدين باشا العظم (١٧١٧-١٧٦٢) ينتمي إلى آل العظم الذين كان منهم سياسيو الدولة العثمانيَّة المرموقون. تولّى ولاية صيدا لفترة طويلة.

وفي فترة النّـزاعاتِ الشّـهابيَّة الدّاخليَّة رتَّبَ العامليون أمورَهم، وبدأ اسـمُ ناصيـف النّصـار[I] فـي الظهـورِ، بحيث اعتُبرَ أهـمَّ زعيمٍ عاملـيٍّ في عصرِه. وبسـببِ المشـكلات مـع الباشـواتِ والشّـهابيين، تحالفَ مع الشّـيخ ظاهرِ العُمـر[II] الـذي تعهّـد أنْ يدفعَ الإتاوةَ المُسـتحَقّةَ علـى العامليّين.[٣١] وهو انضـمَّ إليهـم فـي معركتِهم مـع والي صيدا درويش باشـا[III] عـام ١٧٧٠.[٣٢] وهـذه مرحلـةٌ جديـدةٌ من تقاطـعِ المصالحِ بيـن العامليين وظاهـرِ العمر، بعـد أنْ كانـا قبلُ في صـدام.[٣٣]

وكان ظاهـرُ العمـر علـى علاقـةٍ جيـدة بحاكـمِ مصـرَ المملوكـي علـي بـك الكبيـر،[IV] فعقـدا سـويًّا تحالفًـا عسـكريًّا،[٣٤] وقد أرسـلَ الأخير عام ١٧٧١ حملـةً عسـكريَّةً إلـى بلاد الشّـام بقيادة محمد بـك أبو الذهب[V] ووصلـتْ إلـى صيـدا فدمشـق، وانضـمَّ إليهـا العامليـون مـع حليفهـم ظاهـر العمـر.[٣٥] ثـمَّ مـا لبـث أبـو الذهـب أنِ انسـحب مـن دمشـق راجعًـا إلـى مصـر منقلبًـا علـى سـيّده،[٣٦] تـاركًا ظاهـر العمـر ومَن معه مـن حلفـاءَ كالعامليـن والأميـر منصور الشّـهابي[VI] فـي مواجهةِ غضبِ

(I) ناصيف النصّار: شيخ مشايخ جبل عامل في عصره (١٧١٣-١٧٨١). حاول إقامة تحالفات قويَّة متنوعة لمواجهة العثمانيين، وكان أهمها تحالفه مع ظاهر العمر أحد حكام فلسطين. وكان في فترة من الفترات قد اشترك مع أحمد باشا الجزّار في مواجهة باشا الشام عام ١٧٨٠. قُتل في معركة يارون في مواجهة العثمانيين.

(II) ظاهر العمر الزيداني (١٦٨٩-١٧٧٥)، كان أحد الحكام في فلسطين في العصر العثماني، تحالف مع علي بك المملوكي الكبير حاكم مصر، وساعده خلال غزوه للشام.

(III) درويش باشا الكرجي: سياسي عثماني تولّى ولاية صيدا مرتين: (١٧٧٠-١٧٧١) و(١٧٨٣-١٧٨٤).

(IV) علي بك المملوكي الكبير (١٧٢٨-١٧٧٣)، حكم القاهرة كشيخ البلد (حاكم) من عام ١٧٦٣. اختُلف في خلفيَّة حركته ضد العثمانيين بين قائل إنَّها كانت نزعة استقلاليَّة وبين آخر يعتبرها مجرد تفرّد بمقاليد الأمور في مصر تحت المظلة العثمانيَّة.

(V) محمد بك أبو الذهب (١٧٣٥-١٧٧٥). كان مملوكًا شركسيًّا اشتراه علي بك الكبير حاكم مصر، وأصبح قائدًا للقوات العسكريَّة المصريَّة. تمرّد على سيّده علي بك وقتله، ثمَّ حكم مصر مكانه.

(VI) أحد أمراء جبل لبنان الشهابيين (١٧١٤-١٧٧٤)، حكَم في الفترة بين ١٧٥٤ و١٧٧٠. تحالف مع ظاهر العمر وعلي بك الكبير ضد العثمانيين. أُجبِر على التنحّي عن الحكم لصالح ابن أخيه الأمير يوسف الشهابي.

السّـلطنة. وبعـد عـودةِ عثمـان باشـا إلـى دمشـقَ فـي نفـسِ السّـنة، جهّـزَ قـوةً كبيـرةً لتأديـبِ الّذيـن وقفـوا إلـى جانـبِ المصرييـن، لكنّـه انهـزمَ أمـام ظاهـرِ العُمَـر والعامليّيـن فـي معركـةِ بحيـرةِ الحُولـة.[٣٧] وحـاول والـي صيـدا درويـش باشـا الاحتمـاءَ بيوسـفَ الشّـهابي[I] خوفًـا مـن «المتاولـة» الذيـن كانـوا يسـتعدّون لمهاجمتِـه.[٣٨] فأنجـده الأميـر يوسـف مـن عنـده بقـوات درزيَّـة لمسـاندة الحاميـة الموجـودة فـي صيدا.[٣٩]

وقـرّرَ عُثمـان باشـا الاسـتيلاءَ علـى صيـدا بـأيِّ وسـيلةٍ كانـت، حربًـا أو تفاوضًـا. فكلّف عام ١٧٧٢ يوسـف الشّـهابي بهـذه المَهَمّـةِ بعدما أمدَّهُ بالمدفعيَّـة. ووقعـت المعركـةُ قـربَ المدينـةِ وانهـزمَ الأميـر الـذي كان معـه أحمـد باشـا الجـزّار،[II] وانتصرَ ظاهـر العُمَـر وحلفـاؤه «المتاولة» ومماليـكُ علـي بـك الكبير[III] مدعومًا من فرقاطةٍ روسـيَّةٍ فـي البحر.[٤٠]

وبعـد انسـحابِ أحمـد باشـا الجـزّار إلـى بيـروت، تحالـفَ الأميرُ يوسـف الشّـهابي هـذه المـرّةِ مع العامليّين وظاهـرِ العُمَرِ، فهاجمـوا معًا بيروت عـام ١٧٧٣ مدعوميـن مـن الفرقاطـاتِ والمراكـبِ الروسـيَّةِ فـي البحـر، واستسـلمَ الجزَّارُ بعد حصارٍ اسـتمرّ أربعةِ أشـهرٍ وسـيقَ بسـفينةٍ روسـيَّةٍ إلـى ظاهـر العمـر.[٤١] وهكـذا تأسّـسَ تحالـفٌ صفـديٌ (سـنّي) عاملـيٌّ (شـيعي) شـهابيٌّ (درزي) ضـد السّـلطنة العثمانيَّـة.

وبعـد مقتـلِ علـي بـك الكبيـر إثـرَ عودتِـه إلـى مصـر واصطدامِـه بأبـي الذّهـبِ، ووفـاة ظاهـرِ العُمَـرِ بعـد الحملـةِ العُثمانيَّـةِ ضـدّهُ بـرًّا وبحرًا،

(I) خامس الأمراء الشهابيين. حكم جبل لبنان من عام ١٧٧٠ حتى عام ١٧٨٨.

(II) أحمد باشا الجزّار (١٧٣٤-١٨٠٤)، حكم ولاية صيدا حوالى ٣٠ عامًا. كان يعمل عند حاكم مصر علي بك الكبير، ثمَّ هرب إلى جبل لبنان بعد انقلاب محمد بك أبو الذهب العسكري.

(III) علي بك الكبير، المملوكي، (١٧٢٨-١٧٧٣) حاكم مصر.

تـمَّ تعييـنُ أحمـد باشـا الجزّارَ والـيًا على صيـدا، وعُهِدَ إليه بـإدارةِ لبنانَ والمتاولـةِ وكلِّ البـلادِ التـي كانـت تحتَ سُـلطةِ ظاهرِ العمـرِ.[٤٢] وحاولَ العامليّـون بقيـادةِ ناصيـفِ النّصـار تجنّـبَ التّصـادمِ معـه، فشـاركوا إلى جانـبِ الملتـزمينِ الآخريـن عـام ١٧٧٦ فـي حملاتِـه علـى أولادِ ظاهـرِ العُمَـرِ، وفـي واقعتَـي علمـان وعانـوت لإعـادة يوسـف الشّـهابي إلـى الحُكـمِ بعدمـا انتفـضَ عليـه أحمـد الشـهابي.[٤٣] ولكـن كان الجـزّارُ، وخلفـه السّـلطنةُ العثمانيَّـةُ، ينـتهزان الفرصـةَ للتّخلّصِ مـن النّصّار، وتمَّ ذلـك عـام ١٧٨١ عندمـا قُتِلَ بعـد انتصارِ أحمد باشـا علـى العامليّين في بلـدةِ يـارون،[٤٤] وقـد نـكَّلَ الجـزّارُ بالعامليـيـن لمـدّةِ سـنتين متواصلتين تـاهَ فيهـا وجهـاءُ الأُسـرِ العامليَّـةِ باتجـاه عـكّار والبقاع والشّـام.[٤٥]

وهكـذا دخـلَ جبـلُ عامـل فـي مرحلـةٍ جديـدةٍ بعـد أنْ كان سـابقًا يتمتّـعُ بنـوعٍ مـن الاسـتقلاليَّةِ عبـر مُلتـزميه مـن الأُسـرِ العامليَّـة، وبـدأ العامليـون حـربَ عصابـاتٍ تُعـرَف بحـربِ الطُّيّـاح،[I] مسـتغلّين الأزمـة التـي كانـت قائمـة بيـن أحمـد باشـا الجـزّار والأميـر يوسـف الشـهابي.[٤٦] فبينمـا كان الأول يُهيِّـئ العـدّةَ فـي صيـدا لمهاجمـة الثانـي فـي الشّـوف، تحـرّك المدَبِّـرُ علـي الزّيـن الشّـحوري[II] وحمـزة محمـد النّصّـار، أحـدُ قـادةِ المقاومـةِ العامليَّـة للجـزَّار، نحـو تبنيـن، فقتلـوا متسـلّمها.[٤٧] فبـدَّل الجـزّارُ وجهـةَ معركتِه من جبل الشـوف[III] باتجـاه جبـلِ عامـلٍ وهاجـمَ شـحورَ والقـرى المحيطـةَ ودمّرَهـا بالمدفعيَّـة وأَسـرَ كثيريـن وأرسـلهم إلـى صيـدا، بينهـم حمـزة النّصّـار، ثـمَّ أَعدمهـم. وهـرب المدبِّـرُ علـي الزّيـن وعائلتُـه إلـى العـراق فإيران

(I) تعبير شعبي لوصف الهاربين أو المطارَدين.

(II) رجل دين من بلدة شحور. نظَّم مجموعات من الفلاحين والمسلّحين المناوئين للسلطة العثمانيَّة تحت إمرة حمزة النصّار.

(III) هو اليوم أحد أقضية جبل لبنان، يحدّه شمالًا نهر الدامور، وجنوبًا نهر الأولي.

والهنـد، أمّـا أولاد ناصيـف النصّـار ففـرّوا إلـى الشّـامِ ثـمَّ العـراق.(٤٨) كانـت معركـةُ شـحور عـام ١٧٨٤ قاصمـةً لظهـرِ العامليّيـن الذيـن لـم تقُـمْ لهـم قائمـةٌ بعدهـا، فافتــقدوا المقوّمـاتِ اللّازمـةِ للنّهـوضِ مـن زعامـاتٍ وقـوّةٍ عسـكريَّةٍ ووصـل الوضـع عندهـم إلـى الحضيـض، ولـم تبـقَ فيهـم زعامـة سياسـيَّة قويَّـة حتـى لتحصيـل الجبايـات المفروضة. «فلـم يُسـمع بعدهـا بأي حركـة [عسـكريَّة] للعامليّين ضـد الجزّار».(٤٩)

وأثنـاء حملـة نابليـون عـام ١٧٩٨حضـرَ إلـى عكّا مشـايخُ من بـلادِ بشـارة،(٥٠) أمـلًا فـي التّخلّـصِ من الجزّار. إلّا أنَّ أحمد باشـا نكّلَ بهم كذلـك،(٥١) إثر رحيل عسـاكر نابليون من عكا.

بوفـاةِ الجـزّار عـام ١٨٠٤ واسـتلامِ سـليمان باشـا[I] ولايـة صيـدا حـاول الأخير إصـلاحَ مـا أفسـدَه الأول، فاتَّصـل بالطُّيّـاحِ وبالأُسَـر العامليَّـة التـي غـادرتْ وأعادَهـا، وردَّ قِسـمًا مـن ممتلكاتِهـم معتـذرًا لعـدمِ إمكانيَّـةِ إرجـاعِ الأمـورِ كمـا كانـتْ، كونُهـا دخلـتْ فـي وارداتِ الخزينةِ منـذ ١٥ عامًـا.(٥٢) وهكذا بدأَ جبلُ عامل ينهضُ اقتصاديًّا وعمرانــيًّا وبشـريًّا أيضًا. فسـليمان باشـا لم يخُضْ حروبًـا كثيـرةً باسـتثناءِ معركتِه ضدَّ والي دمشـقَ يوسـف باشـا الكنـج[II] التي قُتـل فيهـا العديـدُ من رجـالاتِ العامليّيـن.(٥٣) واتّفـقَ خَلَفُه عبد الله باشـا[III] مـع فـارس ناصيف النّصار[IV] علـى إعادةِ الوضعِ إلى مـا كانَ عليه قبل الجزّارِ فاشـتركَ العامليّـون معـه في معركتَــي المزّةِ وبنـاتِ يعقوب عـام ١٨٢٢.(٥٤)

(I) والٍ عثماني، كان مملوكًا لأحمد باشا الجزّار، تولّى ولاية صيدا بعد وفاة الجزّار بين عامي ١٨٠٥ و١٨١٩. توفي عام ١٨١٩.

(II) والي دمشق بين عامي ١٨٠٧ و١٨١٠، وهو من أصول كرديَّة.

(III) عبد الله باشا بن علي تولّى ولاية صيدا مرّتين: الأولى من عام ١٨٢٠ حتى ١٨٢٢، والثانية من نيسان ١٩٢٣ حتى أيار ١٩٣٢.

(IV) ابن شيخ مشايخ جبل عامل ناصيف النصّار، تولّى على جبل عامل بعد موت الجزّار. وكان شاعرًا وأديبًا.

د- جبلُ عامل تحت الحكم المصري

مع خضوعِ المنطقةِ وجبلُ عامل للحُكم المصري إثرَ حملةِ إبراهيم باشا[I] عام ١٨٣١، أُلحق جبلَ عامل بجبل لبنان الذي بقي تحت حُكم الأمير بشير الشّهابي الثّاني. كان الحُكمُ المصري، برغمِ ما جلَبه من حداثةٍ بخصوصِ الإدارةِ والمساواة بين الطّوائف وإنشاء المجالس التمثيليَّة، قاسيًا على العامليّين وغيرِهم بخصوصِ الضّرائب والسُّخرة وجمع السّلاح وتجنيدِ الرّجال.[٥٥]

وقد استغلّت الأُسَر العامليَّةُ، التي فقدت امتيازاتِها، هذا الوضع، فقادَ حسين شبيب النّصّار[II] ثورة عام ١٨٣٩ بعد عامٍ من تمرّد الدّروز على الحُكم المصري،[٥٦] فسارَ إليه الأميرُ مجيدُ ابنُ الأميرِ بشير الشّهابي وهزمَه.[٥٧]

وبعد توقيعِ معاهدةِ لندن عام ١٨٤٠ وانسحابِ المصريين، رجع جبلُ عامل إلى العثمانيّين، وعاد دورُ شيوخِ الأُسَر إلى السّاحة العامليَّةِ، وخصوصًا تلك التي كانت ضدَّ التّواجدِ المصريّ.[٥٨]

(I) إبراهيم باشا الابن الأكبر لوالي مصر محمد علي باشا، خاض عدّة حروب ضد الدولة السعوديَّة الأولى وفي السودان وفي المورة اليونانيَّة وقام بحملتين على بلاد الشام. عُيِّنَ نائبًا عن أبيه في حكم مصر. توفي عام ١٨٤٨.

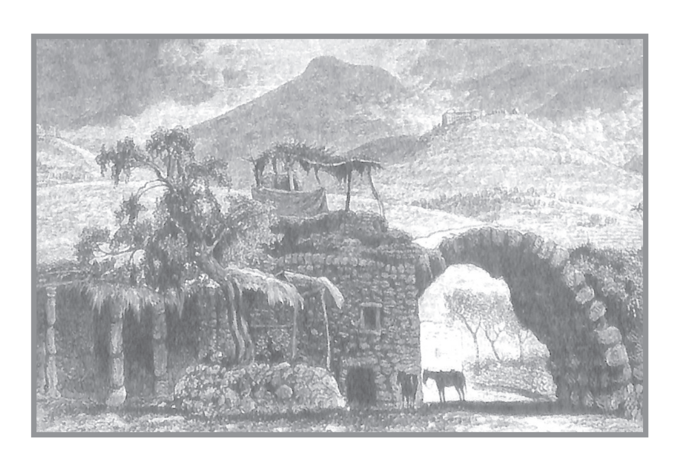
(II) حسين بن شبيب النصّار: إثر ثورته انحسرت مطالبه برفع المتسلّمين من بلاده وإعادة الحكم كما كان في عهد والده. فلم تُعرف غايته من الثورة، وما إذا كانت من أجل عودة الحكم العثماني، أو لإقامة نوع من الاستقلال الذاتي الإداري، أو لمجرد رفع ما كان يراه ظلمًا واقعًا على العامليّين.

٢) جبـلُ لبنان

بعد التّهجيرِ الكبير الذي تعرّضَ له شـيعةُ جبلِ لبنان في القرنِ الرّابع عشـر إثْرَ الحملاتِ المملوكيَّة، بقيتْ أعدادٌ منهم منتشرةً فيه بعد أنْ أمِنَ المماليكُ كسـرَ شـوكتِهم، كمـا أنَّ قسـمًا آخر عمَـد إلى تبديـلِ مذهبِه. وسُـلِّمَ الجبلُ للتّــركمانِ الّذين فضَّلوا أنْ يَــلوذوا بسواحلِه، تاركينَ داخلَه للموارنةِ الّذين وجَدوا الفرصةَ سـانحةً لملءِ الفراغاتِ السُّـكانيَّةِ هناك، كما أسـلفنا سـابقًا. وفـي القـرن الخامس عشـر، ومـع الغـزو التيمورلنكـي، توجّهتْ أعـدادٌ من شـيعة البقـاع باتجـاه الجبـل لائـذةً بحصانتـه الطبيعيَّـة. كمـا انضمّت إلى هـؤلاء السـكان الأُسَـر الحمّاديَّـة، وهـي مجموعـةٌ مـن العشـائرِ الشـيعيَّة المُختَلَـف فـي أصولِهـا الجغرافيَّـة والمرتبطـة فـي مـا بينهـا «برباـطٍ قَبَلي مـن نـوعٍ خـاصٍّ يقـومُ علـى عاملَـي النَسَـبِ والـولاءِ ويرتكـزُ علـى رابطـةِ الـدم والقُربـى التـي تدينُ بالرئاسـةِ والطاعـةِ لرجلٍ واحد، يقـومُ على رأسِ الهَـرَم شـيخًا علـى الحمَّاديَّـة، والباقـونَ ثلاثُ طبقـاتٍ تؤلّـف بمجموعها ما عرفه التاريخُ اللبناني باسـم الحمَّاديَّة».[٥٩] وبسـبب انتشـار هذه العشـائر الشّـيعيّة تجمّـد وبشـكل مؤقـت التوسّـع المارونـي القـادم مـن الشـمال باتجـاه الجنوب.

ومع بدايةِ القرنِ السّـادسَ عَشَـرَ وسـيطرةِ العثمانيّين على سـوريا، عاشـت المنطقـةُ وضعًـا هادئًـا سـاهمَ في هجـرةِ الشّـيعةِ من بـلادِ بعلبـك باتّجاهِ كسـروان؛ وكانَ ذلـكَ فـي أيّـامِ ولايـةِ الأميـرِ عسّـاف التُّركمانـيّ[I] علـى كسـروان وبلادِ جبيـل.[٦٠]

[I] الأمير عساف: عيّنه العثمانيون كحاكم لجبيل وكسروان والبترون وعكار إثر سيطرتهم على البلاد ١٥١٦، حكَم المنطقة عامين ثمَّ توفِّي وخَلَفه ابنه حسن. وهو من السلالة التركمانيَّة السّنيَّة التي كلّفها المماليك بحراسة الساحل بعد الحملات الكسروانيَّة الشهيرة.



رسم لجسر المعاملتين في كسروان

أ- الأُسَر الحـمّاديَّة والالتـزام

فـي العصْرِ العُثماني التــزمَ الحمّاديون المنطقة الممتدّة من سـفوحِ صنينَ الشّـماليَّةِ إلـى جُبّـةِ بشـرّي فـي الشـمالِ، بمـا فـي ذلكَ بـلادُ جبيـلِ والكورةِ والبتـرونِ وبعلبـك، ووصلـتْ مقاطعاتُهـم إلـى الضنّيَّـةِ.(٦١) ولـم يسـتقرّوا فـي مناطـقَ محـدّدةٍ كغيرِهـم، بـل كانـتْ مقرّاتُهـم منتشـرةً فـي مُختلـفِ الأنحـاءِ.(٦٢) وكان للعسّـافيّين التُّركمـان السُّـنّة دورٌ فـي مسـاندةِ الحمّاديّيـن للوصـولِ إلـى موقـعِ الالتــزاماتِ. فقـد ثبَّتوهـم فـي منطقـة غزيـر «كوكلاء لمنطقـة جبيـل»،(٦٣) وأبقـوا على علاقـاتِ التّعـاونِ معهُم حتى آخـرِ أيّامهم، وقـد خلَفَهـم الحمّاديـون بعد مقتـل الأمير محمـد عسـاف(I) دون وريث له عـام ١٥٩١.(٦٤) وكان التــزامُهم مـع الدّولـةِ العُثمانيَّـة، وبحسـبِ الأعـرافِ والأنمـاطِ السّياسيَّة فـي ذلـكَ الوقـتِ، يتِـمُّ عبـرَ مفاوضـاتٍ سـنويَّةٍ فـي

(I) الأمير محمد بن الأمير منصور عساف التركماني. حكَم من عام ١٥٧٩ حتى عام ١٥٩١. وكان العسّافيون قد جاؤوا إلى المنطقة عام ١٣٠٦، بعد الحملة الكسروانيَّة الأخيرة، لحراسة المنطقة الساحليَّة وضبط أمورها.

طرابلـس،[٦٥] وأحيانًـا بطريقـةٍ غيـرِ مباشـرةٍ عبـرَ ملتزميـن آخريـن فـي المناطـقِ.[I]

وقـد استــندَ الحمّاديـون إلـى حجـرَيّ زاويـةٍ متيــنَين لكي يسـتطيعوا نيلَ هـذا الالتــزام. أولًا، الوجـودُ السُـكّانيُّ الشّـيعيُّ فـي جبـلِ لبنانَ الّـذي أخذَ يسـتعيدُ عافيتَـه تدريجيًّا بعـدَ التّهجيـرِ مـن كسـروانَ فـي بدايـاتِ القـرن الرّابـعَ عَشَـرَ؛ وثانيًـا، تنظيمُهـم الذّاتـيُّ القـويُّ عشـائريًّا الـذي جعلَهـم قـوةَ أمـرٍ واقـعٍ عسـكريَّة،[٦٦] وقـد اسـتطاعوا أنْ يفرضـوا أنفسَـهم فـي ظـلِّ الإقطاعـاتِ المجـاورةِ لهـم حتـى أواخـرِ القـرنِ الثّامـن عَشَـر. وكانتْ علاقتُهـم بالعثمانيّيـن تتقلّـبُ بيـن التّعـاونِ تـارةً والتّوتّـرِ طـورًا.[٦٧] فكانوا يدخلـونَ فـي صراعـاتٍ مـع باشـواتِ العُثمانيّيـن حيـن يتخلّفون عـن دفعِ الضّرائـبِ التـي يَجْبونهـا، أو حيـن ينخرِطـونَ فـي خصومـاتٍ مـع جيرانِهم الملتــزمين، وأحيانًـا حيـن كانوا يقسـونَ على السُّـكّانِ المحلّييـن.[٦٨] وكان الأمـراءُ المعنيّـون والشّـهابيّون كلَّما اسـتاؤوا منهُـم يلجأونَ إلـى تعويـمِ آلِ الشّـاعرِ[II] فـي منطقـةِ البتـرون.[٦٩]

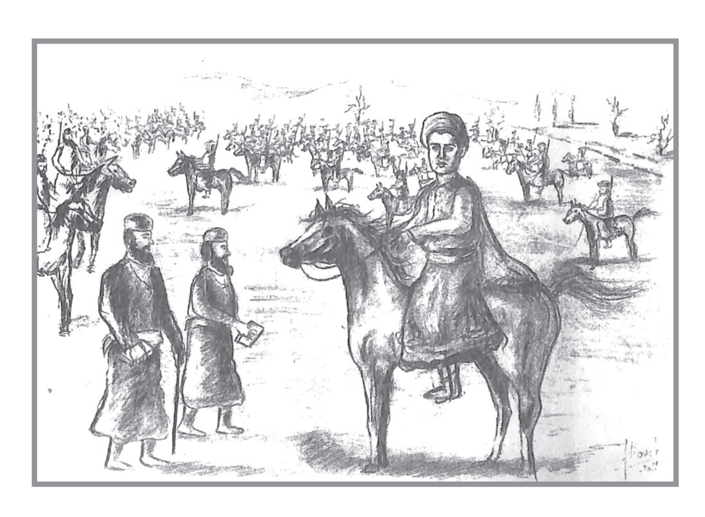
ب- جبلُ لبـنان في العهدَين المعني والشّهابي

كمـا أسـلفنا سـابقًا، التـزم الحمّاديـون منطقـةَ جبيـل كـوكلاء للعسّـافيّين التُّركمـان بعـد أنِ اسـتقرّوا فـي غزيـر، فخَلَفوهـم هنـاك بعـدَ مقتـلِ آخـرِ أمرائِهـم دون أنْ يتـركَ وريثًـا لـه عـام ١٥٩١.[٧٠]

وفـي العهـدِ المعنـيّ، وبعد عودة الأميـر فخر الدين من منفـاه عام ١٦١٨،

(I) كان الالتزام يتمّ أحيانًا مع أمراء جبل لبنان.

(II) كانوا جُباة ضرائب للبترون وجبّة بشري انطلاقًا من مركزهم في قرية تولا التي بنوا فيها مسجدًا وقصرًا. انظر/ي: ستيفان وينتر، المصدر السابق، ص ١٤٠.



رسم للأمير علي حمادة والرحّالة دولاروك عام ١٦٨٩

استـطاعَ أنْ يحصـلَ علـى التِـزامِ جبيـلَ والبتـرونَ اللّتيـن تخصّـان والـي طرابلـسَ، الـذي كان يُضطـرُ إلى تقديمِ تنـازلاتٍ لفخر الدين، تكـونُ أحيانًا علـى حسـابِ الحمّاديّيـن.[٧١] وقد اصطـدمَ الأمير بهم عندما حـاول التّمدُّدَ شـمالًا خـارجَ جبـلِ الـدّروزِ (جنوب جبـل لبنـان) وردّوه عـام ١٦٣١.[٧٢]

واسـتفادَ الحمّاديون من غياب آل سـيفا كقوةٍ سياسـيَّةٍ عام ١٦٤١ لينشـروا نفوذَهـم بقـوةٍ، وخصوصًا فـي الأماكـنِ ذاتِ الأكثريَّةِ المارونيَّة، فتوسّـعتْ إمارتُهـم إلـى خـارجِ المناطـقِ اللّبنانيَّـة شـمالًا.[٧٣] فتعاظم الصّـدامُ بعدئذٍ مـع وُلاةِ طرابلـس ومـع منافِسـيهم المحلّيّيـن، وجُـرّدَتِ الحمـلاتُ ضدَّهُم، فكانـتْ حمـلاتُ أعـوامِ ١٦٤١ حيـث قُتـل عـددٌ مـن مشـايخِ الحمّاديّيـن. وفـي عـام ١٦٥٩ هُدِمَـتْ دُورُهـم فـي وادي علمـاتَ فغادروهـا باتّجـاهِ كسـروان. أمّـا عـام ١٦٧٥ فأُحرِقـتْ قُـرى وادي علمـاتَ وجبّـةِ المنيطـرةِ وغيرُهـا لتصرُّفِهـم بالمـالِ الأميـريّ، ثـمَّ طُـرِدوا إلـى أفـقا. وأُحرِقَـتْ تلـك القُـرى مجـدَّدًا بعد سـنةٍ.[٧٤] وعـام ١٦٨٥ هاجم الحمّاديّون قلعـةَ طرابلسَ



رسم لإسماعيل حمادة (١٦٩٢-١٧٤٥)
سيد البلاد الواقعة بين بيروت وطرابلس

وحـرّروا رهائـنَ، فجُـرّتْ عليهـم حملـةٌ عبـرَ الأميـرِ أحمـد المعنـيّ(I) وأُحرِقَـتْ قُراهـم ففـرَّ عـددٌ منهـم إلـى بعلبـك،(٧٥) وجُـرَّت عليهـم ١٥ سـنة مـن الحمـلاتِ التّأديبيَّـة.(٧٦)

إنَّ هـذه الصدامـاتِ كانـتْ مشـهدًا يُشـبهُ طبيعـةَ تلـك المرحلـةِ، فهـي ترْتبـطُ بعالـمِ الالتــزامِ ومـا يترتّـبُ عليـهِ مـن عـدمِ دفـعِ الضّرائـب، ولذلـكَ لـم تمنـعِ الـولاةَ مـن إعـادةِ تَوْليتِهـم. وبعـد أنْ صارَ علي باشـا(II) هـو الصّـدرُ الأعظـمُ، أمَـرَ والـي طرابلـسَ أرسـلان باشـا(III) ووُلاةً وأمـراءَ آخريـن بتجهيـزِ حملـةٍ عـام ١٦٩٤ علـى الحمّاديّيـن والأميرِ أحمـد المعنيّ الـذي اتُّــهِمَ بعـدمِ طاعـةِ الأوامـرِ،(٧٧) لأنَّـه حـاولَ التوفيـقَ بيـن مصالحِـه وتحالفاتـه وبيـن مُمالأةِ السُّـلطةِ، الأمـرُ الّذي لـم يُعجِـبِ العُثمانيّين، وقد فـرَّ إلـى وادي التّيـمِ بعدمـا أوعـزَ السُّـلطانُ إلى وُلاةِ دمشـق وصيـدا وعكّا بعَزلِـه.(٧٨)

وبعدمـا تولّـى الأميـرُ بشـيرُ الشـهابي الأوّلُ الإمـارةَ عـام ١٦٩٧ فـي أعقـاب مـوتِ الأميـرِ أحمد، باتَ المسـؤولَ عن الملتــزمين الشّـيعةِ أمام العُثمانيّيـن، فأُعيـدَ تثبيتُهـم بضمانتِـه.(٧٩) وفـي السّـنةِ التّاليـةِ، شـنَّ والي

(I) الأمير أحمد بن ملحم بن يونس المعني، آخر الأمراء المعنيين، وُلّي الإمارة عام ١٦٥٨. وبوفاته وعدم وجود وريث له، انتقل الحكم إلى الشهابيين.

(II) عُيّن صدرًا أعظمَ للدولة العثمانيَّة من ١٣ آذار ١٦٩٤ حتى ٢٢ نيسان ١٦٩٥، في فترة حُكم السلطانَين أحمد الثاني ومصطفى الثاني.

(III) أرسلان محمد باشا، كان واليًا خلال حياته على طرابلس ودمشق وصيدا. توفي عام ١٧٠٤.



MD 104. 155

حُكم سلطاني عثماني موجّه إلى الوزير علي باشا يؤكد سيطرةَ المتمردين الشيعة القزلباش على النواحي اللبنانيّة في ولاية طرابلس ومنعهم الضرائب عن «بيت مال المسلمين»، ويأمره بالهجوم على مناطق وجودهم ومعاقبتهم بالقتل شرعًا بالاشتراك مع وُلاة الشام وصيدا وبيروت وسائر أعمالها بمن فيهم ابن معن، شباط ١٦٩٣

طرابلسَ أرسلانُ باشا حملةً على الحمّاديّين بعد تخلّفِهم عن دفعِ التزاماتِهم، وقرّرَ أنْ ينزعَ عنهُم التزامَ جبيلَ، فشفعَ فيهم الأميرُ بشير وكفلَهم وأعادَهم إلى ولايتهم.(٨٠) وحملَ لهم القرنُ السّابعُ عَشْرَ مواجهاتٍ مع أجيالٍ جديدةٍ من الملتزمين، منهم آلِ الخازن(I) الموارنةِ في كسروان.(٨١)

(I) آل الخازن: من الموارنة، حكموا منطقة كسروان بعد عودة فخر الدين المعني من توسكانا عام ١٦١٧، وقد استمر نفوذهم في المنطقة لثلاثة قرون.

ورغـمَ العلاقـةِ الجيّـدةِ للحمّاديّين مـعَ الأميرِ حيدرِ الشّـهابي الذي ولّاهم جُبّـةَ المنيطـرة[٨٢] ثـمَّ بـلادَ جبيـلَ والبتـرونَ بعـد معركـةِ عيـن داره،[٨٣] شـهِدَ منتصـفُ القـرنِ الثّامـنَ عَشـرَ انحسـارًا للشـيعة فـي جبـل لبنـان، بينمـا كانـتْ أعـدادُ المسـيحيّين فـي تزايـدٍ مسـتمر. ارتبـطَ هـذا التّحولُ بتراجـعِ الجانـبِ الالتزامـيّ للحمّادييـن، فتـمَّ إخراجُهُـم عـام ١٧٦٢ مـن جُبّـةِ بشـرّي والمُنيطـرةِ وبـلادِ جبيـل بعـدَ مقتـلِ مطـرانِ إهدن، واسـتلَم بـدلًا منهُـم الموارنـةُ وتوسّـعوا جنوبًـا نحـو كسـروان.[٨٤] وبعدمـا تولّـى الأميـرُ يوسـفُ الشّـهابي الإمـارة[I] عـام ١٧٧٠، كـفَّ أيديهـم عـن كامـلِ مُعادلـةِ طرابلـسَ بعـد واقعـةِ أميـون وطردَهـم مـن الكـورة،[٨٥] وصـار شـمالُ لبنـانَ فـي عهـدةِ الموارنـةِ، وهـو مـا أدّى إلـى النّهايـةِ الحتْميَّـةِ لحُكـمِ الحمّاديّيـن، وشـتّتَ الكثيـرَ مـن السُّـكانِ الشّـيعةِ،[٨٦] وقـد غادروا باتجـاه الهرمـلِ بعدمـا اقتُطِعَـتْ أملاكُهـم للأدْيـارِ وللفلّاحيـن الموارنـةِ، وكان لقناصـلِ فرنسـا دورٌ بـارزٌ فـي مـا جـرى، كمـا يشـير الباحـث عبـد اللـه إبراهيـم أبـي عبـد اللـه.[٨٧]

وفـي عهـدِ الأميـرِ بشـير الشّـهابي الثّانـي الـذي وُلّـي الإمـارةَ عـام ١٧٨٨، تقاطعـتْ مصالحُـه الالتــزاميَّةُ مع الوجهاءِ المسـيحيّين ووالي طرابلس في إبعـاد الحمّادييـن،[٨٨] فـازدادَ توجّـه هـؤلاءِ داخليًّـا نحـو الجرود.

ج- جبلُ لبنان تحت الحكم المصري

وعندمـا خضـعَ جبـلُ لبنـانَ للحُكـمِ المصْـري، كان الحمّاديّـون مـن القـوى المعارضـةِ لـه، والتــقوا مع ممثلينَ لباقـي الطّوائفِ فـي أنطلياس مُطلقين الثـورةَ علـى المصريين والأميرِ بشـير الثاني. وشـاركَ مَـن كان انتقل منهم

(I) حَكَم من عام ١٧٧٠ حتى عام ١٧٨٨.

عقد التزام جبة بشري والضنيّة والزاوية وعكار وحصن الأكراد إلى الشيخ حسين حمادة وتكليفه بحفظ هذه المناطق وحراستها وتأمين الطرقات وعبور أبناء السبيل وسائر الرعايا (١٦٨٨)

إلى البقاع مع الحرافشةِ في التّمرُّدِ[٨٩] هناك، وأدّى ذلك، مترافقًا مع التّدخُّلِ الأجنبي، إلى ضعضعةِ الحكمِ المصْريّ ونفي بشير الثاني إلى مالطا، وتعيينِ بشيرِ الثّالث بدلًا عنهُ والذي لم يَحكمْ طويلًا، فعُزِلَ مطلع عام ١٨٤٢،[٩٠] وفي عهدِه اندلعت النّزاعاتُ الطّائفيَّةُ بين المسيحيين والدروز بعد عودة الزعماء الدروز الذين كانوا قد غادروا

البـلاد إليهـا، والذيـن أخـذوا يطالبـون بحقوقهـم وامتيازاتهـم وإقطاعاتهـم التـي كانـوا قـد خسـروها،[٩١] ولـم يكنْ بالإمـكانِ إرضـاءُ الطّوائـفِ، فتحوّلَ نظـامُ الإمـارةِ إلـى جثّـةٍ حـلَّ محلَّهـا نظـامُ القائمقاميّتَيـن، وكان ذلـك بناءً لطـرحِ المستشـار النّمسـاويّ كليمانـس فـون مترنيـخ.[٩٢]

٣) بعـلبك والبـقاع

مـع بـزوغِ العصـرِ العُثمانـيّ، كان البقـاعُ يتبـعُ ولايةَ دمشـق، وقد اسـتطاعَ الحرافشـةُ بتماسـكِهم العشـائري وقوّتهم العسـكريَّة أنْ يكونَ لهم فيه دورٌ كبيرٌ اسـتمَرّ لقرونٍ أثبــتوا خلالها أنفسَـهم كأسرةٍ شـيعيَّةٍ نافذةٍ وحيدةٍ،[٩٣] ولكـن كان تاريخُهـم حافـلًا بالنّــزاعاتِ[I] التـي أوْدَتْ بإمارتِهم إلـى نهايتِها أواخر القرن التاسـع عشـر.

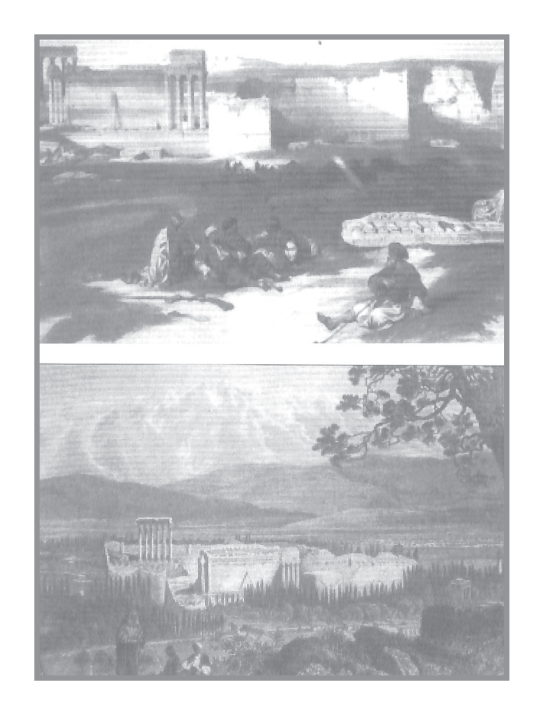
بـدأ الحرافشـة فـي الظهـور كقـوة أواخـر القرن الرابع عشـر كشـيوخ عشـير للمناطـق المحيطـة بمدينـة بعلبـك.[٩٤] وقد يكـون للزيادة السـكّانيَّة هناك، نتيجـة موجـات النازحيـن الشـيعة مـن كسـروان مطلـع هـذا القـرن، يد في تعزيـز هذا الوجـود.[٩٥]

كذلـك يبـدو أنَّـه قـد كان لهـم دورٌ سياسـيٌّ أيضًـا فـي نهايـةِ العصْـرِ المملوكـيّ مطلـع القرن السـادس عشـر. فيذكرُ ابنُ طولون أثنـاءَ كلامِه عن حصـارِ الـدوادار آقبـري[II] لدمشـقَ كيـف أنَّ نائـبَ بعلبـك ابـنَ الحرفـوش الْتــفَّ عليـه.[٩٦] ولعـلَّ سـلطتَهم كانـت بـدأت تسـودُ بعـدَ زوالِ سـلطةِ

(I) تنوّعت النزاعات بين صراعات داخل الأسرة وبين أمرائها، وأخرى مع الوُلاة، أو مع باقي الأمراء للأُسر الثانية والمحيطين بإمارة الحرافشة طمعًا في التزامها لدى العثمانيين بدلًا منهم.

(II) الدوادار اسمٌ يطلق في عهد المماليك على الأشخاص الذين يتولّون منصب إرسال رسائل السلطان. كما يَعرضون عليه العرائض والاسترحامات، ويُدخِلون السفراء وغيرهم من الشخصيات ليقابلهم. وكان الدوادار آقبري قد حاصر دمشق سنة ١٤٩٨ وتوفي في حلب عام ١٤٩٩.

ابـنِ فريـخٍ[I] الّـذي كانـت لـه السـيطرةُ منـذُ منتَصـف القـرنِ السّـادسَ عشـر، وهـو الذي كان «مُبغِـضًا للرافضةِ والـدّروز والتّيامنـة».[٩٧]



رسمان تاريخيان لمدينة بعلبك

ولا يمكـنُ تنميـطُ الشّـكلِ السّياسـيّ العـامِّ الّـذي رافقَ حكـمَ أمـراءِ الحرافشـةِ فـي بعلبـك والبقـاع، فقـد تميّـزت فتـراتُ حكمِهـم بمواقـفَ متبدّلـة تجـاه الباشـوات الذيـن سـعوا دائمًـا لإضعافِهـم فـي غيابِ الأُسَـر المنافسـة، وتجـاه الأمـراء الآخريـن المجاوِريـن لهـم الطامعين فـي إقطاعاتهـم، والذين كانوا يتــبادلون المكائـد فـي إطـار التنافـس تحـت سـقف السـلطة. كذلـك لا يجـوز إغفـال ظاهرة الصراعات بين الأمراء الحرافشـة أنفُسِـهم، فقد كانت شـديدة، وتترتَّـبُ عليهـا أحيانًـا تحالفات وحملَات تجاه الأمراء والباشـوات المجاوِريـن، وكانـت فـي بعـض الفتـرات تهـزّ سـلطتهم، وتـؤدّي إلـى كفّ أيديهـم عـن مناطقهـم. وشَـهِدت فتـراتٌ مـن حُكمهـم تحالفـاتٍ ميدانيَّة مـع الحمّاديّيـن، وخصوصًـا فـي فتـرة حُكـم الأميريـن[II] عمـر وشـديد.[٩٨]

(I) الأمير منصور المعروف بابن فريخ البدوي، أمير البقاع العزيزي بعد أولاد ابن الحنش. والبقاع العزيزي هو ذلك الجزء، جنوبي بعلبك من البقاع، الذي كان مركزه كرَك نوح.

(II) الأمير عمر بن إسماعيل بن موسى الحرفوش: استعاد إمارة بعلبك من الشهابيين عام ١٦٨٠، لجأ إلى آل حمادة في جبل لبنان بعدما واجه تمرّدًا من بعض أقربائه في بعلبك. توفي عام ١٦٨٣.

أ- الحرافشـة مـع الباشـوات والملتزميـن فـي العهدَيْن المعني والشَّـهابي: التزامـات وصدامات

رغـم مذهبِهـم البِـدْعيّ[I] بالنسـبةِ إلـى السّـلطنةِ، فـرضَ آلُ حرفـوش أنفسَـهم كملتــزِمين محليـين لهـا، فـكان مـن ضمـنِ التــزاماتِهم، إلـى جانـبِ جمـعِ الضّرائـبِ وتأميـنِ العسـكرِ، حمايـةُ المنطقـةِ مـن غـاراتِ البـدو.[٩٩] وكان العثمانيـون علـى عادتهـم يسـتخدمون ملتــزميهم ضـدَّ بعضِهـم البعـضِ لأجـلِ الإبقاءِ علـى التّـوازنِ، ولذلك كان الحرافشـةُ دائمًا مُسـتعدِّين لجـولاتٍ مـن الصّداماتِ مع الباشـواتِ العُثمانيّيـن وملتزميهم مـن الأمـراءِ الآخرين.

بعـد مقتـلِ علـي الحرفـوشِ[II] أوّلِ أمرائِهـم عـام ١٥٩٠[١٠٠] علـى يـد مـراد باشـا[III] والـي الشـام وبتحريـض مـن الأميـر فخـر الديـن المعنـي،[١٠١] قام ابنُـه الأميـر موسـى[IV] بعـده والتــزمَ تجاه باشـا دمشـق على أكمـلِ وجهٍ، فتـمَّ تسـليمُه حاكميَّـةَ حمـص وبعلبـك.[١٠٢] كمـا لبَّــى موسـى عـام ١٥٩٥ طلـبَ نائـبِ الشّـام محمد باشـا في نجـدةِ فخر الدّين في مواجهةِ يوسـف

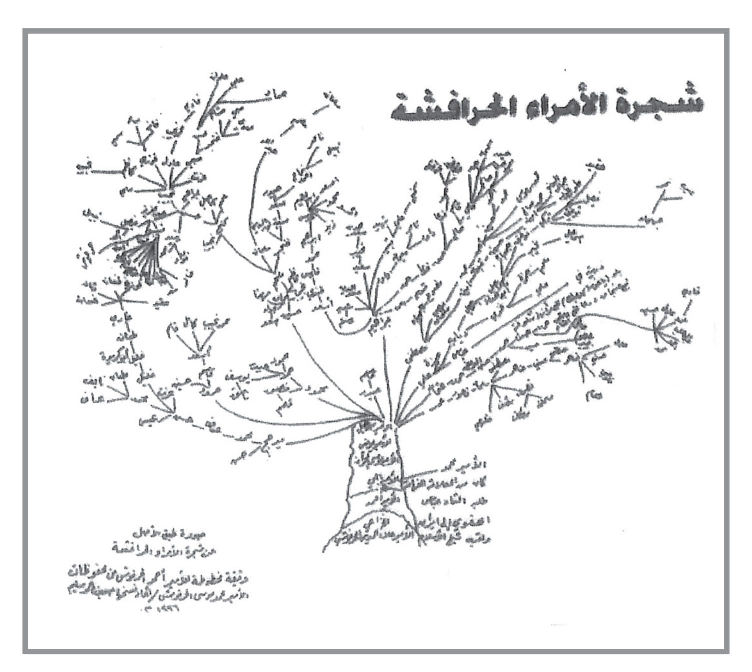
أمّا الأمير شديد بن إسماعيل الحرفوش فهو الذي قاد الهجوم على قلعة طرابلس لتحرير سجناء من آل حمادة. حكم بعلبك حتى وفاته عام ١٦٩٣.

(I) بالنسبة إلى السلطنة، كانت المذاهب الإسلاميَّة غير السُّنيَّة، ومنها الشيعيَّة، تُعرف على أنَّها بِدْعيَّة. وسبب التسمية أنَّها على غير السُّنَّة مذهبًا وقولًا وعملًا. والبدْعة هي الزيادة في الدّين أو النقصان منه، أي تبنّي ما لا أصل له في الشريعة.

(II) علي بن موسى بن الحرفوش: كان من الذين واكبوا حملة الجيش العثماني على جبل الشوف عام ١٥٨٥ بقيادة إبراهيم باشا إثر حادثة جون عكار وسرقة خزينة الدولة التي اتُّهم فيها أمراء الشوف والأمراء العسّافيون. ثمَّ عيّنه إبراهيم باشا حاكمًا على جبل الدروز (الشوف، المتن، الجُرد، والغرب) إضافةً إلى بعلبك.

(III) ويلقَّب بالكويوكو. وُلد في البوسنة عام ١٥٣٥، وتوفي عام ١٦١١ في ديار بكر في تركيا. أصبح الصدر الأعظم في الفترة بين ١٦٠٦ و١٦١١.

(IV) الأمير موسى بن علي الحرفوش: كان شاعرًا وأديبًا ايضًا، خَلَف والده في منصبه وحكَم من عام ١٥٩٠ حتى عام ١٦٠٧، سنة وفاته.



شجرة الأمراء الحرافشة

سيفا،[١٠٣] قبل أنْ يُلبّيه لاحقًا في مواجهةِ إنكشاريَّةِ[I] حلبَ مقابلَ دعمِه أمامَ يوسف سيفا في البقاعِ.[١٠٤]

وأثناء المواجهةِ بين والي الشّام وأميرِ حلبَ علي جانبولاد[II] السّاعي لنوعٍ من الاستقلالِ الذاتيّ عام ١٦٠٦، وقفَ الأميرُ يونس الحرفوش والأميرُ فخرُ الدّين إلى جانبِ جانبولاد.[١٠٥] وعندما وقعتْ معركةُ عنجر عام ١٦٢٢ بين فخر الدّين ووالي دمشقَ مصطفى باشا،

(I) إنكشاريَّة: هي قوّات نخبة من المشاة في الجيش العثماني، وكان أفرادها من أسرى الحروب الأطفال اليتامى الذين يُأسرون ويُرَبّون تربية إسلاميَّة، على أنْ يكون السلطان والدهم الروحي والحرب صنعتهم الوحيدة. وقد ألغى السلطان محمود الثاني هذه النخبة عام ١٨٢٦.

(II) والي حلب من عام ١٦٠٥ حتى عام ١٦١١، وهو جدّ الأسرة الجنبلاطيَّة في لبنان. تمرّد على الدولة العثمانيَّة، وانتصر عليها في معارك عديدة.


رسم لـ الأمير جهجاه الحرفوش

وقـفَ يونـس الحرفـوش[I] هـذه المـرة مـع الوالي الّـذي هُزِمَ وأُسِـرَ فـي المعركـة.[١٠٦] ويونـس كانـت تجمعُـه علاقـةٌ كبيـرة بفخـر الدّيـن منـذُ أنْ أجـارَه فـي مواجهـةِ ابـنِ عمِّـه موسـى وأنقـذَهُ مـن بطـشِ كلٍّ مـن أحمـد باشـا[II] ونصّـوح باشـا،[١٠٧] لكـنَّ العلاقـةَ تدهـورتْ لاحقًـا بعـد عـزلِ فخـر الدّيـن عـن سـنجقِ صفـد عـام ١٦٢٢، وطلـب يونـس مـن والـي دمشـقَ مصطفى باشـا التــزامَه بـدلًا منـه،[١٠٨] فاغتنمَ فخـرُ الدّيـن فرصـةَ قدومِ الصّـدرِ الأعظمِ خليل باشـا إلى حلبَ، فسـعى عنـده بيونـسَ الـذي كان تأخّـرَ فـي سَـدادِ ضرائبِـه، فقبـضَ عليـه وقتلَه عـام ١٦٢٥.

عندمـا اصطدمَ أحمد باشـا بفخـرِ الدّين عام ١٦٣٣، انضمَّ حسـين ومحمّد، ابنـا يونـس الحرفـوش، إلـى جيـش الباشـا، وهـي المعركـةُ التـي أُسـرَ فيهـا فخـرُ الديـن ونُفـي بعدها إلـى الآسـتانة. وأقرَّ الباشـا حُسـين ومحمّد على إمارتِهما فـي بعلبـك وإقليمِها.[١٠٩]

(I) يونس بن حسين الحرفوش: اعتمد السياسة بشكل كبير لبسط نفوذه، زوَّج ابنه أحمد من إبنة الأمير فخر الدين، ثمَّ بعد وفاة أحمد زوَّجها ابنه حسين. كما اتصل بمشايخ جبل عامل من بني منكر وعلي الصغير.

(II) أحمد باشا بن رضوان: والي دمشق، توفي عام ١٦٠٧. أمّا نصوح باشا فيُعرف بالداماد التي تعني الصهر. وقد لُقِّب كذلك لزواجه من ابنة السلطان أحمد الأوّل. أُعدم خنقًا عام ١٦١٤، وكان في منصب الصدر الأعظم الذي تولّاه عام ١٦١١.

عـام ١٦٨٠ قَتَـلَ عمـرُ الحرفـوش، ومعـه الحمّاديـون، فـارسَ الشّـهابي(I) بعدمـا ضمَـنَ الأخيـرُ بـلادَ بعلبـك مـن والي الشّـام، ثمَّ لجـأَ عمر إلـى أميرِ جبـلِ الـدّروزِ أحمـد المعنـيّ فأجـرى الصُّلـحَ بيـن الحرفـوشِ والشّـهابيّين مقابـلَ أمـوالٍ تُدفـعُ سـنويًّا.(١١٠)

عـام ١٦٨٤، هجـم شـديدُ الحرفـوش بمسـاندةِ الحمّاديّيـن علـى قلعـةِ طرابلـسَ لتخليـصِ رهائـنَ مـن مشـايخِهم.(١١١) ثـمَّ تواجـهَ عـام ١٦٨٨ مـع والـي طرابلـس علـي باشـا(II) الّـذي طلـبَ مـن الأميـرِ أحمـد المعنيّ الاقتصـاصَ مـن الحرفـوشِ لتخريبِـه قريـةَ رأسِ بعلبـك وهـدمَ حِصنَهـا، فلجـأَ شـديد إلـى الحمّاديّيـن الذيـن اصطَدَمـوا بالوالي وهزَمـوه في عينِ الباطنيَّـة.(١١٢)

حيـن وقعـت معركـةُ عيـنِ دارا عـام ١٧١١ التـي انتصـرَ فيهـا الأميـرُ حيدرُ الشّـهابي القيسـيّ علـى اليمنيّيـن مُثَبِّـتًا نفسَـه أميـرًا أوْحـدَ فـي الشّـوفِ، كانـت مسـاندةُ الحراشـفةِ لـه حاسـمةً.(١١٣)

فـي عـام ١٧٢٩ صدر حكمٌ سـلطانيٌّ للأميرِ إسـماعيل ابنِ شـديد الحرفوش لتخليـصِ المنطقـةِ مـن العُصـاة.(١١٤) لكـن عـام ١٧٣٣، قتـل إسـماعيل هـذا علـى يـد كافـلِ طرابلـسَ للدولـةِ إبراهيـم الكـرديّ بعـد أنْ أمّنـه كي يحضُـرَ.(١١٥)

وعندمـا جهّز وزيرُ دمشـقَ أسـعدُ باشـا حملةً ضـدَّ الأميرِ ملحم الشّـهابيّ ومعـه الأميـر حسـين الحرفـوش(III) عـام ١٧٤٨، انضـم إليـه الأميـرُ حيـدر

(I) فارس بن أحمد بن منصور الشهابي: أحد أمراء وادي التّيم، اصطدم بالحرافشة والحمَّاديّين بعدما حاول تسلّم بعلبك من أيدي الحرافشة برغبة من والي دمشق. وقد قُتل مع العشرات في هذا الصدام.

(II) علي باشا النكدلي: والي طرابلس، أحرق قرى آل حمادة بعد أنْ لجأ الأمير شديد الحرفوش إليهم وهو كان مطلوبًا من الباب العالي لهدمه قرية في البقاع الشمالي.

(III) تولَّى الحكم بعد أبيه إسماعيل، وكان التحدّي الأكبر له صراعه مع أخيه الأمير حيدر. اغتيل عام ١٧٥١.


رسم للأمير خنجر الحرفوش

الحرفوش مع رجاله.(١١٦) وعام ١٧٥٤، عُزِلَ الأميرُ حيدر عن بعلبك فأبى الخروج منها.(١١٧)

في عام ١٧٨٣ قَبَضَ العسكرُ الدّمشقي لمحمّدِ درويش باشا،(I) وبالتّعاونِ مع أحمد باشا الجزّار، على مصطفى الحرفوشِ(II) وأعدمَه مع اثنين من إخوتِه.(١١٨) وعندما قام والي دمشق بطّالُ باشا بتعيين محمد آغا العبد(III) على بعلبك عام ١٧٨٦، هاجمَه الأميرُ جهجاه بن مصطفى(IV) بعدَ عودتِه من العراقِ لاستردادِ المدينةِ منه.(١١٩) كما اصطدمَ جهجاه عام ١٧٩١ بإسماعيل قائدِ جيشِ والي الشّام في زحلة،(١٢٠) ثمَّ بأحمد باشا الجزّار والأمير بشير الشّهابي الثّاني مرّاتٍ عدّة.(١٢١)

(I) محمد درويش باشا الكرجي. شَغَل منصب والي دمشق من حزيران ١٧٨٣ حتى ١٧٨٤. وكان تولّى ولاية صيدا.

(II) الأمير مصطفى بن إسماعيل بن شديد: تولّى الإمارة لعشر سنوات من عام ١٧٧٤ حتى عام ١٧٨٤، لجأ إليه مشايخ من جبل عامل هربًا من أحمد باشا الجزّار. أُعدم في دمشق بعد أَسره.

(III) كان من المماليك الزنوج.

(IV) حَكَم من عام ١٧٨٧ حتى عام ١٨١٧. وكان شديد الخصومة والصدامات مع الولاة العثمانيّين. كان لفترة حكمه الطويلة نسبيًّا الدور في توفير أجواء الاستقرار السياسي والاقتصادي في منطقته.

ب- التنافس بين الأمراءِ الحرافشة في العهدَين المعني والشهابي

لـم تكـن الأوضـاعُ التي تُحيـطُ بالأمـراءِ الحراشـفةِ، إنْ كانَ معَ الباشـواتِ العُثمانيّيـن أو الأمـراءِ المحيطيـن المتربّصيـن، لـتُثنيَهم عـنِ التنافسِ في مـا بينهـم للسّـطْوَة، فكانتِ الصّراعـاتُ تدورُ بيـن أبناءِ العـمِّ وأحيانًا بين الإخـوةِ، وهـم كانوا يلتمسـون في سـبيلِ ما يَنشـدونَه، العـونَ من الأمراءِ الآخريـنَ والباشـواتِ. وكان العُثمانيـون، علـى عادتِهـم فـي السّياسـةِ، يُؤجِّجـون هـذه الخلافـاتِ ويأخذون جانبًا فيها، لإضعافِ الحرافشـةِ أولًا، ولإفهـامِ أيِّ أميـرٍ أنَّ بديلَـه جاهـزٌ دائمًا.

فالصّـراعُ بيـن موسـى الحرفوشِ وابنِ عمِّـهِ يونس جعلَ الطّرفين يُنشـدانِ المسـاعدةَ من باشـا دمشـق والأمير فخرِ الدّيـن. وانتهى التنافـسُ بينهما بتولِّـي يونـس لبعلبـك بـدلَ موسـى، بعدمـا فـرضَ جانبـولادُ الـّذي ناصره يونـس نفسَـه علـى والـي دمشـق.[١٢٢] وكذلـك نجـحَ حسـين بـن يونـس الحرفـوش فـي انتــزاعِ الإمـارةِ مـن الأميـرِ شـلهوب، بعدمـا قصـدَ يونـس الصّـدرَ الأعظـم فـي حلب، عـام ١٦١٥.[١٢٣]

وتنـازعَ الأميـرُ حسـين بـن إسـماعيل بـن شـديد وشـقيقه حيـدر الإمـارةَ، فقُتِـل حسـين أثنـاءَ خروجِـهِ مـن المسـجدِ عـام ١٧٥١، واتُّــهِمَ إخوتُـه باغتيالِـه، وهـو كان قتـلَ مفتـي بعلبـك السُّـنيّ،[١٢٤] ممـا وتَّـر العلاقـةَ مذهبيًّـا مـع سُـكّانِ المدينـةِ وباشـواتِ الدولـة. وقَصَدَ درويـش بن حيدر ظاهـرَ العُمَـرِ ليسـألَ لـه الأميـرَ يوسـفَ الشّـهابيّ توْلِيــتَه الإمـارةِ بعـد أبيـهِ بـدلًا مـن عمِّـهِ مصطفـى. كمـا اسـتنجدَ محمّـد الحرفـوش بيوسـف الشّـهابيّ ضـدَّ أخيـهِ الـذي ثبَّتَـه والـي الشّـامِ عبـد الله باشـا علـى الإمارةِ عـام ١٧٨٢.[١٢٥]

وفـي فتـرةِ حكمِ جهجـاه بن مصطفـى (١٧٨٧-١٨١٧)، لجأَ قاسـم بن حيدر

الحرفـوش إلى الأميرِ بشـير الشّـهابيّ الثّاني وأحمد باشـا الجزّار لمُسـاندته، ففشـلَ وقُـتلَ.(١٢٦) كمـا تنـازَعَ جهجـاه الإمـارةَ مـع أخيـهِ سـلطان، فـتَناوبا علـى الحُكـمِ.(١٢٧) واسـتنجدَ نصّـوحُ ابـن جهجـاه[I] بالأميرِ بشـير لطـرْدِ عمِّه أميـن الحرفـوش مـن بعلبك عـام ١٨٢٠.(١٢٨)

ج- بعلبك والبـقاع تحت الحكم المصري

مـع دخـولِ المصريّيـن بـلادَ الشّـام عـام ١٨٣١ كان أميـرُ بعلبـك هـو أمين الحرفـوش،[II] وبَـقِـيَ علـى ولائِـه وإخلاصِـه للعُثمانيّيـن، ممـا أغضـبَ إبراهيـمَ باشـا فهاجـمَ بعلبـك وولّاهـا للأميـرِ جـواد الحرفـوش،(١٢٩) فغـادرَ أميـن إلـى الآسِـتانةِ حتـى رحيـلِ المصريّيـن. وبعـد عـزلِ جـوادَ لاعتراضِـه علـى تحويـلِ بعلبـك إلـى مركـزٍ عسـكريٍّ وتَوْليـةِ أحمـد آغـا محلّـه، لجأ إلـى الأميـرِ بشـير ليأخـذَ لـه الأمـانَ مـن إبراهيـم باشـا طالبًـا العفـو، لكـن بشـير سـلَّمَه إلـى حاكـمِ دمشـقَ محمّـد شـريف باشـا فقتـلَه.(١٣٠) وولّـى إبراهيـمُ باشـا علـى بعلبـك أحـد رجالـه ويُدعـى أحمد آغا الـدردار، ثـمَّ عَيّـن بعـده خليـل آغـا وردة عـام ١٨٣٦، وبعـده عيّـن الأميـرَ حمـد الحرفـوش عـام ١٨٣٩ بعدمـا اقتنـع بضرورة عـودة الحاكم الحرفوشـي.(١٣١) وانضـمَّ الأميـرُ خنجـر مـع أخيـه سـلمان إلـى الجيـش العثمانـي بقيـادة عُثمـان باشـا القـادمِ مـن حلـب عـام ١٨٤٠،(١٣٢) فكافـأَهُ العثمانيّـون بعـد رحيـلِ المصريّيـن بتوْليتِـه بعلبـك والبقـاع.(١٣٣)

(I) نصّوح بن جهجاه بن مصطفى الحرفوش. تولّى إمارة بعلبك عام ١٨٢١، قُتل خنقًا بعد خلافه مع عمّيْه سلطان وأمين.

(II) أمين بن مصطفى الحرفوش: حكم بعلبك من عام ١٨١٧ حتى عام ١٨٣١، قاوَم الوجود المصري إبّان حملة إبراهيم بن محمد علي باشا، وأعلن ولاءه للعثمانيين.

د- أُفول نجم الإمارة الحرفوشيَّة

انسحبَ المصريون من بلادِ الشّامِ عام ١٨٤٠، وعادَ أمين الحرفوش وابنُه قبلان من الآستانةِ لتولّي الإمارةِ، لكن أمين مات قبل حصولِه على مُبتغاه، فقصَدَ قبلانُ الشّامَ طلبًا للحكمِ فأُقِرَّ له، قبل أنْ يُقصى عنه عام ١٨٤١ لتعودَ الإمارةُ إلى الأميرِ خنجر حتى عام ١٨٤٢ حينَ قصدَ بشير وسعدون وشديد الحرفوش الشامَ واستصدروا أمرًا بقائمقاميَّة بعلبك، بحسبِ نظامِ الولاياتِ الجديدِ، للأميرِ حسين بن قبلان الّذي كان صغيرًا تحت وصايةِ سعدون الذي ما لبثَ أنْ توفّي بعد سنةٍ، فعادَ الأميرُ حمد إلى الحُكمِ عام ١٨٤٥.[١٣٤] وبسببِ النّزاعاتِ بين محمّد وحمد، إضافةً إلى الواقعِ الإداريّ والسّياسيّ الجديدِ، قُسّمَتْ بعلبك وما حولَها على الأمراءِ الحرافشة، فكان ذلك إيذانًا ببدايةِ نهاية الإمارةِ الحرفوشيَّة في بعلبك والبقاعِ ولم تصمدْ كثيرًا بعد ذلك.[١٣٥]

الهوامش

(١) أحمد العسيري، **موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر**، ص ٣٣١.

(٢) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٢٣١.

(٣) رامز رزق، المصدر السابق، ص ٢٣٨-٢٣٩.

(٤) ستيفان وينتر، **الشيعة في لبنان تحت الحكم العثماني**، ص ٩٣.

(٥) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٢٤٢.

(٦) الحُرّ العاملي، **أمل الآمل**، تحقيق أحمد الحسيني، مكتبة الأندلس، بغداد، ج١، ص ٨٦.

(٧) جودت القزويني، **المرجعيَّة الدينيَّة العليا عند الشيعة الإماميَّة**، ص ١٥٧.

(٨) الحُرّ العاملي، **أمل الآمل**، ص ٨٥.

(٩) علي صادقي (غلامي)، **الشهيد الثاني زين الدين الجبعي العاملي**، ترجمة وتحقيق كمال السيد، مؤسسة أنصاريان، قُم، ط١، ١٩٩٥، ص ١٠٠-١٠٦.

(١٠) جودت القزويني، **المرجعيَّة الدينيَّة العليا عند الشيعة الإماميَّة**، ص ١٦٠.

(١١) محمد علي مكي، **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني**، ص ٢٨٠.

(١٢) رامز رزق، **جبل عامل تاريخ وأحداث**، دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص ١٤٢.

(١٣) أحمد حطيط، **جبل عامل في قرن ـ دراسة في حوليَّة حيدر رضا الركيني**، دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٩١، ص ٦٤-٦٥.

(١٤) علي إبراهيم درويش، **جبل عامل بين ١٥١٦-١٦٩٧ الحياة السياسيَّة والثقافيَّة**، دار الهادي، بيروت، ط١، ١٩٩٣، ص ٤٤.

(١٥) إسماعيل حقي بك، **لبنان: مباحث علميَّة واجتماعيَّة**، ص ٥٥٠.

(١٦) شمس الدين السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج٣، ص ٢٧٥.

(١٧) محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، تحقيق وتخريج حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، ج٦، ص ١٢٧.

(١٨) علي إبراهيم درويش، **جبل عامل بين ١٥١٦-١٦٩٧ الحياة السياسيَّة والثقافيَّة**، ص ٧٣.

(١٩) أحمد حطيط، **جبل عامل في قرن ـ دراسة في حوليَّة حيدر رضا الركيني**، ص ٦٥.

(٢٠) علي إبراهيم درويش، **جبل عامل بين ١٥١٦-١٦٩٧ الحياة السياسيَّة والثقافيَّة**، ص ٨٩.

(٢١) فواز طرابلسي، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، دار رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ص ١٤.

(٢٢) المُحبّي، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، دار صادر، بيروت ج٢، ص ٢٩.

(٢٣) البطريرك اسطفان الدويهي، **تاريخ الأزمنة**، دار لحد خاطر، بيروت، ط٣، ص ٥٠٢.

(٢٤) علي إبراهيم درويش، **جبل عامل بين ١٥١٦-١٦٩٧ الحياة السياسيَّة والثقافيَّة**، ص ١٠٠.

(٢٥) محمد تقي الفقيه، **جبل عامل في التاريخ**، دار الأضواء، الغبيري، ط٢، ١٩٨٦، ص ١٧٨.

(٢٦) طنّوس بن يوسف الشدياق، **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، مطابع سَمْيا، بيروت، ١٩٥٤، ج٢، ص ١٦؛ سعدون حمادة، **تاريخ الشيعة في لبنان**، دار الخيّال، بيروت، ط١، ٢٠٠٨، ج١، ص ٤١٧.

(٢٧) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٣٢٣.

(٢٨) الشدياق، **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، ج٢، ص ٢٦.

(٢٩) محمد تقي الفقيه، **جبل عامل في التاريخ**، ص ١٩٦.

(٣٠) أحمد حطيط، **جبل عامل في قرن ـ دراسة في حوليَّة حيدر رضا الركيني**، ص ٦٦-٦٧.

(٣١) قسطنطين بازيلي، **سوريا وفلسطين تحت الحكم العثماني**، ترجمة طارق معصراني، دار التقدُّم، موسكو، ١٩٨٩، ص ٥١.

(٣٢) الشدياق، **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، ج٢، ص ٤٢.

(٣٣) محمد تقي الفقيه، **جبل عامل في التاريخ**، ص ٢٠٦.

(٣٤) رامز رزق، **جبل عامل تاريخ وأحداث**، ص ٢٥٧.

(٣٥) ستيفان وينتر، **الشيعة في لبنان تحت الحكم العثماني**، ص ٢٤٥.

(٣٦) قسطنطين بازيلي، **سوريا وفلسطين تحت الحكم العثماني**، ص ٥٥.

(٣٧) رامز رزق، **جبل عامل تاريخ وأحداث**، ص ٢٥٨.

(٣٨) رامز رزق، المصدر السابق، ص ٢٦١.

(٣٩) قسطنطين بازيلي، **سوريا وفلسطين تحت الحكم العثماني**، ص ٥٦.

(٤٠) قسطنطين بازيلي، المصدر السابق، ص ٥٨.

(٤١) قسطنطين بازيلي، المصدر السابق، ص ٦٢.

(٤٢) قسطنطين بازيلي، المصدر السابق، ص ٦٩.

(٤٣) علي الزّين، **فصول من تاريخ الشيعة**، دار الكلمة للنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٩، ص ٤١، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧.

(٤٤) علي الزّين، المصدر السابق، ص ٤٩.

(٤٥) محمد تقي الفقيه، **جبل عامل في التاريخ**، ص ٢٥١.

(٤٦) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٤٠٤.

(٤٧) حسن الصدر، **تكملة أمل الآمل**، مكتبة آية الله المرعشي، قُم، ١٤٠٦هـ ص ٤٥٢.

(٤٨) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٤٠٥.

(٤٩) رامز رزق، **جبل عامل تاريخ وأحداث**، ص ٢٩٤-٢٩٥.

(٥٠) علي الزّين، **فصول من تاريخ الشيعة**، ص ٨٩.

(٥١) حسن الصدر، **تكملة أمل الآمل**، ص ٤٥٣.

(٥٢) محمد تقي الفقيه، **جبل عامل في التاريخ**، ص ٢٨٧.

(٥٣) لورانس أوليفانت، **أرض جلعاد**، ترجمة أحمد العبادي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عَمّان، ط١، ٢٠٠٤، ص ٤٥.

(٥٤) محمد تقي الفقيه، **جبل عامل في التاريخ**، ص ٢٨٤.

(٥٥) سعدون حمادة، **تاريخ الشيعة في لبنان**، ج١، ص ٥٠٧-٥٠٨.

(٥٦) فواز طرابلسي، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، ص ٢٥.

(٥٧) محمد تقي الفقيه، **جبل عامل في التاريخ**، ص ٢٩٤.

(٥٨) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٤٣٧-٤٣٨.

(٥٩) سعدون حمادة، **تاريخ الشيعة في لبنان**، ج٢، ص ١٧.

(٦٠) الشدياق، **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، ج١، ص ٢٥٨.

(٦١) محمد علي مكي، **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني**، ص ٢٦٦.

(٦٢) عبد الله إبراهيم أبي عبد الله، **الموسوعة اللبنانيَّة: تاريخ لبنان عبر الأجيال**، نوبيليس، ٢٠٠٢، ج٤، ص ١٣١.

(٦٣) ستيفان وينتر، **الشيعة في لبنان تحت الحكم العثماني**، ص ١٣٦.

(٦٤) سعدون حمادة، **الثورة الشيعيَّة في لبنان**، دار النهار للنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٢، ص ٣١١.

(٦٥) ستيفان وينتر، **الشيعة في لبنان تحت الحكم العثماني**، ص ١٥٧.

(٦٦) سعدون حمادة، **تاريخ الشيعة في لبنان**، ج٢، ص ١٠٤.

(٦٧) سعدون حمادة، المصدر السابق، ج٢، ص ٤٦.

(٦٨) ستيفان وينتر، **الشيعة في لبنان تحت الحكم العثماني**، ص ١٥٥-١٥٦؛ علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)** ، دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، ص ٢٥.

(٦٩) عبد الله إبراهيم أبي عبد الله، **الموسوعة اللبنانيَّة: تاريخ لبنان عبر الأجيال**، ج٤، ص ١٠٥.

(٧٠) ستيفان وينتر، **الشيعة في لبنان تحت الحكم العثماني**، ص ١٣٦.

(٧١) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٥٨٣.

(٧٢) سعدون حمادة، **تاريخ الشيعة في لبنان**، ج١، ص ١١٠-١١٦.

(٧٣) سعدون حمادة، **الثورة الشيعيَّة في لبنان**، ص ٣١٥.

(٧٤) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٥٩٠-٥٩٢.

(٧٥) الشدياق، **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٧٦) ستيفان وينتر، **الشيعة في لبنان تحت الحكم العثماني**، ص ١٦٧.

(٧٧) ستيفان وينتر، المصدر السابق، ص ١٨٧.

(٧٨) عبد الله إبراهيم أبي عبد الله، **الموسوعة اللبنانيَّة: تاريخ لبنان عبر الأجيال**، ج٤، ص ١٤١.

(٧٩) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٦٠٣-٦٠٤.

(٨٠) سعدون حمادة، **تاريخ الشيعة في لبنان**، ج٢، ص ١١٠.

(٨١) ستيفان وينتر، **الشيعة في لبنان: تحت الحكم العثماني**، ص ١٧٥.

(٨٢) علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، ص ٢٦.

(٨٣) عادل إسماعيل، **لبنان في تاريخه وتراثه**، ص ٣١٠.

(٨٤) علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، ص ٢٦.

(٨٥) إسماعيل حقي بك، **لبنان: مباحث علميَّة واجتماعيَّة**، ص ٢٨٦.

(٨٦) ستيفان وينتر، **الشيعة في لبنان تحت الحكم العثماني**، ص ٢٦٢.

(٨٧) عبد الله إبراهيم أبي عبد الله، **الموسوعة اللبنانيَّة: تاريخ لبنان عبر الأجيال**، ج٤، ص ١٤٤-١٥٠.

(٨٨) فواز طرابلسي، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، ص ٢٠.

(٨٩) سعدون حمادة، **تاريخ الشيعة في لبنان**، ج٢، ص ٣٩٥-٣٩٦.

(٩٠) علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، ص ٣٤.

(٩١) كمال الصليبي، **تاريخ لبنان الحديث**، دار النهار للنشر، بيروت، ط٧، ١٩٩١، ص ٧٧.

(٩٢) فواز طرابلسي، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، ص ٤٥-٤٦.

(٩٣) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٤٩٠.

(٩٤) رامز رزق، المصدر السابق، ص ٤٨٩.

(٩٥) سعدون حمادة، **تاريخ الشيعة في لبنان**، ج١، ص ٢٤٥.

(٩٦) ابن طولون، **مُفاكهة الخلّان في حوادث الزمان**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ص ١٦٣.

(٩٧) المُحبّي، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، ج٤، ص ٤٢٧.

(٩٨) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٥١٥-٥١٧.

(٩٩) ستيفان وينتر، **الشيعة في لبنان تحت الحكم العثماني**، ص ١٠٢.

(١٠٠) عبد الحليم الغزي، **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ج٣، ص ١٧٤.

(١٠١) ميخائيل ألوف، **تاريخ بعلبك**، المطبعة الأدبيَّة، بيروت، ط٣، ١٩٠٨، ص ٦٧.

(١٠٢) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٤٩٥.

(١٠٣) ميخائيل ألوف، المصدر السابق، ص ٦٧.

(١٠٤) ستيفان وينتر، **الشيعة في لبنان تحت الحكم العثماني**، ص ١٠٧.

(١٠٥) المحبي، **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، ج٤، ص ٤٣٣.

(١٠٦) الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج١، ص ٣٤٥.

(١٠٧) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٤٩٩.

(١٠٨) ميخائيل ألوف، **تاريخ بعلبك**، ص ٧١.

(١٠٩) ميخائيل ألوف، المصدر السابق، ص ٧٥.

(١١٠) الشدياق، **أخبار الأعيان**، ج١، ص ٣٧٨.

(١١١) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٥١٧.

(١١٢) ميخائيل ألوف، **تاريخ بعلبك**، ص ٧٧.

(١١٣) وينتر ستيفان، **الشيعة في لبنان تحت الحكم العثماني**، ص ٣١٧.

(١١٤) وينتر ستيفان، المصدر السابق، ص ٢٦٦.

(١١٥) سعدون حمادة، **تاريخ الشيعة في لبنان**، ج١، ص ٣٠٩.

(١١٦) ميخائيل ألوّف، **تاريخ بعلبك**، ص ٧٧.

(١١٧) البديري، **حوادث دمشق اليوميَّة**، مطبوعات الجمعيَّة المصريَّة للدراسات التاريخيَّة، القاهرة، ط١، ١٩٥٩، ص ٤٧.

(١١٨) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٥٣٦.

(١١٩) رامز رزق، المصدر السابق، ص ٥٣٩.

(١٢٠) سعدون حمادة، **تاريخ الشيعة في لبنان**، ج١، ص ٣٢٢.

(١٢١) سعدون حمادة، المصدر السابق، ص ٣٢٣-٣٢٥.

(١٢٢) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٤٩٨.

(١٢٣) ميخائيل ألوف، **تاريخ بعلبك**، ص ٦٩.

(١٢٤) أحمد البديري، **حوادث دمشق اليوميَّة**، ص ٣٩.

(١٢٥) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٥٣٤.

(١٢٦) رامز رزق، المصدر السابق، ص ٥٤٥.

(١٢٧) سعدون حمادة، **تاريخ الشيعة في لبنان**، ج١، ص ٣٢٨.

(١٢٨) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص٥٥١.

(١٢٩) رامز رزق، المصدر السابق، ص ٥٥٢.

(١٣٠) سعدون حمادة، **تاريخ الشيعة في لبنان**، ج١، ص ٣٣٢.

(١٣١) سعدون حمادة، المصدر السابق، ص ٣٣٦.

(١٣٢) ميخائيل ألوف، **تاريخ بعلبك**، ص ٨٤.

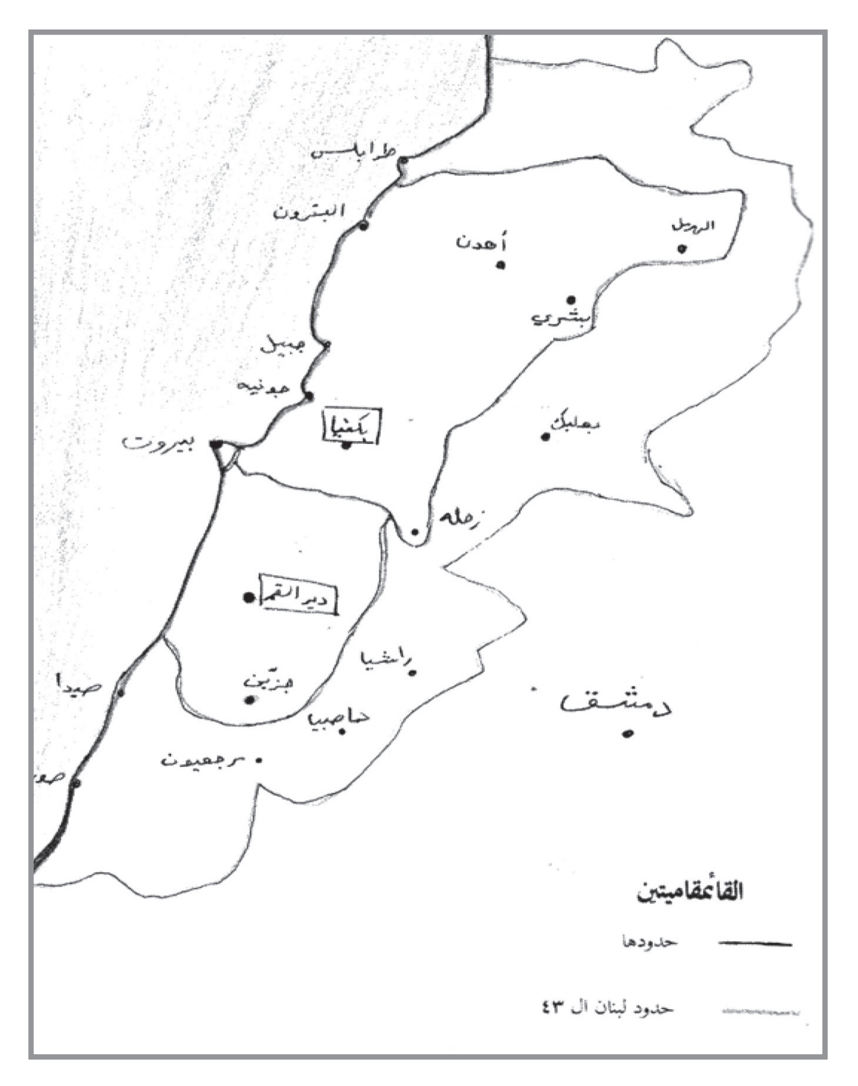
(١٣٣) ميخائيل ألوف، المصدر السابق، ص ٨٦.

(١٣٤) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٥٥٧-٥٥٨.

(١٣٥) رامز رزق، المصدر السابق، ص ٥٥٨.

الفصل الخامس

من القائمقاميّتَين والمتصرفيَّة إلى لبنان الكبير



رسم خريطة للقائمقاميتين



رسم لخريطة متصرفية جبل لبنان

١) الفتنةُ الطائفيَّةُ الأولى ومشاركةُ الحرافشةِ فيها

بعـد انسـحابِ المصريّيـن، وفـي عهـدِ الأميـرِ بشـير الثالـث الشـهابي،(I) اندلعـت الفتنـةُ الطائفيَّـةُ بيـن الـدروزِ والمسـيحيّين نتيجـةَ التراكمـاتِ والاضطرابـاتِ القائمـةِ بينهـم.

فـي زحلـة المدينـةِ الكاثوليكيَّـة، ومـع القلـقِ المسـيحي المحلـيّ والأوروبـي مـن اجتيـاحٍ درزيّ لهـا بعـد سـقوطِ ديـر القمـر، وفـي غيـابِ الثقتَيْـن المحليَّـةِ والأوروبيَّـةِ بالعثمانيّيـن والمسـلمين عمومًـا الذيـنَ أسـاءَ إليهـم مَيْـلُ الحكـمِ المصـري إلـى المسـيحيّين،[١] طلـبَ أهاليهـا مسـاعدةَ الشـيعةِ الحرافشـة. وقـد دخلهـا الأميـرُ خنجـر الحرفـوش(II) بمئـاتِ الفرسـانِ وبإصـرارِ القنصـلِ الروسـي[٢] وخاضـوا مـع الزحلاويّيـن مواجهـاتٍ عديـدة صـدّوا فيهـا المهاجميـنَ الـدروز الذيـن تزعّمهـم فـي إحـدى المواجهـاتِ شـبلي العريـان،(III) وذلـك نهايـة عـام ١٨٤١.[٣] وكان

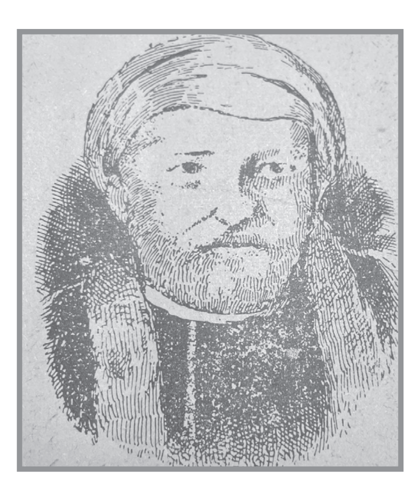
(I) آخر حاكم لإمارة جبل لبنان بين عامي ١٨٤٠ و١٨٤٢.

(II) خنجر الحرفوش: اعتُبِرَ الأميرَ الشرعيَّ للحرافِشَةِ بعد مقتلِ جواد الحرفوش. كان عدوًّا لإبراهيم باشا المصري فثار عليه. ظلَّ مخلصًا للعثمانيّين فعيّنوه نائبًا على بعلبك بعد خروج المصريين عام ١٨٤٠.

(III) شبلي العريان: ولِدَ أواخر القرن الثامن عشر في بلدة راشيا. كان من فرسانِ الدروز، قاتَلَ إبراهيم باشا في حوران عام ١٨٣٧. كما تزعّم إحدى الهجماتِ الطائفيَّة على زحلة عام ١٨٤١، وتصدّى

لمشاركةِ خنجر الحرفوش الدورُ الكبير في تغييرِ مسارِ الأمورِ إلى درجةِ اعتبارِ قسطنطين بازيلي[I] أنَّه من دونِ ذوْدِه عن شعابِ زحلة لاجتاحَ الدروزُ كلَّ لبنان.[٤]

٢) واقعُ جبلِ لبنانَ السياسيّ في مرحلتَي القائمقاميّتَين والمتصرفيَّة


رسم لبشير الشهابي الثالث

بعدَ عزلِ الأمير بشير الثالث الشهابي في ٢ كانون الثاني ١٨٤٢، ولإيقافِ الفتنةِ، استدعى السرعسكر[II] العثماني مصطفى نوري أعيانَ المسيحيين والدروز عارضًا عليهم واليًا من قِبل الدولة، فرَضِيَ الدروزُ مدعومين من إنكلترا، بينما رفَض المسيحيون الأمر لشعورهم بفقدانِ هذا الامتياز الخاص بهم[٥] قبل أنْ يوافقوا لاحقًا بإيحاءٍ من فرنسا والنمسا.[٦] وأمّا الشّيعة الممثَّلون بآل حمادة، فقد رضُوا بوالٍ تركي يحكمهم[٧] نتيجة الظروفِ القاسيةِ التي مرّوا بها أواخرَ الحكم الشهابي والتي أدّت إلى انتزاع الكثير من النفوذِ الإقطاعي منهم،[٨] إضافةً إلى تناقصِ أعدادهم الكبير.[٩] وهكذا صارَ عمر باشا النمساوي واليًا على لبنان، وكان ذلك في ١٥ كانون الثاني ١٨٤٢. وفي ظلّ التعيينات الجديدة التي قام بها،

لعمر باشا النمساوي حين اعتَقَل مجموعةً من وجهاءِ الدروز عام ١٨٤٢. توفي عام ١٨٧٠.

(I) ديبلوماسي ومؤرخ روسي، عُيّن قنصلاً لروسيا في يافا ثمَّ في بيروت عام ١٨٣٩.

(II) لقبٌ عثماني للوزير المكلف بشؤون الجيش وقياداته وبقي ساريًا حتى عام ١٩٠٨.


صورة لعمر باشا النمساوي

تمّـت توليـةُ مشـايخ آل حمـادة الشّـيعة علـى بـلاد جبيـل والبتـرون والكـورة. وقـد تـرَك الأمـرُ فـي نفوسِ المسـيحيينَ ضغينـةً حيـال عمـر باشـا، هـم الذيـن كانـوا التزمـوا هذه المنطقـة بـدلًا مـن الشّـيعة منـذ النصـف الثانـي مـن القـرن الثامـن عشـر.(١٠)

وفـي هـذا الواقـع المتشـنج بيـن المسـيحيين والـدروز، ومعارضـةِ الـدول الأوروبيَّـة للحكـم العثمانـي المباشـر للجبـل، فُصِـلَ عمـر باشـا فـي أيلـول ١٨٤٢، وتـمَّ تقسـيم جبـل لبنـان إلـى قائمقاميّتَيـن، شـماليَّة(I) بحُكـمِ قائمقـامٍ مارونـي وهـي ذاتُ أكثريَّـة مسـيحيَّة سـكانيًّا، وجنوبيَّة(II) يتولاهـا قائمقـامٌ درزي وهـي مختلطـةٌ سـكانيًّا، وتفصـل بينهمـا طريـق الشـام(١١) (بيـروت ـ دمشـق)، علـى أنْ تكـون الكلمـةُ الأخيـرة فـي القضايا المهمّـة لوالـي صيـدا أسـعد باشـا.(١٢) وقـد نُسِـبَ هـذا المشـروع إلـى وزيـر خارجيَّـة ومستشـار النمسـا كليمنـس فـون مترنيـخ(١٣) رغـمَ وجـودِ رأيٍ آخـر بخصـوص ذلـك.(III)

(I) تمتدّ من طريق الشام جنوبًا إلى النهر البارد في عكار وتشتمل على المتن وكسروان والبترون والكورة وزحلة.

(II) تمتد من طريق الشام شمالًا إلى منتهى حدود جبل الريحان جنوبًا وفيها قضاءا الشوف وجزين وقسمٌ من البقاع الغربي وبعض قرى إقليم التفاح.

(III) هناك مَن يرى أنَّ هذا المشروع عثماني المنشأ والأهداف أوحى به سفير الباب العالي في فيينا لمترنيخ، فتبنّاه، وأقنعَ الدول الأوروبيَّة بأنَّه الحل الأمثل لإقامة السلام وتوطيد الأمن في البلاد. انظر/ي: عادل إسماعيل، **الفتن الطائفيَّة وحروبها في لبنان**، دار النشر للسياسة والتاريخ، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، ص ٢٢٨.

ومع استمرار الفوضى والاضطرابات الطائفيَّةِ في مناطقِ القائمقاميّتَين، وعجز القائمقامَيْن المسيحي والدرزي عن إيقافها، وفشل الإصلاحات، إضافة إلى تلكؤ والي صيدا العثماني وجيه باشا عن محاسبةِ المسؤولينَ عنها، أرسلت السلطنةُ شكيب أفندي[I] إلى جبل لبنان لتنظيم إدارته وتهدئة الأوضاع، وكان ذلك في ١٤ أيلول ١٨٤٥.[١٤]

أ- الواقع الإداري والتمثيل الشيعي في القائمقاميّتَين

تكوَّن مجلس القائمقاميَّة، وله مهمّتان ماليَّةٌ وقضائيَّة،[١٥] من اثني عشر عضوًا[١٦] هم: وكيل القائمقام، خمس قُضاة، وستة مستشارين. وكان نصيبُ الشّيعة فيه مستشارٌ واحدٌ دون أنْ يكون لهم قاضٍ رسميّ لعدم اعتراف العثمانيين بأنظمةٍ شرعيَّةٍ خاصةٍ بهم.[١٧] وهكذا باتت مناطق القائمقاميَّة تتمُّ توليتُها بإشرافِ مجلِسها في خطوةٍ إداريَّةٍ وفقَ أُسسٍ حديثة، وعلى حسابِ سلطةِ الأمراءِ ومشايخِ الإقطاع، فعلى سبيل المثال كانت بلاد جبيل والهرمل في القائمقاميَّة الشماليَّة تُدارُ من قبلِ مأمورين شيعة.[١٨]

وقد كُتِبَ لنظام شكيب أفندي أنْ يستمرّ نتيجة انشغال الدول الأوروبيَّة بثوراتٍ داخليَّةٍ ضربتها، وبسبب دعمِها، خصوصًا فرنسا وبريطانيا، للسلطنة العثمانيَّة في صراعها مع روسيا في حرب شبه جزيرة القُرم (١٨٥٣-١٨٥٦). كما أنَّ معاهدةَ باريس (١٨٥٦) التي أنهت تلك الحرب منعت الدول الموقِّعة عليها[II] قانونيًّا من التدخّلِ في شؤونِ الدولةِ العثمانيَّة الداخليَّة.[١٩]

(I) كان وزيرًا للشؤون الخارجيَّة المسؤولة عن العلاقات الخارجيَّة للدولة العثمانيَّة، وقد نُسِبَ إليه نظام القائمقاميّتَين المعدّل.

(II) فرنسا، بريطانيا، مملكة سردينيا، بروسيا، النمسا، وروسيا.

والسـلطنةُ كانـت قامـت فـي نفـس السـنة بإصلاحـات خـط همايـون، في إطـارِ التنظيمـاتِ الخيريَّـة،(I) والـذي نصَّ فـي بنوده الأول والثانـي والثالث والرابـع والسـادس علـى المسـاواةِ فـي الحقـوقِ والواجبـاتِ بيـن الرعايـا وامتيازاتِ الطوائفِ غير الإسـلاميَّة وسـمحَ لها بممارسةِ شعائرها بحريَّة.(٢٠)

ب- الفتنة الطائفيَّة الثانية ودور الشيعة فيها

بـدأت العلاقـاتُ تسـوءُ بيـن شـيعة كسـروان والمسـيحيين منـذ ثـورة طانيـوس شـاهين(II) التـي انطلقـت عـام ١٨٥٨. فالمسـيحيون ارتابـوا مـن جميـع المسـلمين خوفًـا مـن التنسـيقِ بيـن الشّـيعة والـدروز والجيـش العثمانـي لمهاجمـة المناطـقِ المسـيحيَّة، ووقعـت بعـضُ الفتـنِ المتنقّلـة التـي أجّجـت مخاوفهـم. فقـد هاجـم بعـض الشـيعةِ القاطنيـن وادي أدونيـس قريـة فِتـري وأحرقـوا عـددًا مـن بيوتهـا، وردَّ المسـيحيون، ومنهـم طانيـوس شـاهين، بالمِثـل، وتبـادلَ الطرفـان الاتهامـاتِ رغـم مسـاعي العُقَـلاء مـن الجهتيـن لاحتـواء الأزمـة. وعندمـا طلـبَ وزيـرُ الخارجيَّـة العثمانـي فـؤاد باشـا(III) مـن لجنـةٍ خاصـةٍ مـن المسـيحيّين تزويـدَه بقائمـةٍ بمرتكبـي المجـازر، كان فـي اللائحـةِ أسـماءٌ شـيعيَّة.(٢١) ونتيجـةً لمـا حصـل، وخوفًـا مـن رداتِ فعـلٍ انتقاميَّـة، نزحـت موجـاتٌ مـن شـيعة جبيـل وكسـروان باتجـاه مناطـقَ مختلفـة منهـا بعلبـك ـ البقـاع، فانحسـرت أعدادُهـم بشـكلٍ كبيـر فـي ظـلّ عـدم عـودة كثيريـن منهـم لاحقًـا إلـى قراهـم.(٢٢)

(I) هو عبارة عن مرسوم إصلاحي صدر في عهد السلطان عبد المجيد الأوّل في تاريخ ١٨ شباط ١٨٥٦.

(II) زعيم الفلاحين الموارنة في جبل لبنان. قاد ثورة في منطقة كسروان عامي ١٨٥٨ و١٨٦٠ ضد إقطاعيي آل الخازن.

(III) كانت الدولة العثمانيَّة قد أرسلت فؤاد باشا لتسوية أمور النزاع ووقف الفتنة لقطع الطريق على التدخلات الأوروبيَّة.

أمّـا فـي جبـل عامـل، فقـد آوى علـي بـك،[I] ابـن أسـعد النصّـار، المنكوبيـنَ مـن المسـيحيين، كمـا حفـظَ لهـم أموالهـم فـي بلـدة جبـاع فـي دار الشـيخ[II] عبـد اللـه نعمـة[III] وفـي دُورِ آل الحـر. وعندمـا هاجـم الـدروز المنطقـةَ ونهبـوا الأمانـات، تهيّـأ العامليّـونَ بفرسـانهم للمعركـة قبـل أنْ يتـدارك والـي صيـدا خورشـيد باشـا الأمـر ويَعمَـدَ إلـى تسـويةٍ بإعـادةِ المنهـوبِ والتعويـضِ علـى المتضرريـن. كمـا نُقِـلَ المصابـونَ إلى صيـدا وصـور وبيـروت، وأُوِيَ قسـم منهـم فـي تبنيـن.[٢٣] فقـد كان عـددٌ مـن المسـيحيين فـي دار الشـيخ عبـد اللـه نعمـة عنـد هجـوم الشـوفيين الـدروز، فتـمّ الفتـك بهـم.[٢٤] كمـا حمـى آل صعـب مسـيحيي الشـقيف، منطقـة نفوذهـم.[٢٥]

يمكـن الاعتبـار أنَّ نظـام القائمقاميّتَيـن كان فاشـلًا وقضـى علـى وحـدة الجبـل، ولـم يُعْـطِ القائمقـام القـدرةَ علـى الإدارةِ الرشـيدة لفرضهـا علـى النـاس،[٢٦] أضِـف أنَّـه كان مؤسِّـسًا لنظـام طائفـي يحمِـلُ فـي مقوّماتِـه الذاتيَّـة بـذورَ الفتنـة، خصوصًـا مـع استمرار حضانـةِ العديـدِ مـن الـدول الأوروبيَّــة المتنازعــة فــي مــا بينهــا لطوائفِــهِ المختلفــة المتصارعــة. ففرنسـا والنمسـا تحمـي الكاثوليـك والموارنـة، وروسـيا تعتبـرُ نفسـها راعيـةَ الأورثوذوكـس، وبريطانيـا حاميـةُ البروتسـتانت أصبحـت تتعاطـف مـع الـدروز.[٢٧]

(I) البيك لفظٌ من أصل تركي ويُلفظ عندهم بيه، يعني السيد وكان يُطلق على ذوي الشأن من أجل التبجيل والتفخيم، وهو عند العثمانيّين دون رتبة الباشا. وأُطلق أيضًا على زعامات الأسر ومنهم في جبل عامل. أمّا علي بن أسعد النصّار فهو حاكم بلاد بشارة بعد عمّه حمد بك، وكان شاعرًا وأديبًا.

(II) الشيخ مصطلحٌ يُطلق في الوسط الشيعي على رجل الدّين الذي لا ينتسب إلى هاشم جد النبي من جهة الأب.

(III) عبد الله نعمة: فقيه شيعي من جبل عامل ارتبط اسمه بتجديد مدرسة جباع الدينيَّة، توفّي عام ١٨٨٦.

ج) واقع جبل لبنان في ظلال نظام المتصرفيَّة (١٨٦١-١٩١٨)

كمـا أسـلفنا، تراكمـت المسـبّباتُ الداخليَّـة والخارجيَّـة لقيـام الفتنـة والاضطرابـات التـي بلغـت ذروتهـا عـام ١٨٦٠، وامتـدّت مـن جـوار بيروت إلـى غـرب لبنـان ومرجعيـون ووادي التَّيـم والبقـاع ودمشـق وزحلـة وديـر القمـر،[٢٨] وترافـق ذلـك مـع تدخّـلاتٍ غربيَّـة منهـا عسـكريًّا الإنـزال الفرنسـي علـى الشـواطئ اللبنانيَّـة فـي شـهر آب،[٢٩] منهيـةً بذلـك نظـام القائمقاميّتَيـن، ومعيـدةً الجبـل إلـى وحدتـه تحـت نظـام المتصرفيَّـة، بمباركـةٍ عثمانيَّـةٍ وغطـاء أوروبـي مـن الـدول الخمـس (فرنسـا، روسـيا، بروسـيا، بريطانيـا والنمسـا)،[I] وكان ذلـك عـام ١٨٦١.

وقـد وُقّـع علـى النظـام الجديـدِ رسـميًّا فـي العاصمـة العثمانيَّـة، وعارضَه الموارنـة بدايـة، فهـم يريـدون متصرِّفًـا مارونيًّـا محليًّـا، لكنهـم بنـاءً لرغبـةِ فرنسـا ورضاهـا سـاروا فـي الأمـر وقبلـوا بمتصـرفٍ كاثوليكـي غيـر لبنانـي،[II] دون أنْ يعنـيَ ذلـك غيـابَ مطالباتهـم الدائمـة بامتيـازات، كونهـم الأكثريَّـة السـكانيَّة المالكـة للأراضـي.[٣٠]

وشـهدت السـنين الأولـى مـن المتصرفيَّـة اضطرابـاتٍ[III] حـاول معهـا المتصـرف داود باشـا[IV] مختلـف السـبلِ لضبطِهـا، وعـاد السـفراءُ الأوروبيـون لبحـث قضيَّـة نظـام لبنـان مـن جديـد،[٣١] ولكـنَّ الاسـتقرارَ لـم يتحقّـق فعليًّـا إلّا مـع خَلَفِهِ فرانكـو باشـا[V] عـام ١٨٦٨،[٣٢] والـذي تمَّ

(I) انضمت إيطاليا لاحقًا عام ١٨٦٨. انظر/ي: علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، ص ٧٢.

(II) كان يرتبط مباشرة بالصدر الأعظم دون المرور بالوالي.

(III) ساهم في الاضطرابات شخصيات عديدة، أهمها: يوسف بك كرم وفارس الشدياق.

(IV) أوّل متصرف عثماني على جبل لبنان. حكم من ١٨٦١ حتى ١٨٦٨. وكان عثمانيًّا أرمنيًّا. واسمه الأصلي: قره بت أرتين داوديان.

(V) حلبي الأصل، عُيّنَ خلفًا لداود باشا لمدة عشر سنوات. وقد توفي قبل إتمام المدة.

فـي عهـده اقتطـاعُ البقـاع الغربـي وضمُّـهُ إلـى سـنجق دمشـق ولايـة سـوريا (الشـام).(٣٣)

مـع انطـلاق الحـرب العالميَّـة الأولـى عـام ١٩١٤ بيـن الـدول الموقّعـة علـى نظـام جبـل لبنـان، أعلنـت السـلطنةُ العثمانيَّـة النفيـرَ العـام ومعامـلاتِ التجنيـد، وأنشـأ (أحمـد) جمـال باشـا،(I) مجلسًـا عُرفيًّـا فـي عاليـه لمحاكمـة كل مشـبوهٍ فـي صِـدقِ تابعيتـهِ للدولـة، وعـزل أوهانـس باشـا(II) فـي ٥ حزيـران ١٩١٥، وعَيّـن مكانـه فـي ٢٥ أيلـول مـن السـنة نفسـها علـي منيـف بـك، وهـو واحـد مـن ثلاثـة(III) متصرفيـن عُرِفـوا بالمتصرفيـن الاسـتثنائيين لكونهـم مـن الأتـراك المسـلمين. وكان جمـال باشـا قـد عَمَـدَ قَبـلُ فـي ٢٦ أيـار ١٩١٥ إلـى حـلِّ المجلـس الإداري المنتَخَـب عـام ١٩١٢ وتعييـن آخـر جديـدًا.(٣٤)

خـلال فتـرة هـؤلاء المتصرفيـن الاسـتثنائيّين، تَـمَّ الإعـلانُ عـن اتفاقيَّـة سـايكس بيكـو(IV) (أيـار ١٩١٦) بيـن الفرنسـيين والإنكليـز وأعلـنَ الشـريف حسـين(V) بالتنسـيق مـع البريطانيّيـن الثـورة العربيَّـة الكبـرى وكان ذلـك فـي حزيـران ١٩١٦.(٣٥)

(I) كان وزير البحريَّة سابقًا ثمَّ عُيّن في شهر تشرين الثاني ١٩١٤ قائدًا للجيش الرابع العثماني وكان مقره في دمشق وتمتد دائرة نفوذه العسكريَّة والإداريَّة وصلاحياته المطلقة من جنوب طوروس حتى اليمن.

(II) عُيّن متصرفًا على جبل لبنان أوائل ١٩١٣. وكان أرمني الأصل وآخر المتصرفين المسيحيين. وبدأ بعده عهد المتصرفين الأتراك المسلمين.

(III) هم علي منيف بك وإسماعيل حقي بك (وكان شيعي المذهب) وممتاز بك. انظر/ي: لحد خاطر، **عهد المتصرفين في لبنان ١٨٦١ ـ ١٩١٨**، ص ٢٠٢-٢٠٩.

(IV) هي معاهدة سريَّة بين فرنسا وبريطانيا وبمصادقة من روسيا القيصريَّة وإيطاليا على اقتسام بلاد الشام والعراق بعد تقسيم الدولة العثمانيَّة.

(V) مؤسس المملكة الحجازيَّة الهاشميَّة. وأوّل من نادى باستقلال العرب عن الدولة العثمانيَّة. توفي عام ١٩٣١ في عمّان بالأردن.

استـمرّ المجلـس الإداري الـذي عيَّنـه جمـال باشـا حتـى الانسـحاب العثمانـي ونهايـة عهـد المتصرفيَّـة أواخـر عـام ١٩١٨ ووصـول شـكري الأيوبـي، ممثّـل الأميـر فيصـل،(I) ابـن الشـريف حسـين، إلـى لبنـان وتعيينِـهِ حبيـب باشـا السـعد(II) رئيسًـا لحكومـة جبـل لبنـان.(٣٦)

د- تمثيل الشيعة في نظام المتصرفيَّة

كان للشّـيعة ممثلـون أعضـاء فـي مجالـس المتصرفيَّـة الطائفيَّـة، وهـم عـادة مـن كسـروان وجبيـل.(III)

فمجلـس الإدارة الكبيـر المؤلَّـف مـن اثنـي عشـر عضـوًا منتخبًـا،(IV) تَمثَّـل الشّـيعةُ فيه بدايةً بعضوين مثل باقي الطوائف الخمس (السـنّة، الموارنة، الـدروز، الـروم الأورثوذوكـس، الـروم الكاثوليـك)،(٣٧) وهمـا عبـد اللـه بـرو ومحمـد يونـس الحسـيني الـذي اسـتقال عـام ١٨٦٣ وحـلّ محلـه عبـاس ملحـم حمـادة.(٣٨) وكان ذلك في فترة داود باشـا الأولـى (١٨٦١-١٨٦٤).(٣٩) ولكـن مـع تعديـل عـام ١٨٦٤ خـلال دورتـه الثانيـة (١٨٦٤-١٨٦٨) تَـمَّ تقليـص ممثلـي الشّـيعة إلـى واحـد، وكان هـذا التعديـل قـد أُقـرَّ بسـبب مطالبـةِ الموارنـةِ بامتيـازاتٍ أكثـر، فتغيّـرت نِسَـبُ التمثيـل لمصلحـةِ هـؤلاء والـدروز الذيـن باتـوا يشـاركون بأربعةِ أعضـاءٍ وثلاثةٍ علـى التوالي،

(I) ثالث أبناء الشريف حسين، وكان قائد أحد أقسام الجيش العربي خلال الثورة العربيَّة الكبرى، ودخل دمشق في تشرين الأوّل ١٩١٨ معلنًا تأسيس أوّل حكومة عربيَّة فيها. توفّي عام ١٩٣٣.

(II) رئيس المجلس الإداري في متصرفيَّة جبل لبنان. بقي في منصبه إلى عام ١٩١٤ حين أصدر جمال باشا قرارًا بنفيه إلى تركيا.

(III) لمعرفة أسماء الممثّلين الشيعة، انظر/ي، علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، ص ٨١-٨٢

(IV) بدأ انتخابُهم بالاقتراع من قبل مشايخ الصلح ابتداءً من عام ١٨٦٤، وقبل ذلك كان يتمُّ اختيارُهم بمعرفة رؤساء الطوائف الست. انظر/ي: **تنوير الأذهان في تاريخ لبنان**، ج١، ص ٧٣.

وبقِـيَ للشّـيعة عضـو واحـد هـو حسـن صالـح همـدر أسـوةً بالـروم الكاثوليـك والسـنّة، بينمـا حافـظ الـروم الأورثوذوكـس علـى حصّتهـم كمـا هـي أي شـخصين.(٤٠) وشـهِدت المـادةُ الخامسـةُ مـن التعديـلات إلغـاءَ امتيـازاتِ أعيـان البـلاد ومنهم أصحـاب المقاطعـات ومُنِـحَ جميـعُ الرعايـا حقوقًـا متسـاوية.(٤١) وخـلال عـام ١٨٦٩ اسـتعان مجلـسُ الإدارةِ بلجنـة مـن أهـل الخبـرة والـرأي مـن كافـة الطوائـف فـي كل الأقضيـة، بهـدف توزيـع الأمـوال الأميريَّـة بعـد القيـام بإحصـاء للنفـوس وإنهـاء أعمـال المسـح والعـدِّ للأمـلاكِ العامـة مـن أراضٍ ومحـلات وغيرهـا، وكان للشّـيعة ثلاثـةُ ممثليـن مـن منطقـة كسـروان مـن أصـل ٣٦ عضـوًا.(٤٢)



صورة المتصرف داوود باشا

ثـمَّ توالـى علـى العضويَّـة فـي مجلـس الإدارة كلٌّ مـن كاظـم عمـرو، الـذي تبـوّأ هـذا المنصـب مـن عـام ١٨٦٨ حتـى ١٨٩١، ثـمَّ علـي الحسـيني مـن ١٨٩١ إلـى ١٨٩٣، وبعـده علـي الحـاج عمـرو مـن ١٨٩٣ إلـى ١٩٠٣، وأخيـرًا محمـد محسـن أبـي حيـدر مـن ١٩٠٣ إلـى ١٩١٥(٤٣) وقـد اسـتمر فـي المجلـس حتـى انـدلاع الحـرب العالميَّـة الأولـى عـام ١٩١٤. ثـمَّ حلَّـهُ الحاكـمُ العثمانـي علـى سـوريا وبـلاد الشـام جمـال باشـا ونفـى بعـضَ أعضائـه وفـي مقدمَتِهـم رئيسـه حبيـب باشـا السـعد، واختيـر أحمـد الحسـيني عـن الشّـيعة فـي مجلـس جديـد عـام ١٩١٥ بنـاءً لنفـسِ النِّسَـبِ التمثيليَّـة الطائفيَّـة بطريقـة التعييـن خلافًـا لنظامـه.(٤٤) وبقيـت هـذه الحـال حتـى سـقوط الدولـة العثمانيَّـة فـي أيلـول ١٩١٨.

وكان للطائفـة أيضًـا مـدراء محلّيـون رسـميّون فـي الأقضيـة. ففـي كشـوفاتِ


صورة المتصرف رستم باشا

التثبُّـت مـن موظفـي الدولـة لعـام ١٨٨٠ زمـن المتصـرف رسـتم باشـا ظهـرت أسـماءُ مديـرَيِ المنيطـرة بقضـاء كسـروان والهرمـل بقضـاء البتـرون، أحمـد محسـن حمـادة ومحمـد سـعيد محسـن حمـادة.(٤٥) وفـي أحـد جـداولِ عـدد المأمورين فـي أقضيـةِ جبـل لبنـان مـن كل طائفـة إبّـان المتصرفيَّـة، يظهـر أنَّـه قـد كان للشّـيعة سـبعة مأموريـن[I] مـن أصـل ١٤٦. كمـا يتبيّـن مـن أحـدِ لوائـح المأموريـن فـي مركـز المتصرفيَّـة أنَّـه كان للشّـيعة أربعـة مـن ١٠٢ مأموريــن.(٤٦)

وفـي مجلـسِ المحاكمـةِ الكبيـر فـي مركـز إدارة الحكومـة، وهـو مجلـسٌ قضائـي مهمتُـه التعامـلُ مـع الدعـاوى الحقوقيَّـة والجنايـات، تمثَّـل الشـيعة بقـاضٍ[II] (حاكـم) ووكيـلِ دعـاوى مـن أصـل سـتة قضـاة وعـددٍ مماثـل مـن الـوكلاء. ثـمَّ أُلحِقـت بـه لاحقًـا مجالـس أخـرى. وكان رئيسُـه مارونيًّـا يعينـه المتصـرف.(٤٧)

وكذلـك كان لهـم حضـورٌ بيـن مشـايخِ وقضـاة (حـكام) الصلـح الذيـن يمثلـون الطوائـف أيضًـا فـي النواحـي وينتخبـون أعضـاء مجلـس إدارة المتصرفيَّـة بـلا تدخـل عثمانـي.(٤٨) وكانـوا يُنتخبـون ويُعيّنـون مـن قِبَـلِ رؤسـاءِ طوائفهـم، قبـل تنصيبهـم مـن السـلطات العثمانيَّـة.(٤٩) ويحكمـون

(I) يشمل هذا العنوان القائمقامين والمديرين وكتبة القيد ورؤساء المحاكم البدائيَّة وأمناء الصندوق وغيرهم من الموظفين. انظر/ي: إبراهيم الأسود، **تنوير الأذهان في تاريخ لبنان**، ج١، ص ١٠٢.

(II) من الأسماء التي تناوبت على هذا المنصب: حسن الفقيه، سرحان حمادة، على الحسيني، حسن همدر وعلي همدر.

فـي دعـاوى القباحـة[I] أو تلـك التـي لا يتجـاوز قدرهـا ٥٠٠ غـرش حكمًـا غيـر مسـتأنف. وخـلاف ذلـك، كان مـن صلاحيَّـةِ المحاكـم الابتدائيَّـة البـتُّ فـي الدعـاوى بيـن أفـراد مختلفيـن طائفيًّا مهمـا كانـت قيمتُهـا إلا إذا اتفق الفريقـان علـى الرضـى بقاضـي صلـح طائفـة المدعـى عليـه.(٥٠)

وفـي مجلـس وُكلاء الطوائـف المكـوّن عـام ١٨٦١ مـن سـتة أعضـاء يمثلـون الطوائـف السـت، ومهمتُهـم الدفـاع عـن أبنـاء طوائفهـم والمطالبـة بحقوقهـم، كان العضـو الشـيعي فيـه المقـدَّم محمـد، كمـا وَرَد اسـمُه فـي المصـدر. ثـمَّ أُلغِـيَ المجلـس عـام ١٨٦٤ نتيجـة نفقاتـه الاقتصاديَّـة العاليـة ولعرقلتـه مهمـات المتصـرف والمجلـس الإداري.(٥١)

هـ- استمرار الزعامات التقليديَّة

فـي عصـر القائمقاميّتَيـن أعـادَ عمـر باشـا النمسـاوي تعييـن مشـايخ آل حمـادة[II] علـى جبيـل والبتـرون والكـورة، وهـم كانـوا يتولّونهـا قبـل ذلك بــ٦٠ سـنة قبـل انتزاعهـا منهـم لصالـح مشـايخ آل الضاهـر الموارنـة،(٥٢) وهـذا مـا يُظهـرُ اسـتمرار الزعامـةِ الشّـيعيَّة العشـائريَّة فـي جبـل لبنـان فـي هـذه الحقبـة.

وكذلـك خضعـت منطقـة الهرمـل لسـلطةِ الأسـرةِ الحمَّاديَّـة التـي قَـوِيَ نفوذُهـا هنـاك بعـد الهجـرات المتتاليـة مـن جبيـل وكسـروان. واسـتطاع الحمَّاديّـون الذيـن أسّسـوا سـلطةً محليَّـةً مرتبطـةً مباشـرةً بالعثمانيّيـن الوقـوفَ فـي وجـه المنافسـةِ الحرفوشـيَّةِ لهـم. وكانـت زعامتُهـم مُؤيَّـدةً حتـى مـن الشّـيعة خـارج الهرمـل، برغم وجـود خلافـاتٍ داخلَ الأسـرة.(٥٣)

(I) القباحة هي إحدى تقسيمات الجرائم، وهي في مرتبة أدنى من الجناية والجنحة.

(II) آل حمادة هم مجموعة عشائر شيعيَّة تلتقي بنسبِها عند جدٍّ واحد.

وفـي بدايـةِ عهـدِ المتصرفيَّـة قسَّـم داود باشـا جبـل لبنـان إلـى سـتة أقضيـة يرأسـها مـدراء ولـم يكـن للشّـيعة عمومًـا منهـا نصيـب،[٥٤] بـل بـات تعيينُهـم يقتصـرُ علـى النواحـي[I] الشّـيعيَّة ومـا دونهـا. وانطلاقًـا مـن قوانيـن المتصرفيَّـة الجديـدة المؤسِّسـة لمشـاركة الطائفـة فـي السـلطة،[٥٥] وانخفـاضِ مسـتوى هـذا التمثيـل، يكـونُ نفـوذُ العشـائر اسـتمرَّ فـي إطـارٍ محلّـي، ولكـن علـى مسـتوى إداري أضيـق.

وبعـد ضـم ناحيـة الهرمـل إلـى قضـاء البتـرون عـام ١٨٦١، تمكّـن الحمَّاديّـون مـن إعـادة إنتـاج سـلطتهم المحليَّـة هنـاك مـن خـلال تولّـي محسـن بـن حمـود حمـادة ثـمَّ ابنـه محمـد سـعيد إدارة الناحيـة كمـا أسـلفنا، وقـد امتـدّت سـلطةُ الأخيـر حتـى عـام ١٩٢٤. وهكـذا شـكَّلت المشـيخةُ الحمَّاديَّـة الإطـارَ السياسـي للعشـائر، وبقيـت كذلـكَ حتـى إلغـاءِ نظـامِ المتصرفيَّـة وانحـلالِ المشـيخة.[٥٦]

ومـع الوضـعِ الجديـد الـذي خضَـعَ لـه جبـل لبنـان مـع بدايـة الحـرب العالميَّـة الأولـى، خسـر اسـتقلالَه الإداري بفقـدانِ الضمانـة الدوليَّـة الراعيـة لبروتوكـول ١٨٦١ نتيجـة انقسـام الـدول الموقِّعـة عليـه إلـى معسـكرَين متحاربَيـن، ممـا دفـعَ الحمَّاديِيـن للوقـوف ضـد الدولـة العثمانيَّـة. فتأييدهـم لنخلـة باشـا المطـران[II] الـذي اعتقلَـه جمـال باشـا عـام ١٩١٥ بحجـةِ العمـل ضـد الدولـة العثمانيَّـة ولمصلحـة التدخُّـل الأوروبـي، اعتبـرَه الأخيـرُ خروجًـا منهـم عـن طاعـة الدولـة وتهديـدًا مُبطَّنًـا لـه.[٥٧] فـكان قـرارُ نفـي مشـايخِهم إلـى بـر الأناضـول والاسـتيلاء علـى أملاكهـم.[٥٨]

(I) يُقسم القضاءُ إلى مجموعة من النواحي، والناحية إلى عدد من القرى.

(II) نخلة باشا المطران: من وجهاء بعلبك البارزين، سُجِن في دمشق بتهمة التعامل مع فرنسا بهدف فك قضاء بعلبك عن سوريا وضمه إلى جبل لبنان، قُتِلَ بالرصاص أثناء نقله بالقطار إلى منفاه في الأناضول.

٣) واقع جبل عامل السياسي

أ- الواقع الإداري

كان وضعُ جبل عامل الإداري، خلافًا لمتصرفيَّة جبل لبنان، يخضعُ لما تخضعُ له باقي مناطق السلطنة بشكلٍ عام أي أنَّها تتبع لمركزِ الولاية.[I] وبسببِ تأثُّرِ العثمانيّين بالإصلاحات الإداريَّة المصريَّة، فإنَّهم عمدوا بعد خروج المصريّين عام ١٨٤٠ إلى تقسيماتٍ إداريَّةٍ مختلفة عن تلك التقليديَّة السائدة قبلُ. فقُسِّم جبل عامل إلى خمس مقاطعات تُحكَم من قِبَلِ إقطاعيّين، وأحيانًا دون العودة إلى القوانين.[٥٩] وكانت الدولةُ العثمانيَّة، عبر خطَّيْ كلخانة عام ١٨٣٩ وهمايون عام ١٨٥٦ الإصلاحيَّيْن، قد غيّرت في الأنظمةِ الإداريَّةِ والماليَّة ووضعت حدًّا لنفوذِ الأُسَرِ المحليَّة من خلالِ إبطالها العملَ بالالتزام،[٦٠] وسلَّمت إدارةَ الأمور لموظفين، وأصبح حكّامُ المقاطعاتِ إداريينَ مسؤولين عن واجباتهم القانونيَّةِ تجاه الدولةِ وأهالي البلاد،[٦١] وتحدّدت منزلتُهم من خلال قنواتٍ بيروقراطيَّةٍ عثمانيَّة. فخطُّ همايون أفسَحَ المجالَ أمام رعايا الدولة العثمانيَّة - ومِن أيّ مِلَّةٍ كانوا - ليكون لهم مكانٌ في الوظائف الرسميَّة.[٦٢] ومع تحديث نظامِ الأراضي بات بإمكانِ الفلاحينَ الحصولُ على قطعةِ أرض، فساهم ذلك في تضاؤلِ زعامة بعض الأُسَر.[٦٣] لكن بدا أنَّ الذهنيَّة الإقطاعيَّة المتوارثةَ عبر قرون لم تكن لتقبل الإجراءاتِ الحداثَويَّةِ الجديدة، كما أنَّ هذه القوانين كانت تحتاجُ إلى مساحةٍ زمنيَّة لتصبح نافذة.

(I) كان جبل عامل يتبع لسنجق بيروت في ولاية دمشق، وبعد إنشاء ولاية بيروت ١٨٨٨ بات يتبعُ لها.

ب- استمرار الزعامات التقليديَّة

شـهدت فتـرةُ مـا بعـد الحكـم المصـري صراعـاتٍ علـى الزعامـاتِ بيـن الأُسَـرِ العامليَّـة التـي سـعت لمـلء الفـراغ النسـبي الـذي حصـل إبّـان المرحلـة السـابقة. وظهـرت عائـلاتٌ جديـدة إلـى جانـب تلـك التقليديَّـة، ومنهـا أسـرة الزّيـن التـي بـرزت بشـكلٍ لافـتٍ فـي عهـد أحمـد باشـا الجـزّار بعـد واقعـة شـحور عـام ١٧٨٤. فقـد ألَّـب قاسـم الزّيـن،[I] برفقـةِ وجهـاءَ آخريـن والـي دمشـق، علـى حمـد البـك المحمـود النصّـار،[II] ابـن شـقيق ناصيـف النصّـار،[III] فتـمَّ عزلُـه. ثـمَّ أُعيـدَ حمـد بـك سـريعًا نتيجةً للظـروف الحرجـة التـي كانـت تضـربُ لبنـان بسـبب الفتنـة الطائفيَّـة التـي تعصـف بـه.[٦٤] وشـارك مـع العثمانييـن فـي حملاتهـم التأديبيَّـة، منهـا الحملـة علـى دروز حـوران مـع محمـد باشـا القبرصـي.[٦٥]

بعـد وفاتـه عـام ١٨٥٢ وقـع النـزاعُ بيـن خليفتـه وهـو ابـن أخيـه علـي بـن أسـعد النصّـار الـذي نـال أيضًـا لقـب شـيخ مشـايخ[IV] جبـل

(I) قاسم الزّين: من وجهاء آل الزّين الذين كانوا قد بدأوا يظهرون على الساحة وغيرهم كآل عسيران والخليل في مواجهة الزعماء التقليديين.

(II) حمد البك المحمود النصّار: من الأسماء العامليَّة المهمة التي لعبت دورًا بارزًا في مواجهة المصريين، فقادَ مجموعات مقاومة ضدهم متسلّحة ببنادق الإنكليز المجانيَّة وقد كافأه العثمانيون بعد خروج المصريين إثر مؤتمر الدول الكبرى في لندن، وأعطوه حقوقًا إقطاعيَّة مما كان انتُزع من العائلة إبّان فترة حكم أحمد باشا الجزّار، وأطلقوا عليه لقب شيخ مشايخ بلاد بشارة، وأهدوه سيفًا مرصَّع القبضة. كما منحه شاه إيران شالًا من الكشمير الثمين وطائرًا من البزاة.

(III) ناصيف النصّار: شيخ مشايخ جبل عامل في عصره (١٧١٣-١٧٨١). حاول إقامة تحالفات قويَّة متنوعة لمواجهة العثمانيين، وكان أهمها تحالفه مع ظاهر العمر أحد حكام فلسطين. وكان في فترة من الفترات قد اشترك مع أحمد باشا الجزّار في مواجهة باشا الشام عام ١٧٨٠. قُتل في معركة يارون في مواجهة العثمانيين.

(IV) الملتزم جباية الضرائب، توفير الجند اللازم وحماية أمن منطقة جبل عامل أمام الوالي العثماني.

عامـل، وتامـر حسـين السـلمان،[I] حاكـم منطقتَـي هونيـن ومرجعيـون. وتامـر هـذا غـادر جبـل عامـل عـام ١٨٦٢ باتجـاه مصـر طالبًـا وسـاطة الخديـوي[II] لـدى البـاب العالـي لمنحـهِ حكـم جبـل عامـل، وتوجَّـه بعدهـا إلـى اسـطنبول والتقـى الصـدرَ الأعظـم، لكـن محاولتَيْـه فشـلتا، فاكتفـى بالمقاطعـة التـي كان يحكمهـا بينمـا اسـتمرَّ علـي بـن أسـعد النصـار شـيخ مشـايخ جبـل عامـل. وشـهدت المنطقـة فـي عهـده اسـتقرارًا سياسـيًّا واقتصاديًّـا واجتماعيًّـا، وانتعشـت الحيـاة الفكريَّـة مـن خـلال تشـجيعه للعلـم والأدب.[٦٦] وقـد عيَّنـه فـؤاد باشـا، وزيـرُ الخارجيَّـة العثمانـي وقتئـذ، عضـوًا مستشـارًا فـي المجلـس الأعلـى الـذي كانـت مهمّتُـه النظـر فـي شـؤون البـلاد.[٦٧] واسـتعان العثمانيـون بـه لقمـعِ الفِتـنِ انطلاقًـا مـن علاقاتـه المتشـعبة ونفـوذه المحلـي،[٦٨] وجريًـا علـى عـادة الباشـوات العثمانييـن فـي اسـتنفار رجـالات الإقطـاع.

وحيـن اسـتدعى فـؤاد باشـا أعيـانَ «البـلاد»[III] للتـداول معهـم فـي الاضطرابـات بيـن الموارنـة والـدروز بعـد وصـول الفرنسـيين إلـى بيروت، كان علـي بـك مـن هـؤلاء، إضافـةً إلـى تامـر بـك السـلمان وحسـين بـك الأميـن.[٦٩]

وكمـا حصـل إبّـان حُكـمِ حمـد المحمـود مـن تأليـبٍ، اشـتكى تامـر السـلمان برفقـة وجهـاء آخريـن، ومنهـم مفتـي بـلاد بشـارة السـيد[IV] محمـد الأميـن قشـاقش،[V] علـى علـي بـك إلـى السُّـلطات العثمانيَّـة،

(I) ابن حسين السلمان الذي والى الأمير بشير الشهابي وإبراهيم باشا.

(II) وكان وقتها محمد سعيد باشا. وحكَم بين عامَي ١٨٥٤ و١٨٦٣.

(III) يُقصد بها منطقة متصرفيَّة جبل لبنان ومحيطه.

(IV) السيّد مصطلحٌ يُطلق على رجل الدّين وغيره ممن ينتسب إلى هاشم جد النبي بصلة من جهة الأب. ومصطلح السيّد هنا لا يختص برجال الدّين بل يشملُ كلَّ المنتسبين إلى هاشم.

(V) آل الأمين كانوا يُعرفون بقشاقش، ثمَّ عُرفت العائلة لاحقًا بآل الأمين نسبة إلى السيد محمد


صورة كامل خليل الأسعد

متّهمينَــه بالتقصيــرِ فــي الالتــزام تجـاه الدولـة، فاعتُقِـلَ عـام ١٨٦٤ وسُـجِنَ لسـنة كاملـة في بيـروت.[٧٠] وبعـد إطلاقـه، توفّـي بوبـاء الريـح الأصفـر (الكوليـرا) فـي دمشـق.[٧١] وقيـل مـات مسـمومًا.[٧٢]

وبعـده، بـرزت زعامـة خليـل بـك الأسـعد.[I] وكان الأخيـر عُيّـن مديـرًا للأحــراش قبـل أنْ يصبـحَ زعيمًـا لجبـل عامـل. ثـمَّ تولّـى عـدة قائمقاميّـات، وعُيّـن متصرّفًـا فـي البلقـاء وبعدهـا فـي نابلـس فـي عهـد صديقـه والـي سـوريا أحمـد حمـدي باشـا، لكنـه عُـزِلَ بعـد مـوت الأخيـر عــام ١٨٨٨.[٧٣]

وعنـد إنشـاء ولايـة بيـروت فـي السـنة نفسـها نتيجـةً لازديـادِ أهميَّـة[II] هــذه المدينـة وحساسـيّتها وللوقـوفِ فـي وجـهِ النفـوذ الأجنبـي،[٧٤] أصبـح جبـل عامـل تابعًـا لهـا، وكان قبـل ذلـك يتبـعُ بيـروت كسـنجق ضمـن ولايـة دمشـق. وتـمَّ إلحـاق صيـدا وصـور ومرجعيـون والنبطيَّـة وملحقاتهـا مـن الوحـدات الإداريَّـة[III] التـي ضمـن حـدود جبـل عامـل

الأمين بن السيد أبي الحسن موسى. انظر/ي: محسن الأمين، **عجائب أحكام أمير المؤمنين**، مركز الغدير للدراسات الإسلاميَّة، ط١، ١٩٩٨، ص ١٦.

(I) آل الأسعد هم فرع من آل النصار، انظر/ي: سعدون حمادة، **تاريخ الشيعة في لبنان**، ج١، ص ٤٢٤.

(II) المقصود بذلك مواجهة نفوذ الدول الغربيَّة في متصرفيَّة جبل لبنان.

(III) أصبحت أقضية صيدا وصور ومرجعيون المُشَكِّلة لجبل عامل تتبع سنجق بيروت. وكانت هذه الأقضية تتشكل من ثمان مقاطعات أو نواح، هي: الشقيف، الشومر، التفاح وجزين، في القسم الشمالي. وهونين، تبنين، قانا ومعركة، في القسم الجنوبي. انظر/ي: سيف أبو صبيع، **جبل عامل في العهد العثماني**

وخـارج حـدود المتصرفيَّـة وباتـت تشـكل القسـم الجنوبـي مـن ولايـة بيـروت.[(٧٥)] ولمـع فـي هـذه الفتـرة اسـم خليـل الأسـعد أكثـر، فقـد اسـتطاع أنْ يلعب دورًا سياسـيًّا مهمًّا خصوصًـا بعـد حادثـة الخيـام[(I)] عـام ١٨٩٤ والتـي كادت تـؤدّي إلـى فتنةٍ طائفيَّـةٍ بيـن الشـيعة والـدروز.[(٧٦)] فاجتمـع برجـال الدّيـن طالبًـا الاحتـكامَ للصُّلـحِ حسـب الأعـراف العشـائريَّة، ونجـح فـي ذلـك. وقـد توفّـي عـام ١٩٠٠ فـي بلـدة الطيبـة العامليَّـة، لتبـدأ مرحلـةٌ جديـدةٌ فـي ظـلّ زعامـة ابنـه كامـل خاصـة، وفي ظـلّ نفـوذ آل الأسـعد عامـةً وهـم بقـوا يتبـوّأون المناصـبَ الرسـميَّة فـي الدولـة العثمانيَّـة حتـى زوالهـا.[(٧٧)]



شبيب باشا الأسعد يتوسط ولديه حكمت وعلي نصرت

وتعـرَّض كامـل خليـل الأسـعد لمنافسـة قريبـه شـبيب باشـا الأسـعد[(II)] الـذي عـاد إلـى لبنـان عـام ١٩٠٩ بعـد فتـرةٍ طويلـة أقـام فيهـا فـي الآسـتانة. فتنازعـا علـى عضويَّـةِ البرلمـان العثمانـي (مجلـس المبعوثـان) المُنشـئِ عـام ١٨٧٦، وذلـك عـن لـواء (سـنجق) بيـروت، وفيـه جبـل عامـل، ففـاز كامـل وانكفـأ شـبيب وعـاش فـي صيـدا حتـى وفاتـه عـام

دراسة فكريَّة تاريخيَّة، دار الرافدين، بيروت، ط١، ٢٠١٧، ص ٤٠.

(I) وقعت الحادثة حين اعترض ثلاثةُ شبانٍ دروز من عين قنيا رجلين شيعيّين من الخيام كانا عائدَيْن من القنيطرة. وقُتِلَ فيها شاب درزي.

(II) شبيب باشا ابن علي بك الأسعد من فرع محمود النصّار، أمّا كامل فهو من فرع ناصيف النصّار.

١٩١٧.[٧٨] وكامل بك يُعتبر أوّل زعيمٍ عاملي في المرحلةِ المعاصرة يتقدّمُ بمطالبَ عامليَّة حول الإنماءِ والمساواةِ بالجوار.[٧٩] وخاض صراعًا كبيرًا مع رضا الصلح،[I] منافسِ أبيه، ثمَّ لاحقًا مع ابنه رياض.[٨٠]

وكما كان الحالُ بين زعاماتِ القسم الجنوبي من جبل عامل، كذلك كان التنازعُ بين الصعْبيّين حكّام القسم الشمالي،[٨١] ولكن بدرجةٍ أقل أهميَّة وتأثيرًا في المشهد العاملي العام.

ج- ظهور وُجهاء وأعيان جُدد

كانت الظروفُ التي مرّت بها الدولة العثمانيَّة إبّان القرن التاسع عشر وما ترافقَ معها من إصلاحاتٍ داخليَّة، بدأت تتركُ آثارها على مختلفِ الصعدِ سياسيًّا، إداريًّا، اجتماعيًّا واقتصاديًّا. وكان أنْ ظهرت في جبل عامل أُسَرٌ جديدة تمكّنت من الاضطلاعِ بأدوارٍ مهمّة محليًّا. وبغضّ النظر عن الظروفِ الواقعيَّةِ التي بلْوَرت ظهورَ نفوذ هذه العائلات، فإنَّ أُسَرًا عديدة بعيدة عن البيوتات السياسيَّة التقليديَّة كآل عسيران والزّين والخليل، وانطلاقًا من خلفياتٍ ثقافيَّة واقتصاديَّة وإداريَّة، استطاعت أنْ تستفيدَ وتجد لها موطئَ قدمٍ في هذا الخصوص. وكانت المصاهراتُ بين العائلاتِ الثلاث تصبُّ في هذا الهدف. وقد كوَّنت معًا، إضافةً إلى تلك الأسعديَّة، وريثة الأسرة التاريخيَّة التقليديَّة، واجهةَ السياسةِ العامليَّة الجديدة.

فآل عسيران، التجار والمُلّاك في صيدا والزهراني امتدادًا إلى

(I) رضا الصلح: من مواليد صيدا عام ١٨٦٠. انتُخِب عضوًا في «مجلس المبعوثان» عن ولاية بيروت عام ١٩٠٩، وعُيّن وزيرًا للداخليَّة في حكومة فيصل في دمشق عام ١٩٢٠.



صورة يوسف بك الزين

جزين، كانوا شهبندرات(I) الدولة القاجاريَّة منذ عام ١٨٤٨، واستطاعوا تكوينَ امتيازاتٍ تجاريَّة. وآل الزّين الذين كانوا بدأوا بلعبِ دورٍ سياسيّ عبر علي الزّين إبّان ثورة شحور، تبوّأوا بعد أنْ هدأت الأحوال لاحقًا مع العثمانيين مناصبَ إداريَّة، وأصبحَ لديهم مِلكيّاتٌ عقاريَّة كبيرة،(٨٢) بحيث أنَّه مع نهاية الحرب العالميَّة الأولى كان يوسف بك الزّين أكبر مالكٍ للأراضي في جبل عامل.(٨٣) وقد شكّلت هذه العائلة التي كانت تنتشرُ في القرى الداخليَّة لنواحي النبطيَّة وصور قاعدةً لها في صيدا لتثبيتِ موقعها بين التجار. وأمَّا آل الخليل فقد استقرّوا نهاية القرن التاسع عشر في صور، مدعومين من رجال الدّين الشّيعة، لأجلِ مواجهةِ سيطرةِ آل المملوكِ السنّة في المدينة.(٨٤)

وكان لآل الزّين مساهماتٌ كبيرة في الحالة الثقافيَّة لجبل عامل عبر العديدِ من رجالاتها، ومنهم الشيخ أحمد عارف الزّين(II) الذي

(I) في الدولة العثمانيَّة هو لقب قنصل الدولة ويطلق على شيخ التجار.

(II) أحمد عارف الزّين: كاتب وصحافي عاملي شيعي، كان من روّاد القوميَّة العربيَّة ودُعاة الوحدة العامليَّة مع سوريا. اعتقله العثمانيون وسجنوه حتى نهاية الحرب العالميَّة الأولى. توفّي عام ١٩٦٠.

أصـدر مجلـة «العرفـان»[I] عـام ١٩٠٩ وجريـدة «جبـل عامـل»[II] عـام ١٩١١. كذلـك شـهد جبـل عامـل ولادة مجلـة «المـرج» لأسـعد رحـال عـام ١٩٠٩، و«القـوة» لمحسـن دبـوق عـام ١٩١٢، وغيرهـا مـن مجلات وصحـف.[٨٥]

وهكـذا ظهـر الوجهـاءُ مـن آل الزّيـن (شـحور) وغيرهـم مـن آل العبـد اللـه (الخيـام) وفرحـات (ميـس وبرعشـيت) مـع الأُسـرةِ الأسـعديَّة وريثـة آل علـي الصغيـر فـي القسـم الجنوبـي مـن الجبـل، تمامًـا كمـا فَعَـلَ الوجهـاءُ مـن آل فحـص وصفـا وجابـر وقبيسـي مـع آل صعـب فـي الجانـب الشـمالي منـه.[٨٦]

واسـتطاع بعـض الوجهـاء العامليين، وانطلاقًـا مـن الجانـبِ الثقافـي، أنْ يكـون لهـم نشـاطٌ ودورٌ مهـمٌّ فـي المجتمـع. فقـد افتتـح أحمـد رضـا[III] وسـليمان ظاهـر[IV] ومحمـد جابـر آل صفـا[V] فرعًـا نبطانيًّـا عامليًّـا

(I) مجلة «العرفان»: علميَّةٌ أدبيَّة أخلاقيَّة اجتماعيَّة، أصدرها الشيخ أحمد عارف الزّين في صيدا في ٥ شباط ١٩٠٩. كانت تُطالب دومًا بالحقوق العامّة للشيعة والخاصة لشيعة جبل عامل. وقد تعرّضت مرات عديد للقمع سواء إبّان الحكم العثماني أو لاحقًا عند الانتداب الفرنسي.

(II) جريدة جبل عامل كانت أسبوعيَّة وتوقف إصدارها بعد سنة وبقيت مجلة العرفان. انظر/ي: محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ج٧، ص ٤٠٥.

(III) أحمد رضا: من مواليد النبطيَّة ١٨٧٢. عالم لغوي وأديب وشاعر شيعي عاملي. كان عضوًا في جمعيَّة «الاتحاد والترقي». حوكم في ديوان الحرب العسكري في عاليه ثمَّ أُفرِج عنه. كان من المعارضين لانضمام جبل عامل للبنان الكبير، وتوفّي عام ١٩٥٣. شارك مع سليمان ظاهر في تأسيس جمعيَّة المقاصد الخيريَّة الإسلاميَّة وأوجد لها مبان للتعليم.

(IV) سليمان ظاهر: وُلد عام ١٨٧٣ في النبطيَّة. رجل دين ومؤلّف وأديب وشاعر عاملي. انتسب إلى جمعيَّة «الاتحاد والترقي» فترة، ويُعَدُّ من روّاد القوميَّة العربيَّة وقادة حركتها. شارك في مؤتمر وادي الحجير عام ١٩٢٠ وكان مؤيّدًا لانضمام لبنان إلى سوريا تحت إمارة فيصل. توفّي عام ١٩٦٠.

(V) محمد جابر آل صفا: وُلد عام ١٨٧٠ في النبطيَّة. لازمَ أحمد رضا وسليمان ظاهر في نشاطاتهما. كان عضوًا في جمعيَّة المقاصد الخيريَّة الإسلاميَّة في صيدا وانتسب عام ١٩٠٨ إلى جمعيَّة «الاتحاد والترقي» قبل أنْ يتركها. شارك في مؤتمر وادي الحجير عام ١٩٢٠ وأسس مع آخرين جمعيَّة النهضة العامليَّة في النبطيَّة. توفّي عام ١٩٤٥.

لجمعيَّـة «الاتحـاد والترقّـي» العثمانيَّـة.[I] وقـد عمـل هـؤلاء سياسـيًّا انطلاقًـا مـن ثقافـة الإصـلاحِ تحـت سـقفِ التبعيَّـةِ السياسـيَّة للدولـة العثمانيَّـة،[٨٧] وضـد السياسـة الدوليَّـةِ القائمـة علـى تبديـد أوصـال الوحـدة فـي السـلطنة.[٨٨]

د- النزعة القوميّة والحرب العالميّة الأولى

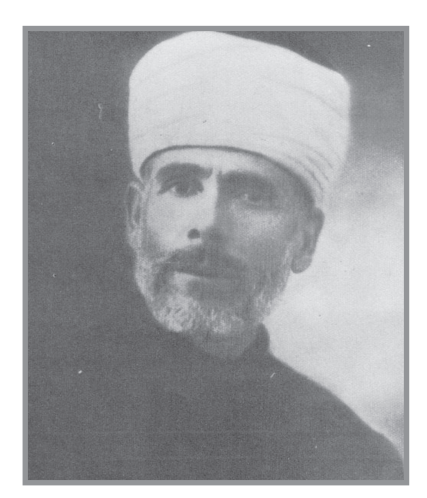


صورة عبد الكريم الخليل

تأثـرًا بنزعـة القوميَّـة التـي انبلـجَ نورُهـا بقـوّة فـي أوروبـا نتيجـة الثـورة الفرنسـيَّة (١٧٨٩-١٧٩٩) وحـروب نابوليـون (١٨٠٣-١٨١٥)، تفشّـت نزعـة القوميَّـة فـي أنحـاء مـن السـلطنة العثمانيَّـة فـي النصـف الأول مـن القـرن التاسـع عشـر بيـن شـعوب البلقـان المتنوعـة، وفـي الأناضـول بيـن الأرمـن.[٨٩] كذلـك كانـت نهايـةُ القسـمِ الثانـي مـن القـرن التاسـع عشـر شـهِدَت نمـوَّ نزعـةِ القوميَّـة العربيَّـة[II] انطلاقًـا مـن الجمعيـات العلميَّـة والأدبيَّـة.

(I) تأسست في تركيا عام ١٨٨٩، وعقدت عام ١٩٠٢ مؤتمرًا في باريس رفعت فيه شعارها الشهير: الحريَّة، الأخوة والمساواة. انظر/ي: سيف أبو صبيع، **جبل عامل في العهد العثماني دراسة فكريَّة تاريخيَّة**، ص ١١٨.

(II) هو الإيمان بأنَّ الشعب العربي واحد تجمعه اللغة والثقافة والتاريخ والجغرافيا والمصير والاهتمامات المشتركة.

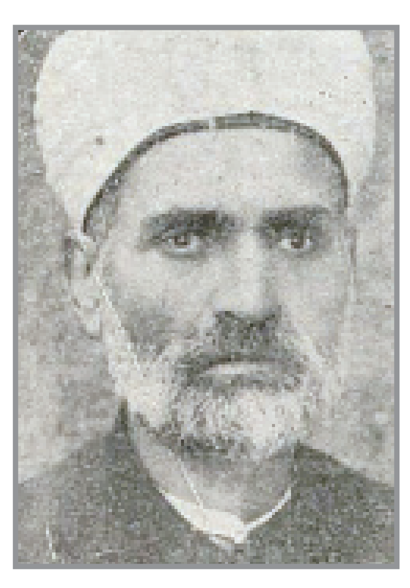

صورة سليمان ظاهر

لـم تكـن المطالـب العروبيَّـةُ بدايـةً تدعــو إلــى حــقِّ تقريــر المصيــرِ وإنشــاء الحكومــات الوطنيَّــة كمــا هــو الحــالُ فــي أوروبــا، بــل كانــت مرتبطــةً بتنظيــمِ الحيــاةِ العامــةِ ورأبِ الصــدعِ فــي الإدارة العثمانيَّــة وإعطــاءِ اللغــة العربيَّــة هامــشَ حركــةٍ أكبــر، الأمــر الــذي هــدّد وحــدة الدولــة التــي كانــت قائمــةً علــى فسيفســاءَ كبيــرة مــن التجمعـات السـكانيَّة المتنوعـة لغويًّـا وثقافيًّـا. ولذلـك عندمـا انعقـدَ مؤتمـرُ دمشـق عـام ١٨٧٧ واختيـر عبـد القـادر الجزائـري[I] قائـدًا لحركـة المطالـبِ العروبيَّـة هـذه، قَبِلَ بتلـك المهمـة بشـرطِ الاحتفـاظِ بالربـاطِ الروحـي بالخليفـة العثمانـي. وكان لجبـل عامـل تمثيـلٌ فـي المؤتمـر مـن خـلالِ الفقيهيـن السـيّد محمـد الأميـن[II] وعلـي الحـر ورجلَيْـن مـن الأعيـان همـا شـبيب باشـا وعلـي عسـيران.[٩٠] ونفَـت الدولـة العثمانيَّـة وقتهـا محمـد الأميـن إلـى طرابلـس.[٩١]

واسـتغلّت العواصـمُ الأوروبيَّـةُ هبـوبَ هـذه العاصفـةِ الجديـدةِ علـى المنطقـةِ فدعمـت تلـكَ الحـركات مـن أجـل إضعـافِ السـلطنةِ وابتزازهـا قـدر الإمـكان. فأخـذت الجمعيـاتُ السـريَّة التـي تأسسـت فـي المـدنِ السـوريَّة الكبـرى تُجـري الاتصـالات مـع الـدول الغربيَّـة وتعـدُّ

(I) الأمير عبد القادر: قائد سياسي وعسكري قاد في الجزائر حركة مقاومة ضد الفرنسيين لحوالي ١٥ عامًا.

(II) السيّد محمد الأمين: هو مفتي بلاد بشارة، ابن السيّد علي الأمين وحفيد السيّد محمد بن موسى الأمين اللذان تقلّدا المنصِبَ قبلهُ. وُلد عام ١٨١٢ وتوفّي عام ١٨٧٩.



صورة الشيخ أحمد رضا

العـدّةَ للانفصـال، وبـدأ الحديـثُ عـن إمبراطوريَّـةٍ عربيَّـةٍ شـاملةٍ تضـمُّ المناطـقَ الإسـلاميَّةَ الناطقـةَ بالعربيَّـة. وبهـذا الشـكلِ الجديـدِ للنزعـةِ القوميَّـة العربيَّـة، كان لا بـدَّ أنْ يتبـدَّلَ موقـفُ المسـيحيين منهـا، وخصوصًـا القوميّـون اللبنانيّـون الذيـن نعمـوا فـي ظلِّ السـلطنة بامتيـازاتٍ لـن يُعـرَف مصيرُهـا فـي ظـلِّ إمبراطوريَّـةٍ عربيَّــة.(٩٢)

وبعـد انـدلاعِ الحـربِ العالميَّـةِ الأولـى عـام ١٩١٤ واختيـارِ السـلطنةِ العثمانيَّـة جانـبَ دولِ المحـور (ألمانيـا وإمبراطوريَّـة النمسـا والمجـر)، اسـتغلَّت الجمعيـاتُ القوميَّـة العربيَّـة والتـي نشـأت فـي أوروبـا الفرصـةَ للتحـرّك وتخلَّـت بمعظمهـا عـن سياسـة التفاهـم مـع العثمانيّيــن.(٩٣)

ففـي تشـرين الأول ١٩١٤، أسَّـس عبـد الكريـم الخليـل(I) ورضـا الصلح جمعيّـاتٍ فـي جبـل عامـل تكـون فروعًـا لجمعيَّـةِ الثـورةِ العربيَّـةِ فـي الشـام مـن أجـلِ إنشـاءِ دولـةٍ عربيَّـةٍ فـي آسـيا تحـت قيـادةِ الشـريف حسـين،(٩٤) ولـو أنَّهمـا فـي البدايـة كانـا يتحـركان طلبًـا للامركزيَّـة ضمـنَ إطـارِ الكيـان العثمانـي، وانضـمَّ إليهمـا سـليمان

(I) عبد الكريم الخليل: شيعي عاملي الأصل، وُلد عام ١٨٨٤. كان من دُعاة الانفصال العربي عن العثمانيّين. شارك في تأسيس فرع للثورة العربيَّة في المنطقة بالتنسيق مع أعيان من جبل عامل. اعتقله جمال باشا وأعدمه شنقًا في بيروت بعد محاكمة ظاهريَّة في عاليه.



صورة محمد جابر آل صفا

ظاهـر وأحمـد رضـا ومحمـد جابـر آل صفـا وغيرهـم[٩٥] الذيـن أسّسـوا فرعًـا لجمعيَّـة الثـورة العربيَّـة فـي النبطيَّـة[٩٦] بعدمـا كانـوا أنشـأوا فرعًـا لجمعيَّـة «الاتحـاد والترقـي»، ولكنّهـم انسـحبوا بعدمـا اكتشـفوا حقيقـة معاداتهـا للعـرب.[٩٧]

وبعـد افتضـاحِ أمـر الخليـل والصلـح، اعتُقـلا بأمـرٍ مـن جمـال باشـا وبِوشـاية مـن كامـل بـن خليـل الأسـعد[٩٨] الـذي زعـم أنَّهمـا يتآمـران للقيـامِ بالثـورة فـي جهـاتِ صـور وصيـدا.[٩٩] فكامـل، أحـد أعضـاء «مجلـس المبعوثـان»، يميـلُ كباقـي الزعمـاء التقليديّيـن إلـى العثمانيّيـن، كمـا كان يهـدفُ إلـى إبعادِهمـا عـن واجهـةِ المشـهد فـي جبـل عامـل كونهمـا بنظـره معتديَيْـن علـى سـلطتهِ التقليديَّـة التـي كان يعتبرهـا حقًّـا لـه كـوارث لأُسـرة علـي الصغيـر.[١٠٠] وقـد تـمَّ الـزجُّ بهمـا فـي سـجون عاليـه، وأُعـدِم الخليـل فـي ٢١ آب ١٩١٥ بتهمـة الخيانـة[١٠١] ونُفِـي الصلـح[١٠٢] إلـى إزميـر[١٠٣] بيـن عامَـي ١٩١٦ و١٩١٨.

وفـي عـزِّ الحماسـةِ القوميَّـةِ العروبيَّـة، واجـهَ الشّـيعةُ حملـةَ تشـكيكٍ بعروبتِهـم عندمـا قـام بعـض المسـيحيّين الداعيـن للاسـتقلال، تحـت الحمايـةِ الفرنسـيَّة بالترويـجِ كتابـةً أنَّ شـيعةَ جبـل عامـل ليسـوا عربًـا، الأمـرُ الـذي لاقـى ردودًا قويَّـة مـن بعـض مفكّـري الشّـيعة لدحضهـا.[١٠٤]

٤) واقع البقاع وبعلبك السياسي

أ- زوال سلطة الحرافشة والحكم العثماني المباشر

بعد انسحابِ المصريين من بلاد الشام، كرَّم العثمانيون الحرافشة لوقوفهم إلى جانبهم في مواجهةِ المصريين، وذلك بتعيين خنجر، أحد أبرز أمرائهم، حاكمًا لبعلبك.[١٠٥] لكن الوضع لم يستمر كثيرًا له بسبب النزاعاتِ العائليَّة، والنظامِ الجديد للإصلاحاتِ العثمانيَّة في الولايات، فكانت تنحيتُه عام ١٨٤٢ لمصلحةِ حسين بن قبلان الصغير السّن وتحت وصاية سعدون الذي ما لبثَ أنْ توفّي، فآلَ الحُكم عام ١٨٤٥ إلى الأمير حمَد الحرفوش.[١٠٦]

وعندما وقع النزاعُ بين حمَد وابن عمه محمد، استحصلَ الأخير من السلطةِ العثمانيَّةِ في دمشق على أمرِ تعيينِه هو على بعلبك، ودُعِمَ بجندٍ من الأكراد وخاضوا سويًّا معركةً ضد حمَد في الدلهميَّة من بلاد بعلبك انتهت بانتصار حمَد.[١٠٧] لكنّه لم يستطِع أنْ يُثبِّتَ حُكمَه هناك. فتجددت الصراعات العائليَّة، وقامت الدولة العثمانيَّة باقتطاعِ بعلبك والبقاع إلى مقاطعاتٍ صغيرة وزّعتها على أمراء الحرافشة، منهيةً بذلك وحدةَ الإمارةِ رغمَ محاولاتِ محمد الحرفوش إبقاءها بتمرّدِهِ الفاشل عام ١٨٥٠ والذي وقعَ بعده أسيرًا بيدِ قائد الحملة العثمانيَّة مصطفى باشا بعد هزيمتِه في معلولا بسوريا.

ثمَّ سيطرَ مصطفى باشا على بعلبك واعتقل أمراء الحرافشة ونفاهم، وبينهم الأمير محمد، إلى جزيرةِ كريت باليونان، وعَيَّنَ على بعلبك حاكمًا (قائمقام) عثمانيًّا هو تيمور باشا.[١٠٨] وهكذا أُلغِيت إمارةُ بعلبك وحُوِّلت لواءً في ٨ تشرين الثاني ١٨٥٠، وألغى السلطان العثماني عبد المجيد الأول (١٨٣٩-١٨٦١) حُكمَ الأسرة الحرفوشيَّة.[١٠٩]

وفي ظلِّ السُّلطة العثمانيَّة المباشرة اندلعت تمرّداتٌ حرفوشيَّة

فاشـلة، كانـت نهايتُهـا مـع واقعـةِ عيـون أرغـش بشـمال غـرب بعلبـك عـام ١٨٦٤ وهزيمـةِ سـلمان بـن ملحـم الحرفـوش(I) علـى يـد السرعسـكر حسـني باشـا(١١٠) ثـمَّ مقتلـه فـي السـجنِ فـي دمشـق بعـد اعتقالـه بوشـاية، وكان أخـوه أسـعد الحرفـوش(II) قـد نُفِـيَ قَبْـلُ إلـى أدرنـه عـام ١٨٦٣.(١١١)

ب- الواقع الإداري

بعـد زوالِ إمـارةِ الحرافشـة قُسِّـمَ البقـاع إلـى أقضيـة يـرأس كلًّا منهـا قائمقـامٌ يُعاوِنـه مجلـسُ إدارةٍ ومحكمـةٌ بدائيَّـة. كمـا تأسسـت المجالـسُ البلديَّـة فـي الأقضيَّـة، وكانـت كمجلـسِ القضـاءِ تمثّـل الطوائـف. وذهبت الحصّـةُ الشـيعيَّة فـي تلـك المجالـس إلـى عائلتَـي مرتضـى وحيـدر، فكان توفيـق حيـدر أوّل قائمقـامٍ غيـر تركـي تبـوّأ المنصـب.(١١٢) إلّا أنَّ النظـام الإداري العـام فـي بعلبـك ـ البقـاع لـم يختلِـف عـن ذلـك المعتَمَـد فـي السـناجق العثمانيَّـة الأخـرى بالمقارنـةِ مـع متصرفيَّـة جبـل لبنـان.

ج- صِدام حمَّادي ـ حرفوشي زمن المتصرفيَّة

مـع قيـام نظـامِ المتصرفيَّـة فـي جبـل لبنـان، لـم تكـن منطقـة بعلبـك

(I) سلمان بن ملحم الحرفوش: من أمراء الحرافشة، هو أخو خنجر وأسعد. وكان معاديًا لحُكم إبراهيم باشا المصري. وبعد عودة العثمانيّين ثار عليهم مع أسعد كما انضمَّ إلى ثورة يوسف بك كرم ضد العثمانيّين. كانت آخرُ معاركِهِ في وجههم في منطقة عين عطا قرب بعلبك. توفّي في السجن في دمشق عام ١٨٦٦.

(II) أسعد بن ملحم الحرفوش: من الأمراء الحرافشة، وهو أخو خنجر وسلمان. بعد أَسرِ العثمانيّين للأخير عام ١٨٦٠، هاجم أسعد بيت القائمقام العثماني في بعلبك. وثار مجددًا على العثمانيّين مع سلمان الذي فرَّ من السجن ثمَّ قُبِضَ عليه ونُفِيَ إلى تركيا ومات فيها.

ـ الهرمـل الحاليَّـة إدارةً واحـدة. بـل كانـت بعلبـك الحرفوشـيَّة تتبَـعُ ولايـةَ دمشـق، بينمـا أُلحِقَـتْ الهرمـل الحمَّاديَّـة، كعادتِهـا، بجبـل لبنـان وكانـت تحـت السـيطرةِ القويَّـة للحمَّاديّيـن بعـد نزوحهـم مـن جبيـل وكسـروان.(١١٣)

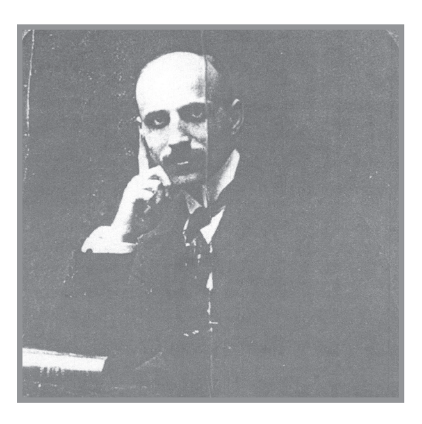
وسـاءت علاقَـةُ الحمَّاديّيـن بالحرافشـة فـي صيـف ١٨٦٢ بعدمـا عيَّنَـت الدولـة العثمانيَّـة الأميـر سـلمان الحرفـوش، قبـل تمـرّده وهزيمتِـهِ، قائـدًا علـى وحـدةٍ مـن الجنـدِ قوامهـا ٢٠٠ فـارس مـن القـوى غيـر النظاميَّـةِ للمحافظـةِ علـى الأمـنِ فـي بعلبـك. وإضافـةً إلـى قيامِـهِ، بنـاءً للأوامـر العثمانيَّـة، بمطـاردةِ المطلوبيـنَ مـن أهلـه، فإنَّـه أيضًـا خرق حـدودَ جبل لبنـان عبـر الإغـارةِ علـى الهرمـل الحمَّاديَّـة الخارجـةِ عـن سـلطةِ الولايـةِ تنفيـذًا لتوجيهـات السرعسـكر حليـم باشـا.(١١٤)

وأدّت الغـارةُ علـى بـرجِ الهرمـل لتوقيـفِ مطلوبيـن، إلـى سـقوطِ العديـدِ مـن القتلـى وتشـنُّجِ الوضـعِ وهـدّدَ الحمَّاديّـون بالأخـذ بالثـأرِ والهجـومِ علـى سـهل بعلبـك. وقـد اقترحـت باريـس وقتهـا التعويـضَ علـى أهالـي الضحايـا، إضافـةً لنشـرِ ضبـاط فرنسـيّين علـى حـدود بعلبـك ـ الهرمـل.(١١٥) ومـردُّ ذلـك إلـى كـون جبـل لبنـان يخضـعُ لامتيـازاتٍ فرنسـيَّة، علـى خـلافِ بعلبـك ـ الهرمـل.(I)

د- بدايات العمل الحزبي والنزعة القوميَّة

بعدمـا كانـت العصبيَّـة العشـائريَّة هـي السـائدة حصـرًا، بـدأت مطلـع

(I) وجاء في وثيقة لوزير الخارجيَّة الفرنسي بصدد المسألة «إنَّ الاعتداء ضد الهرمل الذي قام به سلمان الحرفوش يعتبر في الواقع خرقًا دوليًا لحدود لبنان، وقد طلبنا من سفيرنا في اسطنبول أنْ يتقدّم من الصدر الأعظم طالبًا إليه الاحترام لامتيازات لبنان المكرّسة في الاتفاقيات الأخيرة». انظر/ي: سعدون حمادة، **تاريخ الشيعة في لبنان**، ج١، ص ٣٦٧.


صورة أحمد رستم حيدر

القـرن العشـرين مرحلـةٌ جديـدة مـع تشـكّلِ الجمعيّـات الثقافيَّـة والمنتديـات الأدبيَّـة فـي بيـروت، فتأثّـرت بهـا منطقـة بعلبـك. بعـد عـام ١٩٠٨، انخـرط البعـض مـن مثقفـي البقـاع فـي عـدد مـن الجمعيّـات ذاتِ الفكـرِ الاسـتقلالي عـن الدولـة العثمانيَّـة. فبـادَرَ محمد رسـتم حيـدر[I] إلـى تأسـيسِ جمعيَّـةٍ سـريَّة سُـمِّيت «العربيَّـة الفتـاة»، وكانـت تهـدفُ إلـى المطالبـةِ بالإصلاحـاتِ ونيْـلِ الحقـوق، وانضـمَّ إليهـا البعـضُ علـى قاعـدةِ التعـاونِ مـع العثمانيّيـن لنيـلِ الاسـتقلالِ مقابـلَ العـداءِ للغـرب.[١١٦] وقـد شـاركَ صالـح حيـدر فـي جمعيّاتِ «سـورية الفتـاة» «والإصـلاح والترقـي» و«اللامركزيَّـة»، وكان مـن أصحـابِ فكـرةِ مسـاندةِ العـربِ للأتـراك فـي الحـرب العالميَّـة الأولـى شـرطَ منـحِ سـوريا الاسـتقلال. وأُعـدِم فـي ٢١ آب ١٩١٥ فـي سـاحةِ البـرج فـي بيـروت بأمـرٍ مـن جمـال باشـا الـذي نفـى كذلـك أسـرة آل حيـدر إلـى الأناضـول.[١١٧]


صورة صالح حيدر

(I) عائلة من قبيلة بني أسد العربيَّة انتقلت من العراق إلى سوريا، ثمَّ إلى لبنان نهاية القرن السادس عشر ودخلت في خدمة الحرافشة وأصبح لها ما كان لديهم منتصف القرن التاسع عشر. انظر/ي: غسان طه، **شيعة لبنان ـ العشيرة ـ الحزب ـ الدولة (بعلبك ـ الهرمل نموذجًا)**، ص ٣٤.

٥) حكم فيصل وموقف النُّخَب الشيعيَّة منه



رسم للملك فيصل ودولته

مع انسحابِ العثمانيّين ودخول الأمير فيصل بن الشريف حسين إلى دمشق، ومع وعود الدول المنتصرةِ في الحربِ بحقِّ تقرير المصير،[١١٨] تنفَّسَ شيعةُ لبنان الصعداء وهم الذين كانوا يعتبرون أنفسهم مضطهدين في حقوقِهم لخلفيّاتِهم المذهبيَّة المختلفةِ عن السلطنةِ العثمانيَّة.[١١٩] وكان موقفُ بعض البكوات العامليين حذرًا بخصوصِ إعلانِ الحكومة العربيَّةِ في دمشق، ويدلُّ ذلك على التعاطي السياسي للزعامةِ التقليديَّة في جبل عامل وعلاقتِها بالقوى المتنافسة في سوريا.[١٢٠]

وبعد أنْ أعلن الأمير فيصل بن الشريف حسين الحكومةَ العربيَّة في دمشق وبيروت، تشكّلت نتيجة لذلك في بيروت حكومةٌ عربيَّة برئاسة عمر الداعوق،[I] ورُفِعَ العلمُ العربي على دار بلديَّة المدينة في ٦ تشرين الأول ١٩١٨، وأصبحت أقضية ولاية بيروت تتبعُ لتلك الدولة العربيَّة الناشئة. وانطلاقًا من هذا الواقع الجديد، تولّى كلّ

(I) سياسي بيروتي تولّى رئاسة بلديَّة بيروت من عام ١٩٠٨ حتى ١٩٢٥، وهي السنة التي انتخب فيها نائبًا عن المدينة.

مـن محمـود الفضـل(I) ورضـا الصلـح وعبـد اللـه الخليـل(II) إدارة النبطيَّـة وصيـدا وصـور علـى التوالـي.(١٢١) كذلـك رُفِـعَ العلـمُ العربـي علـى سـرايا بعبـدا ورئيـس مجلـس إدارتهـا حبيـب باشـا السـعد.(١٢٢)

وبعـد تشـكيلِ الإداراتِ المحليَّـة، سـارت الوفـودُ علـى اختلافاتهـا باتجـاهِ دمشـق مؤيـدةً الحكومـةَ العربيَّـة فيهـا، وكان فـي أعضائهـا شـيعة، كتلـك التـي عَمِـلَ علـى قيامِهـا المرجع الشـيعي السـيد محسـن الأميـن.(III)

وبعــد ١٩ يومًــا مــن رفــعِ العلــم العربــي فــوق ســراي بيــروت دخــل الفرنســيون البــلاد بترحيــبٍ واحتفــالاتٍ مســيحيَّة. وأُلغِيَــت مهــام الحكومـة العربيَّـة خـلالَ حفـلٍ فـي بعبـدا أُقيـمَ فـي ٢٥ تشـرين الأول ١٩١٨ علــى شــرفِ القائدَيْــن الفرنســيَّين الحاكــم العســكري دو بيابــاب والمستشــار العســكري فــي لبنــان كولونــدور، بحضــورِ أعضــاءِ مجلــس الإدارة اللبنانـي، وعلـى رأسـهم حبيـب باشـا السـعد. وأبطـلَ الفرنسـيّون النفـوذ الفعلـي المسـتقلّ لإداراتِ المـدن للدلالـةِ علـى أنَّ باريـس هـي صاحبـةُ الشـأنِ فـي لبنـان وليـس فيصـل وحكومتـه العربيَّـة.(١٢٣) وبهـذا بـدأ عهـدُ الانتـداب الفرنسـي ومعـه مرحلـةٌ جديـدة مـن الصـراع بيـن أكثريَّـة مسـيحيَّة معارضـة للعروبـة ومؤيّـدة لـه وأخـرى إسـلاميَّة تدعـمُ العروبـةَ والالتحـاقَ بالوحـدة السـوريَّة كخطـةٍ نحـو الوحـدةِ العربيَّـة الشــاملة.(١٢٤)

(I) محمود الفضل: من آل الفضل وهم فرعٌ من الأسرة الصعبيَّة التي حكمت منطقة الشقيف في جبل عامل. تولّى إدارة النبطيَّة بعد إعلان الحكومة العربيَّة في بيروت عام ١٩١٨.

(II) عبد الله الخليل: من آل الخليل العائلة الشهيرة في مدينة صور التي تعود بأصولها إلى أحد فروع آل الزّين. تولّى إدارة صور بعد إعلان الحكومة العربيَّة في بيروت عام ١٩١٨.

(III) جهاد بنوت، **حركات النضال في جبل عامل**، ص ١٩٢. أمّا السيد محسن الأمين فهو رجل دينٍ ومرجع شيعي عاملي من بلدة شقرا. يُعتبر من روّاد الإصلاحِ والوحدة الإسلاميَّة. وكان من المناوئين للفرنسيين قبل الانتداب وبعده.

٦) من فيصل إلى إعلان دولة لبنان الكبير



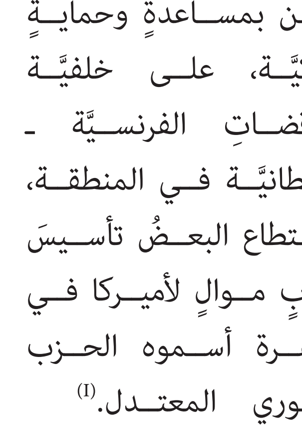
صورة الوفد اللبناني الأول إلى مؤتمر الصلح

كان عام ١٩١٩ حاسمًا في تاريخِ لبنان. ففي مؤتمر الصلح في باريس في كانون الثاني ١٩١٩، كان وفدُ مجلسِ الإدارة اللبناني برئاسة داود عمون[I] يطالبُ بالاستقلال تحت الحمايةِ والمعاونةِ الإداريَّةِ الفرنسيَّة، وبتوسيع حدودِ جبل لبنان،[١٢٥] وإنشاء مجلس نيابي يُنتَخَبُ من الشعبِ على مبدأ التمثيل النسبي حفظًا لحقوق الأقليَّة[١٢٦] في توجُّهٍ سياسي رافض للوحدة السوريَّة. وأمّا الوفدُ العربي برئاسة فيصل فكان له موقفٌ مناقضٌ يطالبُ بالاستقلال العربي السوري بزعامته وعلى شكل ديموقراطي فيديرالي.[١٢٧] وترأس سعيد حيدر[II] وفدًا من أهالي بعلبك لمقابلة الأمير في دمشق بعد عودتِه من أوروبا في ٥ أيار ١٩١٩، وأعلن هناك أنَّ أهالي بعلبك والبقاع هم رهنُ إشارته.[١٢٨]

كما ظهرَ خلال هذه الفترة وجودُ فئةٍ ثالثةٍ بموقفٍ سياسي جديد

(I) تألّف الوفد الأوّل من إميل إدّه (ماروني)، عبد الله خوري سعادة (أورثوذكسي)، عبد الحليم نجار (سنّي)، ونجيب عبد الملك (درزي). أمّا الوفد الثاني إلى مؤتمر الصلح فقد اقتصر على ستة مسيحيين، وكان الثالث برئاسة المطران عبد الله خوري وضمَّ كامل الأسعد (شيعي) وأربعة آخرين.

(II) سعيد حيدر: من الحيادرة الذين كانوا أوّل أسرة يتولّى أحد أفرادها مركز قائمقام القضاء في منطقة بعلبك بعد أنْ كان سابقًا مِنَ العثمانيّين. كان سعيد ضمن جمعيَّة «العربيَّة الفتاة» التي نادت بنيل حقوق العرب ضمن وحدة الدولة العثمانيَّة. عَمَدَ إلى إجراء مصالحة مع الأتراك عقب اندلاع الحرب العالميَّة الأولى. وكان سعيد في الجهة المقابلة لأسعد حيدر الذي كان مع الانضمام إلى لبنان الكبير.



كانـت تنـادي بالاسـتقلال ولكـن بمسـاعدةٍ وحمايـةٍ أميركيَّـة، علـى خلفيَّـة التناقضـاتِ الفرنسـيَّة ـ البريطانيَّـة فـي المنطقـة، واسـتطاع البعـضُ تأسـيسَ حـزبٍ مـوالٍ لأميـركا فـي القاهـرة أسـموه الحـزب السـوري المعتـدل.(I)



صورة لمؤتمر الصلح في فرساي

ويمكـن باختصـار القـولُ إنَّ فعاليـات جبـل لبنـان كانـت بشـكلٍ عـام مـع قيـام دولـة لبنـان الكبيـر المستقل عـن سـوريا، لكـن مع حفـظِ حقـوقِ الشـيعةِ بمـا يتناسـبُ مع تمثيلهـم النسـبي. وقـد ظهـرَ الموقـفُ الأبـرز لشـيعة الجبـل فـي الكتـاب الرسـمي الـذي قدّمـهُ مشـايخُ مقاطعـة جبيـل ومختاروهـا (٧٠ مختـارًا وشـيخًا)، وبينهـم شـيعة، إلـى الحاكـم الفرنسـي الجنـرال هنـري غـورو فـي ١١ كانـون الثانـي ١٩٢٠، وقـد طالبـوا فيـه أيضًـا بفصـل جبيـل عـن كسـروان.(١٢٩) وكذلـك تجلّـى مـن خـلال ممثِّلِهـم فـي مجلـسِ إدارة جبـل لبنـان الـذي كان أحـدَ سـبعة أعضـاءٍ رفعـوا مضبطـةً فـي ١٠ تمـوز ١٩٢٠ إلـى مؤتمـر الصلـح فـي باريـس للمطالبـةِ بالاسـتقلال التـام لدولـة لبنـان واحتجاجًـا علـى تصرفـاتِ السـلطة المنتدبـة.(١٣٠)

(I) كانت القوى المؤيدة لأميركا تضم كلاًّ من: فارس نمر، يعقوب صروف، ميشال أيوب، سعيد شقير، أنطوان مشاقة، سليمان ناصيف، نسيم صبيعة، أمين مرشان، نقولا دياب، سليم حداد، إلياس عساوي وسواهم. انظر/ي: حسان حلاق، **تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٥٢**، ص ٧٧.

أ- لجنة كينغ ـ كراين



EDITOR & PUBLISHER

1884 The Oldest Publishers' and Advertisers' Journal in America 1922

Issued every Saturday—forms closing at ten P. M. on the Thursday preceding the date of publication—by the Editor & Publisher Co., Suite 1117, New York World Building, 63 Park Row, New York City. Private Branch Telephone Exchange, Beekman 4330. Charter Member Audit Bureau of Circulations.

Copyright, 1922, by The Editor & Publisher Company, James Wright Brown, president and editor.

Vol. 55. No. 27—Second Section | NEW YORK, DECEMBER 2, 1922 | By Mail in Advance $4, U. S. A.; $4.50, Can.; $5 For. | Pages I to XXVIII

First Publication of

KING-CRANE REPORT ON THE NEAR EAST

A Suppressed Official Document of the United States Government

Editorial Note—Problems of the Near East again hold the attention of the peoples of the world, and as a result, all channels of information are flooded with propaganda that has as its source foreign interests, in many cases with selfish intent. Americans have but a limited knowledge of the hates and greeds that have repeatedly carried the peoples of the Near East into war and endangered the peace of the world. This report is founded upon impartial and thorough investigation by Americans for Americans and is presented at this time for the guidance of editors and writers.

Photo by International

Secret diplomacy won. Now it is collecting, and in the Near East millions are pleading for bread

PAGE INDEX TO SUPPLEMENT CONTENTS

Map of Turkey and Asia Minor	XXVI	General Considerations on Syrian Report	VIII	Problem of a Separate Armenia	XIV
Introduction	II, III	Recommendation for Treatment of Syria	IX	Estimates of Population of An Armenian State	XV
The Balfour Declaration on Zionism	III	Zionism	X	Problem of a Separate Constantinopolitan State	XVI
The Report Upon Syria	IV	Single Mandate for All Syria	X	Problem of a Turkish State	XVI
Population Estimates	V	The Report Upon Mesopotamia	XI	Problem of the Greeks	XVII
Summaries of Petitions Received In Syria	V	The Report Upon Non-Arabic Speaking Portions of Former Ottoman Empire	XI	Summary of the Commission's Recommendations	XVIII
Specific Requests of Syrian Peoples	VI	Pertinent Action Taken by the Peace Conference	XII	Confidential Appendix of the Commission	XX
Area under British Occupation (O.E.T.A. West)	VI	Dangers of Selfish Division and Exploitation of the Turkish Empire	XII	" " " " "	XXII
Area Under French Occupation	VII	Proper Division of the Turkish Empire	XIII	" " " " "	XXIV
Area Under Arab Occupation	VII			" " " " "	XXVI
Cilicia and Mesopotamia	VIII				

صورة لافتتاحية صحيفة انكليزية حول لجنة كينغ كراين

وفــي ١٠ حزيــران ١٩١٩ أرســلت واشــنطن لجنــة كينــغ ـ كرايــن(I) لتقصّــي الحقائــق والاطّــلاع علــى رأي الفعاليــاتِ بخصــوص تقريــر المصيــر. ووصلــت إلــى يافــا فــي ١٠ حزيــران ١٩١٩، وبعــد أنْ قامــت بتحقيقاتِهــا فــي فلســطين انتقلــت إلــى ســوريا فــي ٢٥ حزيــران. وفــي زياراتهــا فــي لبنــان وصلــت إلــى بعلبــك فــي ٤ تمــوز[١٣١] حيــث فوجئــت بحملــةٍ إعلاميَّــةٍ بيــن الأهالــي تجلّــت بتوزيــع المناشــير الداعيــةِ إلــى الاتحــاد مــع ســوريا، وكانــت عائلــةُ الحيــادرة مــن المتحمســين لهــذه الدعــوة. وأفرادهــا لــم يســتبعدوا خيــار الســلاح فــي ســعيهم لأهدافهــم المتمثلــةِ بالانضمــامِ إلــى الحكومــة العربيَّــة.[١٣٢] ومــع ذلــك فقــد تلقّــت اللجنــة ١١ عريضــة طالبــت بالالتحــاق بلبنــان الكبيــر.[١٣٣]

أمَّــا فــي جبــل عامــل فقــد كانــت العرائــضُ التــي قُدِّمــت فــي صــور وصيــدا متناقضــةً فــي طلباتهــا. فقــد تقــدَّم حســين الدرويــش ومحمــد التامــر كممثلَيْــن لأربعيــن قريــة عامليَّــة إلــى اللجنــة مطالبيــن

(I) هي لجنة عيّنَها الرئيس الأميركي وودرو ويلسون وهي برئاسة الأميركيَّيْن هنري كينغ وتشارلز كراين.

بالانضمـام إلـى لبنـان الكبيـر.(١٣٤) أمَّـا الوفـد المؤلـف مـن حوالـي مئـة عضـو برئاسـة عبـد الحسـين شـرف الديـن[I] وحسـين مغنيَّـة[II] فقـد عـرضَ الرغبـةَ العامليَّـة فـي الوحـدةِ السـوريَّة علـى أنْ يكـون علـى رأسـها فيصـل، ورفـضَ أنْ يكـونَ لأي دولـة أجنبيَّـة يـد فـي حُكـم لبنـان.(١٣٥) وكـذا طلـبَ وفـدٌ آخـر مـن السياسـيين ورجـال الديـن كان بينـه كامـل خليـل الأسـعد[III] وشـقيقه عبـد اللطيـف وعبـد الحسـين صـادق[IV] وأحمـد رضـا وغيرهـم.(١٣٦)

كذلـك كان هنـاك وفـدٌ برئاسـة إسـماعيل الخليـل[V] ممثـلًا لخمـس أو سـت قـرى، وقـد طلـب هـذا الوفـدُ الاسـتقلالَ العربـي وانتـدابَ الولايـات المتحـدة.(١٣٧)

ب - اجتماع الناصريَّة والحملة الفرنسيَّة على بعلبك

بعـد عـدّة أشـهر مـن مُهمّـةِ لجنـة كينـغ ـ كرايـن فـي بعلبـك وبعـد زيـارة قـام بهـا فيصـل إلـى بدنايـل وبعلبـك ولقائِـهِ زعمـاء البقـاع

(I) السيد عبد الحسين شرف الدين: رجل دين شيعي من جبل عامل. إلى جانب إنتاجاتهِ الدينيَّة، لعب دورًا سياسيًّا كبيرًا قبل الانتداب الفرنسي وبعده. توفّي عام ١٩٥٧.

(II) حسين مغنيَّة: مرجع ديني شيعي. انعقدت له الزعامة الدينيَّة في جبل عامل. فكان يُلقّب بشيخ الطائفة. حضر مؤتمر الحجير وكان معارضًا للانتداب الفرنسي. توفّي عام ١٩٤٠.

(III) كامل خليل الأسعد: سياسي لبناني من نسل آل علي الصغير، عايش نهاية السلطنة العثمانيَّة والانتداب الفرنسي وقيام دولة لبنان الكبير. عارض الفرنسيين بدايةً ثمَّ حالفَهم. توفّي عام ١٩٢٤.

(IV) عبد الحسين صادق: وُلد عام ١٨٦٢ في العراق حيث كان أبوه يتلقى العلوم الدينيَّة هناك. بعد عودته إلى لبنان أنشأ في بلدة الخيام مدرسة دينيَّة ثمَّ انتقل إلى النبطيَّة وأسّس فيها أوّل حسينيَّة عام ١٩٠٩. ركّز نشاطاته على إقامة الشعائر الدينيَّة. كان مقرّبًا من كامل الأسعد وعارض أوّلًا انضمام جبل عامل إلى لبنان الكبير وسافر عام ١٩١٩ إلى دمشق مبايعًا الأمير فيصل على الموت قبل أنْ يُغَيِّر رأيه لاحقًا. توفي عام ١٩٤٢.

(V) إسماعيل الخليل: سياسي من بلدة معركة قضاء صور. سُجِنَ أيام جمال باشا، ونجا من الإعدام. كان رئيس الحكومة العربيَّة في صور عام ١٩١٨.

برئاسة سعيد حيدر، عُقِدَ اجتماعٌ في قرية الناصريَّة بحضور عددٍ من أفراد العائلات المؤيّدة للأمير وكان يرافقهم مائتا مسلحٍ بزعامة يوسف مخيبر حيدر الذي راح يدعو إلى مهاجمةِ الفرنسيين في رياق وزحلة فوقَعَ الصِّدامُ في مدينة بعلبك بعد حوالي شهر من ذاك الاجتماع. وزحفت القوّاتُ الفرنسيَّة نحو إيعات ودار الواسعة،[I] وحوصر زعيما الحيادرة هناك أسعد بك وسعيد باشا.[١٣٨]

ج - مؤتمر وادي الحجير (٢٤ نيسان ١٩٢٠)

في ٢٤ نيسان ١٩٢٠، وقبل خمسة أيام من مؤتمر سان ريمو الذي أعلن الانتدابَ الفرنسي على سوريا ولبنان[II] دعا كامل خليل الأسعد المتواصِلُ مع فيصل تارةً والفرنسيين طورًا، إلى اجتماعٍ في منطقة وادي الحجير بعد لقائِهِ اثنين من قادة الثورة العربيَّة في الجولان هما سعيد العاص[III] وأحمد مريود،[IV] وقد طالباه بالانضمام إلى الثورة التي يُخطّطُ لها، فجاء ردُّهُ أنَّه في هكذا قرارٍ كبيرٍ يحتاجُ إلى جمعِ أهل الحلِّ والعقد[V] في الجبل.[١٣٩] وكذلك كان المؤتمرُ ضروريًّا

(I) تقع البلدتان اليوم في قضاء بعلبك من محافظة بعلبك ـ الهرمل.

(II) أعلن المؤتمر هذا الانتداب بحجة أنَّ هذه البلاد غير مؤهّلة للاستقلال التام وممارسة حكم نفسها ذاتيًّا بعد.

(III) سعيد العاص: سوري من كبار قادة الثورة العربيَّة الكبرى ضد العثمانيّين. ثمَّ قاوم الفرنسيّين. شارك أيضًا في ثورة فلسطين عام ١٩٣٦، وقُتِلَ في معركة الخضر في العام نفسه.

(IV) أحمد مريود: سياسي أردني شارك في الثورة العربيَّة ضد العثمانيّين. ثمَّ في الحرب على الفرنسيين. وقد قُتِلَ إبّان الثورة السوريَّة عام ١٩٢٥ في منطقة جباتا الخشب في محافظة القنيطرة السوريَّة.

(V) مصطلح إسلامي يُقصّد به الفقهاء والرؤساء ووجوه الناس الذين يُرجَعُ إليهم في الحاجات والمصالح العامة.

للتواصـل والاتفـاق مـع العصابـات(I) المسـلّحة العامليَّـة.(II) فعُقِـدَ بحضـورِ الزعامـات المحليَّـة التقليديَّـة وقـادةِ العصابـات المسـلّحة،



صورة لمؤتمر وادي الحجير

ومجموعـةٍ مـن رجـال الدّيـن والنُّخـب الثقافيَّـة المعنيَّـة بالشـأن العـام. وكانـت مواقـف كامـل خليـل الأسـعد لا تـزالُ متذبذبـةً بيـن المشـروعَيْن العربـي والفرنسـي (اللبنانـي)، بينمـا كانـت العصابـاتُ المسـلّحةُ مدعومـةً إلـى حـدٍّ مـا مـن السـيد عبـد الحسـين شـرف الديـن فـي موقـفٍ صدامـيّ مـع الفرنسـيين.(١٤٠) فالأسـعد نفسـه، وقبـل دعوتـهِ لمؤتمـر الحجيـر، كان ممثّـلًا للشّـيعة ضمـن الوفـد اللبنانـي الثالـث إلـى باريـس الـذي كان برئاسـة المطـران عبـد اللـه خـوري للمطالبـةِ بلبنـان المسـتقل بالسـهلِ والمـدن والمرافـئ التـي سـلَخَها عنـهُ الأتـراك، وبالانتـداب الفرنسـي.(١٤١) وفـي النهايـة قـرّرت الهيئـةُ العامـةُ للمؤتمـر اسـتقلالَ جبـل عامـل اسـتقلالًا داخليًّـا ضمـن الوحـدةِ السـوريَّة تحـت رايـة فيصـل، كمـا رفـض هـذا المؤتمـر الحمايـة والوصايـة.(١٤٢) ثـمَّ كلّـف السـادة محسـن

(I) العصابة لغة تعني جماعة أو زمرة أو ما شابه وكان المصطلح شائع الاستعمال وقتها ولا يعني المعنى السلبي الشائع اليوم. انظر/ي محمد بسام، **جبل عامل بين سوريا الكبرى ولبنان الكبير، ١٩١٨-١٩٢٠**، ص ٢٦٨.

(II) هي عصاباتٌ وُجِدت في منطقة جبل عامل منذ بداية الحرب العالميَّة الأولى وأفرادُها من الطيّاح والفارّين الهاربين من الخدمة في الجيش التركي، وهم الذين اعتادوا على العيش بعيدًا من المراكز القرويَّة والمدنيَّة متّكلين أحيانًا على عمليّات السلب والغارات.

الأميـن وعبـد الحسـين شـرف الديـن وعبـد الحسـين نـور الديـن[I] بنقـل المقـررات إلـى دمشـق.[١٤٣] وبخصـوصِ الموضـوع الداخلـي، فقـد شـدَّدَ المؤتمـر علـى عـدمِ التعـرّضِ للمسـيحيين فـي الجبـل إلّا مَـنْ كان منهـم مُعاوِنًـا للفرنسـيين. ولكـن مـع انتهـاء أعمالـه، كثَّفـت العصابـاتُ العامليَّـة مـن نشـاطاتها، فبـدأ الفرنسـيون بالتخطيـط لعمليَّـةٍ عسـكريَّة، فكانـت حملـة الكولونيـل نيجـر.[١٤٤]

د- الوفد العاملي عند فيصل

فـي الأول مـن أيـار ١٩٢٠ انطلـق شـرف الديـن ونـور الديـن إلـى دمشـق حيـث لاقاهمـا الأميـن للاجتمـاع بفيصـل. وبـدا أنَّ الأميـن وشـرف الديـن كانـا مختلفيَـن حـول هـدفِ الزيـارة. فـالأول كان يريـدُ استشـارة الأميـر بخصـوصِ مقاومـة الفرنسـيين فقـط، مـع الانضـواءِ تحـت رايتـه. لكـن ذلـك لـم يظهـر عنـد شـرف الديـن الـذي كان يبغـي النقـاش حـول مصيـرِ جبـل عامـل والوحـدة السـوريَّة. ووفـق روايـة الأميـن، فـإنَّ فيصـل اعتبـرَ موقـف العامليـين ضعيفًـا، وأنَّ عليهـم أنْ يلزمـوا السـكون. وبحسـب شـرف الديـن، فـإنَّ الأميـرَ أرسـلَ العتـادَ الـلازم لمواجهـة الفرنسـيين، لكنـه أُعيـد إليـه لاحقًـا بتدخُّـلٍ مـن كامـل خليـل الأسـعد الـذي كان لا يـزالُ يعـوِّلُ علـى الحـل السـلمي مـع الفرنسـيين.[١٤٥]

هـ - حملة الكولونيل نيجر

إذًا، جـرّد الفرنسـيون مـن منتصـف شـهر أيـار حملـة عسـكريَّة بقيـادة

(I) عبد الحسين نور الدين: رجل دين عاملي من النبطيَّة الفوقا. وكان أديبًا وشاعرًا. توفّي عام ١٩٥٠.

الكولونيـل نيجـر،[I] وذلـك بعـد نشـاطاتٍ كبيـرة للعصابـات الشـيعيَّة المسـلَّحة وهجمـاتٍ شـنتها علـى بلـداتٍ مسـيحيَّة راح فيهـا عـددٌ كبيـر مـن القتلـى المدنييـن[١٤٦] وتبـرؤ القـادة الشـيعة منهـا. وترافـقَ ذلـك مـع جـوٍّ مسـيحي ضاغـط يلـومُ عبـد الحسـين شـرف الديـن علـى أنَّـه المحـرِّض علـى تلـك الإغـاراتِ[١٤٧] لكونهـا تلـت مؤتمـر وادي الحجيـر.

سـارت الحملـةُ فـي طريـق السـاحلِ واسـتقرت فـي مدينـة صـور، ثـمَّ تغلغلَـت فـي الجهـاتِ الداخليَّـة من جبـل عامـل، فانكفأت العصابـاتُ نحو المرتفعـات. وانتهـت مهمـةُ الحملـةِ فـي ٥ حزيـران ١٩٢٠ بعدمـا تيقَّنَـت العصابـاتُ مـن عـدمِ طاقتهـا علـى المواجهـةِ بسـبب فـارق الإمكانيّـات.

ثـمَّ عمَـد الكولونيـل نيجـر إلـى جمـعِ الأعيـانِ ورجـال الدّيـن العامليين في صيـدا محمِّلًا الطائفـةَ الشـيعيَّة تبعـاتِ الحـوادث، ودعاهـم للتوقيـعِ علـى شـروطِ الجنـرال غـورو وإلّا اسـتَكْمَلت الحملـةُ العسـكريَّةُ أعمالهـا، وعلـى نفقـةِ العامليـن أنفُسـهم، بتحميلِهـم تأميـن الميـرة والعَلَف والمـأكل.[١٤٨]

وأصـدر الفرنسـيّون أحـكامَ إعـدامٍ غيابيَّـة بحـقِّ صـادق حمـزة[II] وأدهـم خنجـر[III] ومحمـد التامـر[IV] ومحمـود أحمـد بـزّي[V] وآخريـن،

(I) آمرُ فصيلة صور في الجيش الفرنسي.

(II) صادق حمزة: من بلدة دبعال في جنوب لبنان. رفضَ التجنيد الإجباري الذي فرضته السلطنة العثمانيَّة وفرَّ بسبب ذلك. كذلك هو أحد الذين قادوا مقاومةً ضد الانتداب الفرنسي. حضر مؤتمر الحجير عام ١٩٢٠. توفّي عام ١٩٢٦.

(III) أدهم خنجر: وُلد عام ١٨٩٠ في بلدة المروانيَّة بمنطقة الزهراني. ينتسبُ إلى آل صعب، العائلة التي كانت تحكمُ منطقة الشقيف في جبل عامل. شارك في مؤتمر الحجير وقاد حربًا مسلّحة ضد الفرنسيّين الذين أعدموه عام ١٩٢٢ في بيروت.

(IV) محمد التامر: هو ابن تامر بن حسين السلمان من آل علي الصغير. وُلد قرب صيدا عام ١٨٧١. تزوج من أخت كامل الأسعد. تولّى لفترة قائمقاميَّة مرجعيون عام ١٩١٩. وقف إلى جانب صادق حمزة وأدهم خنجر في مواجهة الانتداب الفرنسي. غادرَ إلى فلسطين إثرَ الحملة الفرنسيَّة على جبل عامل ثمَّ عاد بعد صدور العفو عنه. توفّي في صيدا عام ١٩٣١.

(V) محمود أحمد بزّي: زعيم العصابة التي كانت تُعرف باسمه قبل سيطرة الفرنسيين على جبل

وأحـكام أخـرى بالنّفـي وضبـطِ الأمـلاك علـى: كامـل خليـل الأسـعد وشـقيقه عبـد اللطيـف، محمـود سـعيد بـزي وسـواهم.[١٤٩] والنفـي كان كذلـك مصيـر عبـد الحسـين شـرف الديـن وعبـد الحسـين نـور الديـن.[١٥٠]

وهكـذا اسـتطاع الفرنسـيون، ولأسـبابٍ عديـدةٍ داخليَّـة وخارجيَّـة، أنْ يوجِّهـوا ضربـةً قويَّـة إلـى العصابـاتِ الشـيعيَّة[١٥١] بحيـثُ لـم تسـتطِع لاحقًـا التأثيـرَ فـي الأحـداث.

و- اجتماع المطلّة

بعـد حملـة الكولونيـل نيجـر كان اجتمـاعُ المطلّـة فـي ٢ آب ١٩٢٠ بيـن الفرنسـيّين وزعامـاتٍ ووجهـاءَ وشـخصيات عامليَّـة بمثابـة إعـلان موافقـة علـى توقيـعِ عرائـضِ الانضمـام إلـى لبنـان الكبيـر، حتـى مـن قِبَـلِ أعتـى الأقطـاب العروبييـن كالشـيخ أحمـد رضـا وسـليمان ظاهـر وغيرهـم.[١٥٢]

٧) إعلان دولة لبنان الكبير

فـي ١ أيلـول ١٩٢٠ أعلـن الجنـرال هنـري غـورو فـي قصـر الصنوبـر أمـام وفـودٍ كبيـرةٍ وعلـى رأسـها البطريـرك المارونـي إليـاس الحويّـك ومفتـي بيـروت الشـيخ مصطفـى نجـا قيـامَ دولـةِ لبنـان الكبيـر بالقـرار الرقم ٣١٨ بعدمـا ألغـى مـا كان مـن تنظيمـاتٍ سـابقة، وإضافـةِ مناطـقَ جديـدة[I]

عامل إثر حملة الكولونيل نيجر. غادر بعد عام ١٩٢٠ إلى الولايات المتحدة ثمَّ سيراليون. توفّي عام ١٩٤٥.

(I) ضم الجنرال غورو إلى جبل لبنان ولاية بيروت القديمة المتضمنة لأقضية صيدا وصور ومرجعيون وبيروت وطرابلس إضافة إلى أقضية حاصبيا وراشيا وبعلبك والمعلقة. انظر/ي: حسان حلاق، **تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٥٢**، ص ١٠١.



صورة إعلان دولة لبنان الكبير

إلـى جبـل لبنـان، فاصـلًا إيّـاه عـن سـوريا،[١٥٣] وقسّـمهُ إلـى ١١ محافظـة فـي كل مركـز منهـا مجلـس إدارة مؤلـف مـن سـتة أعضـاء.[١٥٤]

٨) نهاية العصابات المسلّحة

كانـت محاولـةُ الاغتيـالِ التـي تعـرَّض لهـا غـورو فـي ٢٢ حزيـران ١٩٢١ والتـي قضـى فيهـا مترجمُـه، تمَّـت مـن قِبَـلِ زعيـم إحـدى العصابـات العامليَّـة.[١٥٥] وظهـر اسـم أدهـم خنجـر كمتَّهـمٍ فاعتُقِـل فـي ٧ تمـوز ١٩٢٢ بعدمـا كان معرِّجًـا عند سـلطان باشـا الأطرش[I] فـي طريقـه إلـى الأردن، وأُعـدِمَ فـي بيـروت لاحقًـا فـي تلـك السـنة.[١٥٦]



صورة صادق حمزة وأدهم خنجر

(I) سلطان باشا الأطرش: سياسي سوري درزي. كان من زعماء الثورة العربيَّة على العثمانيّين. ثمَّ قاد الثورة العربيَّة على الفرنسيّين التي انطلقت عام ١٩٢٥. توفّي عام ١٩٨٢.

٩) الشيعة بين الكيان اللبناني والمشروع الوحدوي العربي

كما أسلفنا، تنوّعت مواقفُ شيعة لبنان بخصوص الانضمام إلى لبنان الكبير، فلم تكُنْ موحّدةً بل اختلفت بحسب الجغرافيا، وأحيانًا داخل الجغرافيا الواحدة نفسها. ولكن التوصيفَ الطاغيَ كان يضعُهم بدايةً في الجهةِ الرافضةِ للكيان اللبناني والانتداب الفرنسي، بحيث يمكن القولُ عمومًا إنَّ العنصر الإسلامي، إضافة إلى المسيحي الأورثوذوكسي، كان مناهضًا للانتداب خلافًا لذاك الماروني الموالي له.(١٥٧) وقد كان للدعاية الفيصليَّة الكبيرة، والتي كانت تسيطرُ على الجوّ العام الشيعي إثرَ الانسحاب العثماني، الدور الكبير في ذلك.(١٥٨)

وبسبب وجودِ قوّاتٍ فرنسيَّة كبيرة انتشرت في مختلف المناطق، ما لَبِثَ كثيرونَ من قادةِ شيعة جبل عامل وبعلبك ـ البقاع أنْ عدّلوا من مواقفهم.(١٥٩) مع الوقت وجدَ كثيرونَ من الشيعة المعترضين على لبنان أنَّ من مصلحتهم أنْ يُصبحوا أقليَّةً كبيرةً فيه بدلًا من أنْ يكونوا أقليَّةً صغيرةً في سوريا، وهم الذين لم يشعروا لقرونٍ سابقة بأي انتماء أو مواطنيَّة للدولة العثمانيَّة السُّنيَّة. ودعمَ ذلك التوجّه نحو لبنان الاعترافَ الفرنسي عبر المفوّض السامي هنري دو جوفنيل بـ«المتاولة» كطائفةٍ إسلاميَّةٍ شيعيَّةٍ مستقلة ومنفصلة عن الطائفة السُّنيَّة كيانًا وشرعًا وقانونًا.(١٦٠)

وبالتالي، رغم أنَّ أداءَ الزعاماتِ الشيعيَّة عامَّةً كان يتّصفُ بالتردُّدِ بخصوصِ الموقفِ بين الكيان اللبناني والمشروع السوري أو العربي، إلا أنَّه لا يمكنُ الإنكارُ بأنَّ العديدَ من الشخصياتِ الشيعيَّة، وعلى تنوّعِ مناطقها، شاركت في تأسيسِ الكيان وانخرطت في مؤسسات

لبنـان الكبيـر كمـلّاك الأراضـي يوسـف الزّيـن[I] ونجيـب عسـيران[II] وعلي نصـرت الأسـعد وصبحـي حيـدر وصبـري حمـادة[III] وسـعيد حيـدر[١٦١] وأحمـد الحسـيني[IV] كذلـك حسـين الدرويـش ومحمـد التامـر[١٦٢] وآخريـن.

وبعـد قيـام لبنـان الكبيـر فعليًّـا، وفـي الكتـابِ الـذي وجَّهَـهُ أعضـاء مجلـس الشـيوخ إلـى رئيسـه عـام ١٩٢٦، ويشـير إلـى اعترافِهـم بالأعمـال المجيـدة التـي قـام بهـا الجيـش الفرنسـي دفاعًـا عـن حـدود لبنـان، وتوطيـدًا للأمـن داخلـه، وكان بيـن الموقعيـن الممثّـل الشـيعي فـي المجلـس أحمـد الحسـيني.[١٦٣] وسـيكون لـه دورٌ فـي مختلـفِ المجالـس التمثيليَّـة والنيابيَّـة لاحقًـا.

ومـن المتردّديـن الزعيـم العاملـي كامـل خليـل الأسـعد الـذي اندمـج بعـد العـودة مـن منفـاه فـي الكيـان ووافـق علـى الانتـدابِ الفرنسـي ومـارس نشـاطهُ السياسـي ضمـن هـذا الواقـع الجديـد. ومنهـم كذلـك الشـيخ عبـد الحسـين صـادق الـذي ذهـب علـى رأسِ وفـدٍ عاملـي إلـى الجنـرال غـورو طلبًـا لضـمِّ جبـل عامـل إلـى لبنـان بعـد التوقيـع سـابقًا علـى عرائـض معاكسـة مؤيّـدة لمشـروع فيصـل.[١٦٤] وكذلـك السـيد عبـد الحسـين شـرف الديـن، فقـد مـالَ إلـى الفرنسـيّين بعـد مرحلـة المنفـى، وأصبحـت علاقتـه جيّـدة بهـم بعـد أنْ كان يسـودُها التوتّـر والاتّهامـات

(I) يوسف الزّين: سياسي لبناني عاملي، ومن أكبر الإقطاعيين. مثّل منطقة النبطيَّة في غالبيَّة الانتخابات حتى وفاته. وكان من روّاد الانضمام إلى لبنان الكبير. توفي عام ١٩٦٢.

(II) نجيب عسيران: سياسي لبناني شيعي من صيدا. تولّى مناصب سياسيَّة عديدة إبّان الانتداب الفرنسي. توفي عام ١٩٥١.

(III) صبري حمادة: ابن آل حمادة العشيرة الشهيرة في جبل لبنان والهرمل. كان أوّل رئيس لمجلس النواب بعد الاستقلال عام ١٩٤٣، وقد تولّى رئاسته لخمس مرات. توفي عام ١٩٧٦.

(IV) أحمد الحسيني: سياسي لبناني شيعي من بلاد جبيل. تولّى مناصب عديدة في عهود المتصرفيَّة والانتداب والاستقلال. توفي عام ١٩٦٣.

بسـبب تواصلـه تـارةً مـع فيصـل لغـرض الوحـدة السـوريَّة، وطـورًا مـع الأميركيّيــن لنفــس الهــدف كونــهُ كان يظنّهــم بعيديــن عــن مطامــع الاسـتعمار.[١٦٥] وهكـذا بـات الفرنسـيّون يلقّبونَـه بسـيّد صـور الكبيـر أو «سـيّد المتاولـة الكبيـر»، وصـار يـزور الحاكـم العسـكري الفرنسـي بيشـكوف لشـكرِهِ علـى تلبيتـه المسـتمرة لمطالـب الشـيعة العامليّيـن. كمـا أعلـنَ موالاتـهِ لسـلطة الانتـداب والعيـش بوئام مـع المسـيحيّين.[١٦٦] ولكـنَّ هـذا لـم يمنـع حصـولَ صراعـاتٍ بيـن الزعامـاتِ الدينيَّـةِ والنُّخـبِ المثقّفـة السياسـيَّة التـي كانـت لا تـزال متمسِّـكةً بخيـار الوحـدة.[١٦٧]

أمّـا بخصـوص تيّـار اسـتقلال جبـل عامـل التـام وتوسـيعِ حـدوده، فـكان يتزعّمـهُ عبـد اللـه يحيـى، وقـد اسـتمرَّ بعـد قيـام لبنـان الكبيـر وضـمّ جبـل عامـل لـه، لكـن تصـدَّت لـه زعامـاتٌ محليَّـة منهـا كامـل خليـل الأسـعد. وقـد خفَـتَ هـذا التيّـار بعـد الاعتـراف الرسـمي باسـتقلاليَّة الطائفـة الشـيعيَّة وبحقهـا فـي تطبيق المذهـب الجعفري عـام ١٩٢٦.[١٦٨]

وممّـن عمِلـوا مـن أجـل المشـروع العربـي بصلابـةٍ وكـدّوا فـي نشـاطهم السياسـي بهـذا الخصـوص، حتـى بعـد قيـام دولـة لبنـان الكبير، فاسـتمرّوا فـي المشـاركة فـي المؤتمـرات الوحدويَّـة مـع سـوريا، سـليمان ظاهـر، أحمـد رضـا، أحمـد عـارف الزّيـن، محمـد علـي الحومانـي[I] وغيرهـم.[II] والتحقـوا باللقـاءات التـي كانـت تُعقـدُ لهـذا الغـرض. فشـارك عديـدون منهـم فــي مؤتمـراتِ السـاحل والأقضيــة الأربعــة[III] والتــي اســتمرت

(I) محمد علي الحوماني: أديب وشاعر وُلد في بلدة حاروف عام ١٨٩٨. شارك في مؤتمر وادي الحجير وفي المؤتمرات الوحدويَّة مع سوريا رفضًا للانتداب الفرنسي وضمّ جبل عامل إلى لبنان الكبير. وكانت له مواقف إبّان نكبة فلسطين عام ١٩٤٨.

(II) وعن نشاطاتهم في هذا الخصوص، انظر/ي في الفصل الثاني من هذا البحث: **مؤتمرات الساحل والأقضية الأربعة**.

(III) سيأتي الحديث عنها في عنوان مستقل. وسميت بهذا الاسم نسبة إلى المدن الساحليَّة

بيـن عامَـي ١٩٢٠ و١٩٣٦ فـي دارة سـليم علـي سـلام[I] فـي بيـروت، كذلـك حضـروا الاجتماعـات التـي كانـت تُجـرى فـي صيـدا فـي دارة نجيـب بـك عسـيران.[١٦٩]

وفـي المقابـل، فـإنَّ أكثريَّـةَ فعاليّـاتِ منطقـة البقـاع كانـت ترفـض لبنـان الكبيـر وتطلـبُ الالتحـاق بالاتحـاد السـوري علـى قاعـدة اللامركزيَّـة. فالحيـادرة الذيـن بـرزوا بقـوّة مـع عهـد المتصرفيَّـة وتولّـوا المناصـبَ الإداريَّـة فـي منطقـة بعلبـك إلـى جانـب عائلـة مرتضـى، كانـوا أعلنـوا تأييدَهـم لدعـوة فيصـل بخصـوص قيـام حكومـة عربيَّـة تضـمُّ سـوريا ولبنـان. واسـتمرَّ سـعيد باشـا حيـدر فـي البقـاع برفضـهِ الكيـان اللبنانـي وكان يسـتغلُّ الفـرصَ المناسـبة للتعبيـرِ عـن ذلـك وبالتعـاون مـع العديـد مـن العائـلات الأخـرى مـن مختلـف الطوائـف، وتجلـى ذلـك فـي التظاهـرات التـي اندلعـت رفضًـا للنظـام الضريبـي.[١٧٠]

(طرابلس، بيروت، صيدا، صور) والأقضية الأربعة (بعلبك، البقاع، راشيا، حاصبيا) التي ضُمّت إلى جبل لبنان.

(I) سليم علي سلام: كان نائبًا في «مجلس المبعوثان». ثمَّ صار أحد أعضاء الحكومة العربيَّة الكبرى. ثمَّ ترأس مؤتمرات الساحل والأقضية الأربعة الداعية للوحدة مع سوريا ورفضًا للبنان الكبير والانتداب. توفّي عام ١٩٣٨.

الهوامش

(١) قسطنطين بازيلي، **سوريا وفلسطين تحت الحكم العثماني**، ص ٣١٨.

(٢) قسطنطين بازيلي، المصدر السابق، ص ٣١٩.

(٣) سعدون حمادة، **تاريخ الشيعة في لبنان**، ج١، ص ٣٤٢.

(٤) قسطنطين بازيلي، **سوريا وفلسطين تحت الحكم العثماني**، ص ٣٢٠.

(٥) علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، ص ٣٨.

(٦) كمال منذر، **نظام الإدارة في جبل لبنان في أثناء مرحلة القائمقاميّتين**، دراسة دكتوراه، جامعة دمشق كليَّة الآداب قسم التاريخ، ٢٠٠٠، ص ٥٤.

(٧) علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، ص ٣٨.

(٨) إسماعيل حقي بك، **لبنان: مباحث اجتماعيَّة**، ص ٢٨٦.

(٩) ستيفان وينتر، **الشيعة في لبنان تحت الحكم العثماني**، ص ٢٦٢.

(١٠) كمال منذر، **نظام الإدارة في جبل لبنان في أثناء مرحلة القائمقاميّتين**، ص ١٠٤.

(١١) إبراهيم الأسود، **تنوير الأذهان في تاريخ لبنان**، مكتبة الجامعة الأميركيَّة لبيروت، مطبعة القديس جاورجيوس، بيروت، ١٩٢٥، ج١، ص ٤٣٢.

(١٢) كمال الصليبي، **تاريخ لبنان الحديث**، دار النهار للنشر، بيروت، ط٧ ،١٩٩١، ص ٧.

(١٣) فواز طرابلسي، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، ص ٤٥.

(١٤) علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، ص ٤٤-٤٦.

(١٥) كمال منذر، **نظام الإدارة في جبل لبنان في أثناء مرحلة القائمقاميّتين**، ص ٨٦.

(١٦) علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، ص ٤٦.

(١٧) كمال منذر، **نظام الإدارة في جبل لبنان أثناء مرحلة القائمقاميّتين**، ص ٨٥.

(١٨) علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، ص٥٠-٥٢.

(١٩) أسد رستم، **لبنان في عهد المتصرفيَّة**، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٣، ص ٢٠.

(٢٠) غانية بعيو، **التنظيمات العثمانيَّة وآثارها على الولايات العربيَّة ـ الشام والعراق نموذجًا ١٨٣٩-١٨٧٦**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، السنة الجامعيَّة ٢٠٠٨-٢٠٠٩، جامعة الجزائر كليَّة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة قسم التاريخ، ص ١١٢.

(٢١) كمال الصليبي، **تاريخ لبنان الحديث**، ص ١٤٧.

(٢٢) علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، ص ٦٢-٦٤، ٦٦، ٧٠.

(٢٣) أنطوان شعبان، **العائلات اللبنانيَّة (١٦) ـ رحلة في جذور التاريخ ـ آل الأسعد**، الديار، العدد ٨٨٨١، ٢٤ تشرين الثاني ٢٠١٣، ص ١٦.

(٢٤) طوني مفرج، **موسوعة قرى ومدن لبنان**، نوبيليس، ج٧، ص ٢١٥، تاريخ الدخول: ٤ نيسان ٢٠٢٣، الساعة: ١٢:٢٠.

(٢٥) هدى رزق، **لبنان بين الوحدة والانفصال ١٩١٩-١٩٢٧**، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ص ٥١.

(٢٦) كمال منذر، **نظام الإدارة في جبل لبنان أثناء مرحلة القائمقاميّتَين**، ص ٧٧.

(٢٧) كمال الصليبي، **تاريخ لبنان الحديث**، ص ٨٨.

(٢٨) إبراهيم الأسود، **تنوير الأذهان في تاريخ لبنان**، ج١، ص ٤٣٩.

(٢٩) أسد رستم، **لبنان في عهد المتصرفيَّة**، ص ٢٢.

(٣٠) علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، ص ٧٣-٧٤.

(٣١) لحد خاطر، **عهد المتصرفين في لبنان ١٨٦١-١٩١٨**، منشورات الجامعة اللبنانيَّة، بيروت، ط١، ١٩٦٧، ص ١١؛ أسد رستم، **لبنان في عهد المتصرفيَّة**، ص ٥٠.

(٣٢) أحمد طربين، **لبنان منذ عهد المتصرفيَّة إلى بداية الانتداب**، معهد البحوث والدراسات العربيَّة، محاضرات ألقاها الدكتور طربين على طلبة قسم الدراسات التاريخيَّة، ١٩٦٨، ص ٢٣٥.

(٣٣) إبراهيم الأسود، **تنوير الأذهان في تاريخ لبنان**، ج١، ص ٥٢.

(٣٤) لحد خاطر، **عهد المتصرفين في لبنان ١٨٦١-١٩١٨**، ص ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٠.

(٣٥) تمارا الشلبي، **شيعة جبل عامل ونشوء الدولة اللبنانيَّة**، دار النهار للنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٠، ص ١٢٩.

(٣٦) علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، ص ٩٥.

(٣٧) أسد رستم، **لبنان في عهد المتصرفيَّة**، ص ٣٦.

(٣٨) عدنان ضاهر ورياض غنام، **المعجم النيابي اللبناني**، دار بلال للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٧، ص ٦٧، ١٥٨، ١٦٩.

(٣٩) أسد رستم، **لبنان في عهد المتصرفيَّة**، ص ٤٣.

(٤٠) أسد رستم، المصدر السابق، ص ٥٦-٥٧، ٨٠.

(٤١) لحد خاطر، **عهد المتصرفين في لبنان ١٨٦١-١٩١٨**، ص ١٧.

(٤٢) أسد رستم، **لبنان في عهد المتصرفيَّة**، ص ١٣١-١٣٢.

(٤٣) علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، ص٨١-٨٢.

(٤٤) لحد خاطر، **عهد المتصرفين في لبنان ١٨٦١-١٩١٨**، ص ١٩٨-٢٠٠.

(٤٥) أسد رستم، **لبنان في عهد المتصرفيَّة**، ص ١٧٧.

(٤٦) إبراهيم الأسود، **تنوير الأذهان في تاريخ لبنان**، ج١، ص ١٠٣-١٠٧.

(٤٧) لحد خاطر، **عهد المتصرفين في لبنان ١٨٦١-١٩١٨**، ص ١٨.

(٤٨) علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، ص ١٠٣.

(٤٩) أسد رستم، **لبنان في عهد المتصرفيَّة**، ص ٣٧.

(٥٠) أسد رستم، المصدر السابق، ص ٣٦-٣٧.

(٥١) علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، ص ٩٩-١٠٠.

(٥٢) علي راغب حيدر أحمد، المصدر السابق، ص ٤٠.

(٥٣) يوسف الحكيم، **بيروت ولبنان في عهد آل عثمان**، دار النهار للنشر، بيروت، ط٤، ١٩٩١، ص ٥٦.

(٥٤) أسد رستم، **لبنان في عهد المتصرفيَّة**، ص ٤٥.

(٥٥) غسان طه، **شيعة لبنان ـ العشيرة ـ الحزب ـ الدولة (بعلبك ـ الهرمل نموذجًا)**، معهد المعارف الحكميَّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ص ١٠٤.

(٥٦) غسان طه، المصدر السابق، ص ١٠٥-١٠٦.

(٥٧) غسان طه، المصدر السابق، ص ١٠٨.

(٥٨) أنطوان شعبان، **العائلات اللبنانيَّة (٢٧) ـ رحلة في جذور التاريخ آل حمادة**، الديار، العدد ٨٩٤٦، ١ شباط ٢٠١٤، ص ١٦.

(٥٩) رامز رزق، **جبل عامل تاريخ وأحداث**، ص ٣٣٠.

(٦٠) غانية بعيو، **التنظيمات العثمانيَّة وآثارها على الولايات العربيَّة ـ الشام والعراق نموذجًا ١٨٣٩-١٨٧٦**، ص ١١٥.

(٦١) علي الزّين، **فصول من تاريخ الشيعة**، دار الكلمة للنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٩، ص ١٩٠.

(٦٢) غانية بعيو، **التنظيمات العثمانيَّة وآثارها على الولايات العربيَّة ـ الشام والعراق نموذجًا ١٨٣٩-١٨٧٦**، ص ١١٦.

(٦٣) تمارا الشلبي، **شيعة جبل عامل ونشوء الدولة اللبنانيَّة**، ص ٧٥.

(٦٤) رامز رزق، **جبل عامل تاريخ وأحداث**، ص ٣٣١.

(٦٥) علي الزّين، **فصول من تاريخ الشيعة**، ص ١٨١.

(٦٦) محمد تقي الفقيه، **جبل عامل في التاريخ**، ص ٤٤٤.

(٦٧) سعد الحميداوي، **أسرة آل الأسعد ومكانتها السِّياسيَّة والاجتماعيَّة بين الأسر اللبنانيَّة**، مجلة كليَّة التربيَّة (واسط)، العدد ٣١، ٢٠١٨، ص ١٦٩-١٨٦.

(٦٨) محمد تقي الفقيه، **جبل عامل في التاريخ**، ص ٤٤٠.

(٦٩) أسد رستم، **لبنان في عهد المتصرفيَّة**، ص ٢٩.

(٧٠) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٤٥٢.

(٧١) رامز رزق، **جبل عامل تاريخ وأحداث**، ص ٣٣٣.

(٧٢) محمد جابر آل صفا، **تاريخ جبل عامل**، دار النهار للنشر، بيروت، ص ١٥٧.

(٧٣) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٤٦٤.

(٧٤) شكيب أرسلان، **مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه**، الدار التقدميَّة، المختارة، ط٢، ٢٠١١، ص ٥٥.

(٧٥) سيف أبو صبيع، **جبل عامل في العهد العثماني دراسة فكريَّة تاريخيَّة**، ص ٣٦.

(٧٦) رامز رزق، **جبل عامل تاريخ وأحداث**، ص ٣٦١.

(٧٧) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٤٦٤.

(٧٨) أنطوان شعبان، **العائلات اللبنانيَّة (١٨) ـ رحلة في جذور التاريخ (آل الأسعد)**، الديار، العدد ٨٨٨٣، ٢٦ تشرين الثاني ٢٠١٣، ص ١٦.

(٧٩) تمارا الشلبي، **شيعة جبل عامل ونشوء الدولة اللبنانيَّة**، ص ٩٤.

(٨٠) صابرينا ميرفان، **حركة الإصلاح الشيعي**، دار النهار للنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ص ٤١١.

(٨١) محمد جابر آل صفا، **تاريخ جبل عامل**، ص ١٧٦.

(٨٢) تمارا الشلبي، **شيعة جبل عامل ونشوء الدولة اللبنانيَّة**، ص٧٧-٧٩.

(٨٣) إبراهيم الأسود، **تنوير الأذهان في تاريخ لبنان**، ج٣، ص ٥٨٩.

(٨٤) تمارا الشلبي، **شيعة جبل عامل ونشوء الدولة اللبنانيَّة**، ص ٨٠.

(٨٥) جهاد بنوت، **حركات النضال في جبل عامل**، دار الميزان، بيروت، ط١، ١٩٩٣، ص ١٦٢.

(٨٦) محمد جابر آل صفا، **تاريخ جبل عامل**، ص ١٧٦-١٧٧.

(٨٧) سيف أبو صبيع، **جبل عامل في العهد العثماني دراسة فكريَّة تاريخيَّة**، ص ١١٩.

(٨٨) إبراهيم الأسود، **تنوير الأذهان في تاريخ لبنان**، ج٤، ص ٣٥٧.

(٨٩) كمال الصليبي، **تاريخ لبنان الحديث**، ص ١٩٥-١٩٧.

(٩٠) صابرينا ميرفان، **حركة الإصلاح الشيعي**، ص ٣٩٨-٣٩٩.

(٩١) محمد كوراني، حركات المقاومة عند الشيعة في جبل عامل، مقالة في كتاب **الشيعة في لبنان من التهميش إلى المشاركة الفاعلة**، لمجموعة من الباحثين، دار المعارف الحكميَّة، حارة حريك، ط١، ٢٠١٢، ص ١٢٢.

(٩٢) كمال الصليبي، **تاريخ لبنان الحديث**، ص ٢٠٢.

(٩٣) علي شعيب، **مطالب جبل عامل، الوحدة والمساواة في لبنان الكبير**، المؤسسة الجامعيَّة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٨٧، ص ٥٩.

(٩٤) علي شعيب، المصدر السابق، ص ٥٩.

(٩٥) رامز رزق، **جبل عامل تاريخ وأحداث**، ص ٣٦٢.

(٩٦) محمد جابر آل صفا، **تاريخ جبل عامل**، ص ٢١٩؛ حسن غريب، **نحو تاريخ فكري ـ سياسي لشيعة لبنان**، دار الكنوز الأدبيَّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠، ج١، ص ٢٤٧.

(٩٧) سيف أبو صبيع، **جبل عامل في العهد العثماني**، ص ٣٢١.

(٩٨) رامز رزق، **جبل عامل تاريخ وأحداث**، ص٣٦٣؛ علي شعيب، **مطالب جبل عامل، الوحدة والمساواة في لبنان الكبير**، ص ٦١؛ صابرينا ميرفان، **حركة الإصلاح الشيعي**، ص ٤٠٨.

(٩٩) علي معطي، **تاريخ لبنان السياسي والاجتماعي**، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٢، ص ٢٥٨.

(١٠٠) علي شعيب، **مطالب جبل عامل، الوحدة والمساواة في لبنان الكبير**، ص ٦١؛ صابرينا ميرفان، **حركة الإصلاح الشيعي**، ص ٤٠٧.

(١٠١) لحد خاطر، **عهد المتصرفين في لبنان ١٨٦١-١٩١٨**، ص ٢٠٤.

(١٠٢) صابرينا ميرفان، **حركة الإصلاح الشيعي**، ص ٤٠٩.

(١٠٣) جهاد بنوت، **حركات النضال في جبل عامل**، ص ١٧٦.

(١٠٤) حسن غريب، **نحو تاريخ فكري ـ سياسي لشيعة لبنان**، ج١، ص ٢٤٦.

(١٠٥) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٥٥٧.

(١٠٦) ميخائيل ألّوف، **تاريخ بعلبك**، ص ٨٦.

(١٠٧) رامز رزق، **التاريخ الحضاري والسياسي للشيعة في لبنان**، ص ٥٥٩.

(١٠٨) رامز رزق، المصدر السابق، ص ٥٦٠.

(١٠٩) زهرة الشيباني، **آل الحرفوش في بعلبك**، رسالة لنيل شهادة الماجستير، إشراف الدكتور متعب الريشاوي، جامعة المثنّى كليَّة التربية للعلوم الإنسانيَّة قسم التاريخ، العراق، ٢٠١٨، ص ٣٦٧.

(١١٠) ياسين سويد، **موسوعة تاريخ لبنان ـ القائمقاميّتين**، نوبيليس، بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ص ٤٨٢-٤٨٤.

(١١١) سعدون حمادة، **تاريخ الشيعة في لبنان**، ص ٣٦٢-٣٦٤.

(١١٢) غسان طه، **شيعة لبنان ـ العشيرة ـ الحزب ـ الدولة (بعلبك ـ الهرمل نموذجًا)**، ص ١٠٥.

(١١٣) غسان طه، المصدر السابق، ص ١٠٣.

(١١٤) سعدون حمادة، **تاريخ الشيعة في لبنان**، ج١، ص ٣٦١.

(١١٥) سعدون حمادة، المصدر السابق، ج١، ص ٣٦٧.

(١١٦) غسان طه، **شيعة لبنان ـ العشيرة ـ الحزب ـ الدولة (بعلبك ـ الهرمل نموذجًا)**، ص ٤٧-٤٨، ٥٠.

(١١٧) أدهم آل جندي، **شهداء الحرب العالميَّة الكبرى**، مطبعة العروبة، دمشق، ص ٨٦.

(١١٨) علي شعيب، **مطالب جبل عامل، الوحدة والمساواة في لبنان الكبير**، ص ٦٦.

(١١٩) **منار الهدى ـ دروس تمهيديَّة في المعارف الإسلاميَّة**، جمعيَّة المعارف الإسلاميَّة، بيروت، ط١، ٢٠١٤ ص ٨٥.

(١٢٠) تمارا شلبي، **شيعة جبل عامل ونشوء الدولة اللبنانيَّة**، ص ١٣٠.

(١٢١) رامز رزق، **جبل عامل تاريخ وأحداث**، ص ٣٦٩.

(١٢٢) حسان حلّاق، **تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٥٢**، دار النهضة العربيَّة، بيروت، ط٣، ٢٠١٠، ص ٦٠.

(١٢٣) حسان حلّاق، المصدر السابق، ص ٦٢.

(١٢٤) علي شعيب، **مطالب جبل عامل، الوحدة والمساواة في لبنان الكبير**، ص ٦٧.

(١٢٥) أنطوان الحكيم، **من متصرفيَّة الجبل إلى دولة لبنان الكبير ١٩١٤-١٩٢٠**، الدار اللبنانيَّة للنشر الجامعي، ٢٠١٨. ص ١٦١.

(١٢٦)	حسان حلّاق، **تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٥٢**، ص ٦٣.

(١٢٧)	أنطوان الحكيم، **من متصرفيَّة الجبل إلى دولة لبنان الكبير ١٩١٤-١٩٢٠**، ص ١٥٩.

(١٢٨)	غسان طه، **شيعة لبنان ـ العشيرة ـ الحزب ـ الدولة (بعلبك ـ الهرمل نموذجًا)**، ص ١١١.

(١٢٩)	علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، ص ١٢٣.

(١٣٠)	علي راغب حيدر أحمد، المصدر السابق، ص ١١٥.

(١٣١)	أنطوان الحكيم، **من متصرفيَّة الجبل إلى دولة لبنان الكبير ١٩١٤-١٩٢٠**، ص ١٦٦، ١٦٩.

(١٣٢)	غسان طه، **شيعة لبنان ـ العشيرة ـ الحزب ـ الدولة (بعلبك ـ الهرمل نموذجًا)**، ص ١١٢.

(١٣٣)	أنطوان الحكيم، **قراءة في مواقف فاعليات الطوائف من دولة لبنان الكبير**، منشورات جامعة الروح القدس، الكسليك، ٢٠٢١، ص ٢٥.

(١٣٤)	محمد بسام، **جبل عامل بين سوريا الكبرى ولبنان الكبير ١٩١٨-١٩٢٠**، دار الكوكب للتصميم والطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١١، ص ٢١٤.

(١٣٥)	نوال فياض، **صفحات من تاريخ جبل عامل في العهدين العثماني والفرنسي**، دار الجديد، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ص ٥٠.

(١٣٦)	محمد بسام، **جبل عامل بين سوريا الكبرى ولبنان الكبير ١٩١٨-١٩٢٠**، ص ٢١٥-٢١٦.

(١٣٧)	محمد بسام، المصدر السابق، ص ٢١٠.

(١٣٨)	غسان طه، **شيعة لبنان ـ العشيرة ـ الحزب ـ الدولة (بعلبك ـ الهرمل نموذجًا)**، ص ١١٢- ١١٣.

(١٣٩)	حسن الأمين، **سراب الاستقلال في بلاد الشام ١٩١٨-١٩٢٠**، دار رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(١٤٠)	أنطوان الحكيم، **من متصرفيَّة الجبل إلى دولة لبنان الكبير ١٩١٤-١٩٢٠**، ص ٢٢٤-٢٢٥.

(١٤١)	علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، ص ١١٤.

(١٤٢)	هاني فحص، **الشيعة بين الاجتماع والدولة**، دار سائر المشرق، جديدة المتن، ط١، ٢٠١٥، ص ١٥٤.

(١٤٣)	محمد كوراني، حركات المقاومة عند الشيعة في جبل عامل، مقالة في كتاب **الشيعة في لبنان من التهميش إلى المشاركة الفاعلة**، لمجموعة من الباحثين، ص ١٣٢.

(١٤٤)	جهاد بنوت، **حركات النضال في جبل عامل**، ص ٢٣٨.

(١٤٥)	صابرينا ميرفان، **حركة الإصلاح الشيعي**، ص ٤٣٢.

(١٤٦)	أنطوان الحكيم، **من متصرفيَّة الجبل إلى دولة لبنان الكبير ١٩١٤-١٩٢٠**، ص ٢٢٦.

(١٤٧)	صابرينا ميرفان، **حركة الإصلاح الشيعي**، ص ٤٢٩.

(١٤٨)	حسن الأمين، **سراب الاستقلال في بلاد الشام ١٩١٨-١٩٢٠**، ص ٢١٨.

(١٤٩)	جهاد بنوت، **حركات النضال في جبل عامل**، ص ٢٤٦.

(١٥٠)	صابرينا ميرفان، **حركة الإصلاح الشيعي**، ص ٤٣٥.

(١٥١)	محمد كوراني، حركات المقاومة عند الشيعة في جبل عامل، مقالة في كتاب **الشيعة في لبنان من التهميش إلى المشاركة الفاعلة**، لمجموعة من الباحثين، ص ١٣٥.

(١٥٢) محمد بسام، **جبل عامل بين سوريا الكبرى ولبنان الكبير ١٩١٨-١٩٢٠**، ص ٥١٠-٥١٢.

(١٥٣) حسان حلّاق، **تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٥٢**، ص ٦-٧.

(١٥٤) إبراهيم الأسود، **تنوير الأذهان في تاريخ لبنان**، ج٣، ص ١٢٤.

(١٥٥) ستيفان لونغريغ، **تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي**، دار الحقيقة، بيروت، ط١، ١٩٧٨. ص ١٥٧.

(١٥٦) علي شعيب، **مطالب جبل عامل، الوحدة والمساواة في لبنان الكبير**، ص ٩٢.

(١٥٧) ستيفان لونغريغ، **تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي**، ص ٢٥٤.

(١٥٨) أنطوان الحكيم، **قراءة في مواقف فعاليات الطوائف من دولة لبنان الكبير**، ص ٢٥.

(١٥٩) علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، ص ١٢٢.

(١٦٠) لويس صليبا، **لبنان الكبير! أم لبنان خطأ تاريخي!**، دار ومكتبة بيبليون، جبيل، ط٢، ٢٠١٦، ص ١٩٥.

(١٦١) غسان طه، **شيعة لبنان ـ العشيرة ـ الحزب ـ الدولة (بعلبك ـ الهرمل نموذجًا)**، ص ١١٣.

(١٦٢) محمد بسام، **جبل عامل بين سوريا الكبرى ولبنان الكبير ١٩١٨-١٩٢٠**، ص ٢١٠-٢١٤.

(١٦٣) محمد بسام، المصدر السابق، ص ١٣٦.

(١٦٤) نوال فياض، **صفحات من تاريخ جبل عامل في العهدين العثماني والفرنسي**، ص ٦٨.

(١٦٥) عبد الحسين شرف الدين، **بغية الراغبين في سلسلة آل شرف الدين**، دار المؤرّخ العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٦، ج٧، ص ٥٨٤.

(١٦٦) صابرينا ميرفان، **حركة الإصلاح الشيعي**، ص ٤٤٦، ٤٤٨-٤٤٩.

(١٦٧) حسن غريب، **نحو تاريخ فكري ـ سياسي لشيعة لبنان**، ج١، ص ٢٧٩.

(١٦٨) أنطوان الحكيم، **قراءة في مواقف فاعليات الطوائف من دولة لبنان الكبير**، ص ٢٨-٢٩.

(١٦٩) علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، ص ١٢١.

(١٧٠) غسان طه، **شيعة لبنان ـ العشيرة ـ الحزب ـ الدولة (بعلبك ـ الهرمل نموذجًا)**، ص ١١١-١١٣.

الفصل السادس

من لبنان الكبير إلى الاستقلال والجلاء

تأسّـس لبنـان علـى قاعـدة مجتمع طائفـي تديـرهُ سـلطةٌ طائفيَّة، وتُفَسِّـر توليفـةُ التأسـيسِ هـذه أزمـة الدولـة المعلَّقَـة بيـن مصالـح الطوائـف وتراتبيتهـا فـي سـلطة ونظـام، وذلـك نتيجـةٌ طبيعيَّـة للتنافـس الطائفـي علـى السـلطة.[١]

بالنسـبة إلـى الشـيعة الذيـن كانـوا مختلفيـن بدايـةً فـي رؤيتهـم للمشـروع المناسـبِ لهـم، فإنَّهـم عـادوا ووجـدوا أنفسَـهم أمـامَ الأمـرِ الواقـع اللبنانـي الانتدابـي مضطرّيـن للخـوضِ فـي مَعْمَعَـةِ مصالـح الطوائـفِ المتناقضـة والمدعومـة مـن الخـارج. فعملـوا علـى اختـلافِ توجّهاتهـم، مـن مؤيّديـن للبنـان، إلـى معارضيـن لـه، علـى أنْ يكـونَ لطائفتهـم مـكانٌ فـي هـذا الكيـان الجديـد، سـواء رسـميًّا بنصيبهـم فـي السـلطة، أو عبـر حقوقِهـم الطبيعيَّـة كلبنانييـن، فـي الوظائـف العامـة أو مِـن خـلال الخدمـات، وخصوصًـا بعـد أنْ نالـوا مـن الفرنسـيّين اعترافًـا رسـميًّا بهـم كطائفـةٍ حقيقيَّـةٍ موجـودة، وليـس علـى شـاكلةِ شـبهِ الاعتـرافِ العثمانـي السـابق الـذي كان ينظـرُ إليهـم كـزؤان[I] المسـلمين!

(I) رديء الطعام وغيره، الزؤان هو الذي يخالط نبات المروج.

١) نسبة السكان الشيعة في البلد الوليد

لـم يُنْـهِ إعـلان غـورو لدولـة لبنـان الكبيـر النزاعـاتِ السياسـيَّةَ فـي البـلاد وخارجهـا. وحيـن دعـا لإحصـاءِ سـكان البلـد الجديـد، كان المسـيحيون المحليّـون والمغتربـون أكثـر حماسًـا مـن المسـلمين للمشـاركة، ذلـك أنَّ جـزءًا كبيـرًا مـن المسـلمين، وانطلاقًـا مـن معارضتهـم للكيـان اللبنانـي، أحجمـوا عـن الاشـتراك فيـه.[٢]

وفـي ١٧ كانـون الثانـي ١٩٢٢ جـرى الإحصـاء، وكانـت الأرقـام متقاربـةً بيـن عمـومِ المسـلمين والمسـيحيين، مـع تفـوّقٍ ضئيـلٍ للمسـيحيين الذيـن ثـارت مخاوفُهـم مـن هـذه النتيجـة[٣]. ومـن أصـل ٦٠٩٠٥٩ شخصًا شـملهم، كان عـدد الشيعة ١٠٤٩٤٧ شـخصًا، أي مـا يعـادل نسـبة ١٧,٢٣ فـي المئـة مـن إجمالـي السـكان،[٤] وفـي المركـز الثالـث نسـبةً بعـد الموارنـة والسُّـنة.

٢) شيعة لبنان بين الانتداب والثورة السوريَّة الكبرى

اندلعـت الثـورة العربيَّـة أو السـوريَّة الكبـرى فـي ٢١ تمـوز ١٩٢٥. وكانـت شـرارتها مـن جبـل العـرب، وبقيـادة سـلطان باشـا الأطـرش، قبـل أنْ تنضـمَّ إليهـا جماعـاتٌ مـن لبنـان والأردن. وكانـت الأسـباب التي أشـعلتها متعدّدة، منهـا رفـضُ الفرنسـيين عقـد اتفـاقٍ مـع القـوى الوطنيَّـة السـوريَّة لوضـع جـدولٍ زمنـيّ للانسـحاب والاسـتقلال، إضافـةً إلـى تقسـيم البـلاد.[٥]

وامتـدّت إلـى أماكـن محـدودة مـن لبنـان فـي بعلبـك ـ البقـاع والجنوب، رغـم تداعيـاتِ الصِّـدام الفتنـوي الطائفـي. ففـي شـهر تشـرين الثانـي كانـت محاولـةُ الثـوارِ الاسـتيلاء علـى راشـيا والبقـاع لأجـلِ تهديـدِ بيروت. لكـن تمّـت السـيطرةُ الفرنسـيَّةُ علـى الوضـعِ بعـد نـزولِ تعزيـزاتٍ اسـتعادت مواقـعَ فـي جنـوب لبنان وجبل الشـيخ، ولعـدمِ تفاعلِ السـكان

المحليين بقوةٍ مع الثائرين، سواء الدروز الذين أعلنوا ولاءهم للحكومةِ الشرعيَّة وللمفوض السامي الجديد موريس بول ساراي، أو المسيحيّين الذين تهجّروا من



صورة للقاء المفوض السامي غبريال بيو
مع يوسف الزين والشيخ منير عسيران وشخصيات شيعية أخرى

كوكبا ومرجعيون وغيرها، أو الشيعة الذين صمُّوا آذانهم لاحقًا عن الدعواتِ إلى التضامن مع الثوار.(٦)

وكان لبعضِ القياداتِ الجنوبيَّة التي تعاملت مع الفرنسيين الدورُ الكبيرُ في إبقاءِ جبل عامل بمنأى عن الصِّراعِ لتجنُّبِ حصول صِداماتٍ طائفيَّة، رغم إقحام الفرنسيين فريقًا من المسيحيين فيها. ولأجل ذلك عُقِدَ اجتماع في بنت جبيل في ٤ تشرين الثاني ١٩٢٥، بحضورِ الوجهاءِ المسيحيين والشيعة، واحتضنت المدنُ والقرى الشيعيَّة الكثير من المسيحيين الوافدين إليها هربًا.(٧)

وانقسم الحيادرة في بعلبك تجاه الثورة، وحاول وجهاءُ العائلة ثَنْيَ ابن عمّهم توفيق هَوْلو حيدر، الضابط السابق في الدولة العربيَّة وصديق عبدالرحمن الشهبندر مؤسس حزب الشعب السوري، عن الانضمام إليها مع عشراتِ الأفراد. وأدَّت هذه المواقف، إضافةً إلى الضغوطاتِ المحليَّة، إلى استسلامهم لاحقًا. وكانت هذه الهزيمةُ بمثابةِ المحاولةِ الأخيرةِ من مساعي الانضمام إلى سوريا، وانكفأ الحيادرة بعدها إلى الداخلِ لترتيب أمورهم(٨) ولملمةِ تداعيات الثورة محليًّا وما ترتّب عليها من تشنّجاتٍ طائفيَّة خصوصًا مع

نهـبِ الثـوّار لمدينـة بعلبـك[٩] ومـا قامـوا بـه مـن أعمـال عدائيَّـة حيـال مسـيحييها.

وكان توفيـق هَوْلـو حيـدر أقـام علاقـاتٍ وثيقـة مـع جبـل الـدروز، فتشـكّلت عصابـات مسـلحة مـن عشـائر الهرمـل الشـيعيَّة، كالجعافـرة بزعامــة زيــن مرعــي جعفــر والدنادشــة وآل ناصــر الديــن. وكان محمـد علـي يحفوفـي[I] يتولّـى مـن بعلبـك القيـادة العسـكريَّة لتلـك الجماعــات.[١٠]

وسـعَت العصبيـاتُ الجرديَّـة إلـى توفيـرِ المسـتلزماتِ التحالفيَّـة مـع الثـورةِ التـي بدورهـا حاوَلَـت اسـتمالةَ زعمـاءِ آل حمـادة. وهكـذا وقـعَ الصِّــدام بيــن الحمَّاديّيــن والفرنســيّين فــي وادي فيســان،[II] واعتُقِــلَ القائمقـام سـعد اللـه حمـادة الـذي كان محسـوبًا علـى الفرنسـيين. ثـمَّ أنشـأت هـذه القـوى «جيـش أميـر المؤمنيـن»[III] فـي أيـار ١٩٢٦ مشـكِّلةً زعامـةً عروبيَّـةً جديـدة مناوئـةً للزعامـة الحمَّاديَّـة التقليديَّـة التــي اعتراهــا الوهــن.

لكـنَّ المواجهـةَ مـع الفرنسـيّين مـا لَبِثَـت أنْ هـدأت نتيجـة التناقضـاتِ بيــن الزعامــاتِ الحمَّاديَّــة والتضييقــاتِ الميدانيَّــة ووســائل الترغيــب والترهيـب، إضافـةً إلـى العمـل السياسـي الـدؤوب الـذي قـام بـه صبري حمـادة، النائـب فـي المجلـس التمثيلـي الثانـي[IV] الحديـث الانتخـاب، والــذي قصــد البقــاع ـ بعلبــك، لحــض النــاس علــى تأييــدِ الكيــان اللبنانــي وعــدم الانخــراط فــي الثــورة. وقــد آلَ المــآلُ فــي النهايــة

(I) محمد علي يحفوفي: دعا إلى الثورة في بلدة نحلة في جرود بعلبك.

(II) فيسان، إحدى القرى اللبنانيَّة من قضاء الهرمل في محافظة بعلبك ـ الهرمل اليوم.

(III) جيش أمير المؤمنين: هو الجيش الذي شكّلته العشائر بزعامة حسن طعّان دندش عام ١٩٢٦.

(IV) يتألف من ٣٠ نائبًا منهم خمسة نواب شيعة.


صورة زيارة المفوض السامي الكونت دو مارتيل إلى النبطية

إلـى استسـلام الثـوارِ بمفاوضـاتٍ رسـمَها حمـــادة. وهكـذا أدت الحـوادثُ التـي اندلعـت بعـد الثـورة السـوريَّة إلـى اندمـاجِ الحيـادرةِ والحمَّاديـين فـي الكيـان اللبنانـي متخلّيـن عـن فكـرة الانضمـام إلـى سـوريا.(١١)

بشـكلٍ عـام، لـم يكـن تفاعـلُ شـيعةِ لبنـان مـع الثـورة السـوريَّة كبيـرًا. وقـد اقتصـر علـى بعـض المجموعـاتِ التـي لـم تسـتطِع اسـتقطابَ الجماهيـرِ لخطابها لظـروفٍ ومشـاكل متعـددة منهـا الانقسـامُ الطائفـي والخـوفُ مـن مواجهـة الفرنسـيين نظـرًا لفـارق الإمكانيـاتِ وعـدمِ إدراكِ أبعـاد الثـورةِ السـوريَّة الوحدويَّـة.(١٢)

وكتبـت جريـدة «التايمـز» اللندنيَّـة أنَّ شـيوخ الشـيعة فـي جبـل عامـل أرسـلوا رسـائل إلـى المفـوّض السـامي موريـس بـول سـاراي يؤكـدون ولاءَهـم.(١٣) وفـي رأي سـتيفان لونغريـغ(I) صاحـب كتـاب «تاريـخ سـوريا ولبنـان تحـت الانتـداب الفرنسـي»، أنَّ هـذا الأمـر كلّـه أدّى إلـى مكافأتهـم عـام ١٩٢٦ عنـد إصـدارِ النظـامِ الأساسـي للبنـان بالاعتـراف الرسـميّ بالمذهـب الجعفـري الشـيعي وبوضعيتِهـم كطائفـة.(١٤) ففرنسـا أعطـت الشـيعة الدليـلَ علـى حُسـنِ نيَّتِهـا تجاههـم لكـي تحظـى بالمقابـل بولائهـم، وبالتالـي يتـمُّ تحييدهـم عـن الصـراع الدائـر.(١٥)

(I) ستيفان لونغريغ: مورخ وعميد في الجيش البريطاني.

٣) إعلان الجمهوريَّة ودستور ١٩٢٦ والاعتراف

فـي ظـلّ احتـدام الثـورة السـوريَّة الكبـرى رفضًـا للانتـداب ومطالبـةً بوحـدة البـلاد السـوريَّة سـاحلًا وداخـلًا، دعـا المفـوض الفرنسـي الجديـد هنـري دو جوفنيـل اللبنانيّيـن إلـى وضـعِ دسـتورٍ ومَنَحَهـم حـقَّ اختيـار حاكِمِهـم، وشـكَّلَ لجنـةً لإعـداد القانـون الأساسـي للبـلاد مـن المجلـس التمثيلـي. وقـد رفـض أعيـان المسـلمين السُّـنة بعـد اجتماعهـم فـي بيـروت المشـاركة بسـنِّ هـذا الدسـتور مؤكديـن مطالبهـم المسـتمرة بالالتحـاق بالاتحـادِ السـوري علـى قاعـدةِ اللامركزيَّـة. وكـذا فعـلَ وجهـاءُ صيـدا وطرابلـس مـن السُّـنة. كمـا وردَت إلـى المجلـس مضابـطُ مـن بعلبـك وجبـل عامـل تشـاركُ الأعيـان السُّـنة البيروتييـن والصيداوييـن والطرابلسـيين فـي مطالبهـم.[١٦]

ويُعتَبَـرُ وضـعُ الدسـتورِ بدايـةً لعهـد الجمهوريَّـة فـي ظـلّ الانتـداب، وكانـت لـه ثلاثـة أسـباب:

١- المطالبة اللبنانيَّة بالانتقال إلى مرحلة الحكم الوطني.

٢- المـادة الأولـى مـن صـكّ الانتـداب التـي ألزمـت الدولـة المنتدِبـة وضـعَ نظـامٍ أساسـي للبنـان خـلال ثـلاث سـنوات.

٣- اندلاع الثورةِ السوريَّة التي أحرجَت الموقفَ الفرنسي.[١٧]

كلّ تلـك الاعتراضـات لـم تمنـع إصـدارَ الدسـتورِ بتاريـخ ٢٣ أيـار ١٩٢٦،[I] بحضـور دو جوفنيـل، وفيـه أنَّ لبنـان دولـةٌ مسـتقلة، وأهلـهُ متسـاوون أمـام القانـون فـي المسـؤوليَّة والحقـوق، وحرياتهـم ومعتقداتهـم وإقامـة شـعائرهم الدينيَّـة مصونـة. وحُكمُـه جمهـوري،

(I) عُدِّلَ لاحقًا بتاريخ ١٧ تشرين الأول ١٩٢٧. انظر/ي: إبراهيم الأسود، **تنوير الأذهان في تاريخ لبنان**، ج٣، ص ١٩٥.

ورئيسُـه الأول لبنانـي ينتخبـه المجمَّـع النيابـي المؤلَّـف مـن مجلسَـي النــواب والشـيوخ.[١٨]

وكذلــك كـرَّسَ هــذا الدســتورُ الطائفيَّــةَ مــن خــلال المــادة ٩٥ التــي نصّـت علـى تمثيـلِ الطوائـف بصـورةٍ عادلـةٍ فـي تشـكيل الحكومـة والوظائـف العامـة.[١٩] كمـا شـكّل العنـوانَ العريـض للصيغـةِ والمجتمـعِ مــن خــلال الاعتــرافِ المتبـادلِ بالتراتــبِ الطائفــيِّ الواقعــيِّ والإقــرارِ المتبــادلِ بالتنظيــم الهــادف إلــى التشــارك علــى قاعــدة التــوازن بالغَلَبَـة،[٢٠] إضافـةً إلـى ضمانِـهِ للطوائـفِ الدينيَّـة المختلفـة احتـرام نظــام الأحــوال الشــخصيَّة والمصالــح الدينيَّــة وإنشــاءها المــدارس الدينيَّــة المختلفــة.[٢١]

وفـي ٢٦ أيـار ١٩٢٦ اختيـر الأورثوذكسـي شـارل دبـاس رئيسًـا للجمهوريَّـة وسـط اعتـراض مـن البطريـرك الحويّـك. ثـمَّ فـي ٣١ أيـار سُـمِّي المارونـي المسـتقل[I] أوغسـت أديـب رئيسًـا لمجلـس الـوزراء وشـكّل الحكومـةَ الأولـى فـي تاريـخ الجمهوريَّـة اللبنانيَّـة وعهـد الانتـداب الفرنسـي وكانت مــن سـبعِ وزارات. وتمثَّـل الشـيعة فيهـا بوزيـر الزراعـة علـي نصـرت الأسـعد، واسـتمرّت إلــى الأوّل مــن أيــار ١٩٢٧ حيــن اتّفــق المفــوض السـامي هنـري بونسـو مـع رئيـس الجمهوريَّـة علـى تكليـف المارونـي بشـارة الخـوري تشـكيل أخـرى، بينمـا عُهِـدَ إلـى الشـيخ السُّـني محمـد الجسـر[II] برئاسـة المجلـس النيابـي.[٢٢]

حمَـل عـام ١٩٢٦ تحـوّلًا نوعيًـا فـي تاريـخ الشـيعة السياسـي فـي البـلاد. فقـد أُنشـئت للمـرة الأولـى المحاكِـمُ الجعفريَّـة الشـيعيَّة[٢٣] بعدما أصدر

(I) ألّفَ حكومتَهُ من وزراء من خارج مجلسَي النواب والشيوخ.

(II) محمد بن حسين الجسر: شيخ وسياسي لبناني من وُجهاء مدينة طرابلس. وُلد عام ١٨٨١ وتوفّي عام ١٩٣٤.

المفـوّض السـامي دو جوفنيـل فـي ١٧ كانـون الثانـي قـرارًا يعتـرفُ فيـه بالشـيعةِ كطائفـةٍ دينيَّـةٍ مسـتقلة يَحكُمـون فـي مـواد الأحوال الشـخصيَّة بموجـب المذهـب الجعفـري ويتقاضـون فيـهِ أمـام قـاضٍ شـيعي.[٢٤]

اسـتقبل الشـيعة قـرارَ الاعتـرافِ بهـم كطائفـةٍ بابتهـاجٍ عـارم، وتوجّـه وفـدٌ مـن زعمائهـم الدينيّيـن والمدنيّيـن لزيـارة المفـوّض السـامي وشُـكره، كمـا امتنـعَ عـددٌ كبيـرٌ منهـم بعـد ذلـك عـن التوقيـع علـى عرائـض الوحـدة مـع سـوريا. ونجـح بذلـك دو جوفنيـل فـي تشـتيت قـوى المعارضـة.[٢٥]

وكذلـك عُيِّـنَ قاضـي صيـدا منيـر عسـيران،[I] وبوسـاطة يوسـف الزّيـن، رئيسًـا لمحكمـة التمييـز الجعفريَّـة المسـتحدَثة، بعدمـا رفضهـا كل مـن الشّـيخ حسـين مغنيَّـة والسـيّدين محسـن الأميـن وعبـد الحسـين شـرف الديـن.[٢٦] وكانـت هـذه الخطـوةُ مقدّمةً لانفصـال الأوقافِ الشـيعيَّة لاحقًا عـام ١٩٢٩ عـن إشـرافِ وإدارةِ دائرةِ الأوقـافِ التابعةِ لدار الفتوى السُّـنيَّة، بقـرارِ بونسـو الرقـم ٥٤٧٩.[٢٧] وقـد أُنيطـت بمنيـر عسـيران، كونـه أعلـى قـاضٍ جعفـري، مهمّـة تنظيـم الأوقـاف الشـيعيَّة ومراقبـة إدارتهـا، وذلـك تحـت إدارة منـدوبٍ عـامٍّ مكلّـفٍ مـن المفوّض السـامي لمراقبـة الأوقاف، فأحصاهـا وسـجّلها فـي سـجلّات المحاكـم الجعفريَّـة فـي البـلاد.[٢٨]

٤) مؤتمرات الساحل والأقضية الأربعة

رغـم فصـلِ لبنـان عـن سـوريا فـي أيلـول ١٩٢٠ وانخـراطِ العديـد مـن النُّخـب الشـيعيَّة فـي الكيـان اللبنانـي، فـإنَّ غيرهـم اسـتمرّوا فـي مشـاركتهم الوحدوييـن اللبنانيّيـن والسـوريّين فـي مطالبهـم وتأييدهـم

(I) منير عسيران: رجل دين عاملي. عارض العثمانيين وسُجِن. ثمَّ شارك في مؤتمر وادي الحجير الشهير. توفّي عام ١٩٤٧.

لوحـدة البـلاد السـوريَّة. فقـدَّم وُجهـاء المسـلمين مـن أبنـاءِ السـاحل مـن طرابلـس وبيـروت وصيـدا وصـور عـام ١٩٢٣ إلـى المفـوّض السـامي العسـكري ماكسـيم ويغـان مذكّـرة فـي هـذا الخصـوص.

فـي حزيـران ١٩٢٨، وبعـد سـنة مـن مؤتمـر بيـروت الوحـدوي المتواضـع الـذي سـعى للتعـاون مـع الفرنسـيّين مقابـل نيْـلِ الاسـتقلال، عُقِـدَ فـي دمشـق مؤتمـر أبنـاء السـاحل برئاسـة عبـد الحميـد كرامـي[I] وحضرتـه وفـودٌ مـن طرابلـس وعـكار وبيـروت وصيـدا وصـور وجبـل عامـل والبقاع وبعلبـك، إضافـةً إلـى مُشـارَكاتٍ مـن مناطـق سـوريَّة مختلفـة. والملفـت أنَّ نوّابًـا لبنانيّيـن حضـروا المؤتمـر، منهـم النائـب الشـيعي عـن البقـاع صبحـي حيـدر.[٢٩] ومـن النُّخـب الشـيعيَّة فـي المؤتمـر أيضًـا إسـماعيل الخليـل، أحمـد رضـا، أحمـد عـارف الزّيـن، محمـد الحومانـي[II] وسـعيد عسـيران عـن الجنـوب؛ ونجيـب حيـدر، لطفـي حيـدر، عبـاس ياغـي، أديـب قانصـو ومحمـد شـومان عـن البقـاع. كمـا حضـر أحمـد رضـا وسـليمان ظاهـر ومحمـد الحومانـي مؤتمـر القـدس فـي شـهر كانـون الأول ١٩٣١، وكان بدعـوة مـن مفتـي فلسـطين أميـن الحسـيني.[٣٠]

وفـي شـهر تشـرين الثانـي مـن عـام ١٩٣٣ عُقـد مؤتمـران وحدويـان، الأول فـي دمشـق فـي منـزل فـارس الخـوري، المسـيحي اللبنانـي الأصـل، ووصلـت إليـه برقيّـات تأييـدٍ مـن مختلـف المـدن السـاحليَّة،[٣١] والثانـي فـي بيـت سـليم سـلام فـي بيـروت وبرئاسـته، وشـارك فيـه أحمـد عـارف

(I) عبد الحميد كرامي: سياسي لبنان من زعماء الاستقلال. اعتقلته السلطات الفرنسيَّة في ١١ تشرين الثاني ١٩٤٣ في قلعة راشيا مع آخرين. عيّنه الأمير فيصل حاكمًا للواء طرابلس بعد جلاء العثمانيين عن البلاد. وكان من المناهضين للبنان الكبير والانتداب الفرنسي ومن دعاة الوحدة العربيَّة. توفي عام ١٩٥٠.

(II) محمد الحوماني: كاتب وأديب وشاعر عاملي. كان عضوًا في مؤتمر الحجير ١٩٢٠ كما انتخب عضوًا في مؤتمر الوحدة السوريَّة بدمشق عام ١٩٢٨. توفي عام ١٩٦٤.

الزّيـن. وطالـب المؤتمـر بتحقيـق المسـاواة بيـن مختلـف الطوائـف والمناطـق، ذلـك أنَّ معظـمَ الإنفـاقِ كان يتركـزُ فـي جبـل لبنـان، وإطـلاق الحريـات، إضافـةً للوحـدةِ مـع سـوريا،[٣٢] كمـا ضُمِّـنَ شـكاوى بخصـوص الأزمـات الاقتصاديَّـة والهيمنـة الفرنسـيَّة علـى الجمارك وجشـع الشـركات الأجنبيَّـة. وقـد اعتـرض صبحـي حيـدر علـى المقـرّرات[٣٣] ثـمَّ صـار غيـر متحمـسٍ للمؤتمـرات بشـكل عـام خصوصًـا وأنَّـه مدعـومٌ فرنسـيًّا كمـا سـنرى لاحقًـا.

وفـي ١٠ آذار ١٩٣٦، اسـتضاف سـليم سـلام فـي منزلـه في بيـروت مؤتمرًا جديـدًا. وكان للشـيعة خلالـه كلمـات ألقاهـا شـيوخهم. فقـد طالـب أحمـد عـارف الزّيـن بالوحـدة السـوريَّة التـي لا بديـل منهـا كخطـوةٍ أولـى للوحـدة العربيَّـة المنشـودة، ودعـا أحمـد رضـا إلـى إضافـة صفـة «شـاملة» إلـى كلمـة «الوحـدة». أمّـا سـليمان ظاهـر، فأكّـد أنَّهـم كرجـال ديـن، وكمـا حاربـوا التفرقـة بيـن السُّـني والشّـيعي، فإنَّهـم يتصـدّون للتفرقـة فـي القوميَّـة بيـن المسـلم والمسـيحي.

واعتـرض عـادل عسـيران[I] علـى المذكّـرة المَنْـوي تقديمُهـا للمفـوّض السـامي الكونـت دميـان دو مارتيـل معتبـرًا أنَّ الأكثريَّـة لـن تقبلهـا ورفَـضَ التوقيـع عليهـا.

ويمكـن القـول إنَّ مؤتمـر السـاحل والأقضيـة الأربعـة عـام ١٩٣٦ تنازعتـه عـدّة مواقـف سياسـيَّة. وقـد كان الشـيعة فيـه مقسـومين بيـن اتجاهَيْـن فيـه: إسـلامي وحـدوي مثـل الشـيوخ الزّيـن ورضـا وظاهـر وغيرهـم، وإسـلامي معتـدل فـي موضـوع الوحـدة تقدمـه عسـيران.[٣٤]

(I) عادل عسيران: من مواليد صيدا عام ١٩٠٥، سليلُ عائلة تعاطت السياسة منذ القرن السابع عشر. توفّي عام ١٩٩٨.

٥) احتكار التبغ والمقعد النيابي الشاغر

منحـت الدولـةُ العثمانيَّـة عـام ١٨٨٣ حـقَّ احتـكار إنتـاج التبـغ فـي مختلـف أراضيهـا إلـى شـركة فرنسـيَّة لمـدة ٥٠ عامًـا.[٣٥] وبينمـا كان المزارعـون يأملـون فـي التخلّـصِ مـن الاحتـكار، أصـدر دو مارتيـل فـي ٣٠ كانـون الثانـي ١٩٣٥ قـرارًا بمنـح شـركةٍ فرنسـيَّة، «الريجـي»، حـقّ اسـتثمار التبـغ اللبنانـي لربـع قـرن. وكان ذلـك يتعـارضُ مـع المصالـحِ الاقتصاديَّـة للبنانييـن. وأدّى إلـى صِدامـاتٍ سياسـيَّةٍ وأمنيَّـة عسـكريَّة متنوّعـة، حتـى مـع مَـنْ كانـوا يُعتبـرون مـن أصحـابِ العلاقـاتِ الجيّـدة مـع الفرنسـيّين كالبطريـرك المارونـي أنطـون بطـرس عريضـة،[I] كـون البطريركيَّـة والرهبانيـات المارونيَّـة تتملـك أراضِـيَ تَبْغِيَّـة كبيـرة فـي ذلـك الوقـت.[٣٦]

وكان جنـوب لبنـان يعتمـدُ بشـكلٍ كبيـرٍ علـى هـذه الزراعـة التـي بـارَت وتهـدَّدَ الوضـع الاقتصـادي للعائـلاتِ العاملـة فيهـا. واسـتفادَ الجنوبيّـون مـن موقـف البطريـرك عريضـة، فزحفـوا فـي مظاهـرةٍ إلـى بكركـي لشـكرِهِ علـى موقفـه.[٣٧] وهكـذا بـرزت ملامـحُ وعـيٍ سياسـيٍّ منظّـمٍ فـي الوسـط الشـيعي، مـن خـلال رفـع شـعاراتٍ معيشـيَّةٍ إلـى جانـب الهـمِّ الوطنـي والوحـدوي عنـد البعـض.[٣٨]

فمـنَ الوجهـةِ القانونيَّـة، كان هـذا الاحتـكارُ يتعـارضُ مـع الانتـدابِ ومـع قـرار ٢ كانـون الثانـي ١٩٣٤ الـذي لا يُعطـي الموافقـةَ علـى أيّ امتيـازٍ لاسـتثمار ثـروة طبيعيَّـة إلا بموجـب قانـون، ولمـدَّةٍ زمنيَّـة محـدّدة. وأمّـا مـن الناحيـة العمليَّـة، فإنَّـه كان تدبيـرًا مسـتحدثًا لـم يعرفْـهُ لبنـان قبـلُ ويضـرُّ بالزراعـة والصناعـة والتجـارة واليـد العاملـة، وكان أيضًـا متعسّـفًا

(I) أنطون بطرس عريضة: البطريرك الماروني الـ٧٣ من عام ١٩٣٢ حتى وفاته عام ١٩٥٥. وهو من بشري بشمال لبنان.

بحقّ السكان ويستنزِفُ البلاد في خدمة الاحتكار الأجنبي.[٣٩]

في نفس الفترة توفّي النائب الشّيعي فضل الفضل، وكان الفرنسيّون ومَنْ معهم يؤيّدون ترشيحَ ابنه لخلافته في المقعد، بينما معارضوهم يدعمونَ عبد اللطيف الأسعد. ونجح الفضل الابن وسط اعتراض منافسهِ على النتيجة. فظهرت حركةُ احتجاجٍ قويَّةٍ في بنت جبيل وهوجمت «الريجي».[٤٠]

صورة أحد ضحايا انتفاضة التبغ عام ١٩٣٦

وحصلت انتفاضةٌ جديدة على الفرنسيين في بنت جبيل عام ١٩٣٦، وذلك بعدما نظَّمَ أحد الأعيان، واسمه علي بيضون، عريضةً بالاتفاق مع المطران بولس بطرس المعوشي لرفعِ سعر التبغ، فتمَّ اعتقالهُ وغيره من الموقّعين على الوثيقة وسط إضراباتٍ وفوضى سقطَ ضحيَّتُها ثلاثة مواطنين جنوبيّين. وسيق المعتقلون إلى صيدا ومنها إلى سجن الرمل في بيروت لإبقائهم بعيدين من الجماهير. ثمَّ أفرجَ الفرنسيّون عنهم بعد حوالي شهر منعًا لتفاقم الأزمة.[٤١] وكان الشيخان أحمد عارف الزّين وموسى شرارة[I] ومعهما عادل عسيران اعتُقِلوا لفترةٍ على نفسِ الخلفيَّة بعدما توسّعت ردّاتُ الفعل الشعبيَّة إلى مناطق أخرى في الجنوب.[٤٢] وعُقِد في بلدةِ الطّيبة مؤتمرٌ للأعيان العامليّين دعمًا لانتفاضة

(I) الشيخ موسى شرارة: وُلد في بنت جبيل عام ١٩٠٧. اعتُقِل على خلفيَّة أزمة التبغ في الجنوب عام ١٩٣٦. تولّى منصب الإفتاء في الأربعينيات وبقي مفتيًا في الهرمل إلى حين وفاته عام ١٩٩٨.

بنت جبيل،[٤٣] والتي كان قادتُها من الشبّان المستائين من الزعاماتِ التقليديَّة ومواقفها المؤيّدة للانتداب.[٤٤]

وفي ٢٢ أيار ١٩٣٧ رفعَ رؤساءُ الطوائف الدينيَّة الإسلاميَّة والمسيحيَّة في الجنوب برقيَّةً إلى عصبة الأمم في جنيف تطالبُ بإلغاءِ احتكارِ التبغ كونه سَلَبَ من الشعب آخِرَ مصدرٍ معيشيٍّ له.[٤٥]

وهكذا يُمكنُ القول إنَّ انتفاضة التبغ عام ١٩٣٦ في الجنوب اللبناني طرحَت إمكانيَّةَ توصيلِ مصالح مشتركة بين الشيعة الجنوبيّين ولاعبين آخرين على المسرحِ الوطني اللبناني، وهم لم يكونوا أدركوا حتى ذلك التاريخ إمكانيَّةَ القيام بعمل وطني مشترك.[٤٦]

٦) آخر المؤتمرات الوحدويَّة



صورة زيارة وفد عاملي لرياض الصلح
بعد عودته من مؤتمر باريس ١٩٣٦

على وقعِ المفاوضات السوريَّة الفرنسيَّة، عُقِدَ في ٥ تموز ١٩٣٦ مؤتمرٌ في صيدا حضرَت فيه مدن طرابلس وصيدا وصور ومرجعيون والنبطيَّة وبنت جبيل، وقاطعَهُ ممثلون لمسلمي بيروت. وطالب المجتمعون بالوحدة السوريَّة والاستفتاء النزيه. وكانت مقاطعةُ بيروت محلَّ انتقاد، واعتبرها الشيخ أحمد عارف الزّين ضربةً للوحدويّين كون بيروت للبنان كدمشق بالنسبة إلى سوريا. وشارك في المؤتمر، إلى جانبِهِ الشخصيّات الشيعيَّة الوحدويَّة أحمد رضا وسليمان ظاهر وسواهما.[٤٧]

٧) المعاهدة اللبنانيَّة الفرنسيَّة

عـام ١٩٣٦ دفـعَ القلـقُ فـي أوروبـا، مـع تحدّيـات الفاشسـتيَّة فـي إيطاليـا والنازيـة فـي ألمانيـا، دولَ الانتـدابِ لتحسـين علاقاتهـا بالبلـدان المنتدَبَـة.[٤٨] فـي ١٩ أيلـول أُبرمـت المعاهـدةُ السـوريَّة الفرنسـيَّة، وقَبِـلَ السـوريون بالطروحـات الفرنسـيَّة ووقّعـوا معاهـدةً حلَّـت محـلّ الانتـداب وكانـت تكريسًـا لنشـوء الجمهوريَّـةِ اللبنانيَّـة بحيـث فرضـت أمـرًا واقعًـا جديـدًا بتخلّـي السـوريّين عـن الأراضـي اللبنانيَّـة التـي كانـت تسـعى لضمّهـا إليهـم. وفُتِحـت مفاوضـات لبنانيَّـة فرنسـيَّة اسـتوحيت مـن مضمـون المعاهـدة السـوريَّة الفرنسـيَّة.[٤٩]

وقبـل توقيـع المعاهـدةِ اللبنانيَّـة الفرنسـيَّة، حصـلَ الانقسـامُ بخصوصهـا بيـن مختلـفِ الأطيـاف، وداخـل الطائفـة الشـيعيَّة، وخصوصًـا فـي جبـل عامـل حيـث كان الخـلافُ الأشـد. ففـي ١٣ تشـرين الأول ١٩٣٦ تلقّـى المفـوّض السـامي الفرنسـي دو مارتيـل برقيَّـةً مـن مفتـي صـور محمـد جـواد شـرف الديـن، ابـن السـيد عبـد الحسـين شـرف الديـن، وفيهـا العديـد مـن التواقيـع تُشـيرُ إلـى دعـمِ سـكّان جبـل عامـل لوجـود لبنـان بحـدودِهِ الحاليَّـة. وفـي ٢٩ تشـرين الثانـي، وبعـد إقـرار المعاهدة، أرسـلَ شـرف الديـن تواقيـع أخـرى مـن صـور وبرقيَّـةً ثانيـة تسـتنكرُ تصرّفـات الزعمـاء العامليّيـن المعارضيـن للبنـان الكبيـر، مطالبًـا برفـع التوصيـات إلـى وزارة الخارجيَّـة الفرنسـيَّة وعصبـة الأمـم. وكذلـك وُجّهـت كتابـاتٌ مشـابهة مـن قـرى شـيعيَّة فـي إقليـم التفـاح. وقـد ردَّ عليهـا أحـد دعـاة الوحـدة الناشـطين الشـيخ سـليمان ظاهـر، ونُظّمـت تظاهـراتٌ مناوئـةٌ فـي العديـد مـن المناطـق، منهـا بنـت جبيـل حيـث وُصِفـت الشـخصيّاتُ الشـيعيَّة الإقطاعيَّـة والدينيَّـة مـن دُعـاةِ الكيـان اللبنانـي بالمُتخلِّفـة.[٥٠]

وكان أحمـد الأسـعد[I] ضمْـنَ وفـدٍ ذهـب إلـى بيـروت لمقابلـة المفـوض السـامي الفرنسـي للاعتـراض علـى المعاهـدةِ وسياسـة الانتـداب.[٥١]

والواقـع أنَّ اعتـراضَ الفئـاتِ المختلفـة، وبينهـا شـيعة، علـى المعاهـدة كان ينطلـقُ مـن عنـوانِ العدالـة. فـكان هـؤلاء يُنـادونَ بالمسـاواة، فـلا تكـون عليهـم الواجبـات، بينمـا لغيرهـم المنافـع.[٥٢]

وكان المجلـسُ النيابـي اللبنانـي ناقـشَ فـي ١٥ تشـرين الأول ١٩٣٦ مشـروعَ المعاهـدة اللبنانيَّـة الفرنسـيَّة والمفاوضـات التـي قامـت بهـا اللجنـةُ النيابيَّـة برئاسـة بشـارة الخـوري، وتمثَّـل فيهـا الشـيعةُ بنجيـب عسـيران عضـوًا. وقـد اعتبـر البعـضُ أنَّ الوثيقـة خطـوةٌ فـي طريـق اسـتقلال لبنـان وكرامتـه، واعتـرض آخـرون خوفًـا مـن أنْ تكـونَ المناصـبُ والوظائـف حكـرًا علـى اللبنانيّيـن «الأقحـاح»[II] مـن سـكّانِ جبـل لبنـان.[٥٣]

بموجـب المعاهـدة اعترفت فرنسـا باسـتقلال لبنـان وتعهّدت بمسـاعدته للانضمـام إلـى عصبـة الأمـم كدولـة مسـتقلة، مـع تواجـدِ جنود فرنسـيّين فيـه، وتمثيلهـا إيـاه في الشـؤون الخارجيَّـة والعسـكريَّة.[٥٤]

فــي ٢٣ تشــرين الأول انعقــد مؤتمــرٌ إســلامي فــي منــزل عمــر بــك بيهـم،[III] بوجـود حوالـي ٤٠٠ شـخص، وكان مـن ضمـن الحضـور شـيعيًّا الشـيخان أحمـد عـارف الزّيـن وأحمـد رضـا وعلـي بـزي. وتقـدَّم المؤتمـرُ بمذكـرة إلـى دو مارتيـل اعترضـت علـى عـدم إشـراك الوحدويّيـن فـي

(I) أحمد الأسعد: سياسي شيعي عاملي سليل أسرة آل علي الصغير. انُتخب نائبًا لأكثر من دورة وترأس المجلس النيابي بين عامَي ١٩٥١ و١٩٥٣. وعُيِّنَ وزيرًا في حكومات عدة. ناهضَ الفرنسيّين طلبًا للاستقلال ودعَم الفلسطينيين فقصفَ الاسرائيليونَ دارته في بلدة الطيبة. كما أيّد قيام الجمهوريَّة العربيَّة المتحدة.

(II) يُقْصَدُ بهم سكان متصرفيَّة جبل لبنان.

(III) عمر بك بيهم: من أعيان بيروت وكبار التجّار فيها، تولّى مناصب عديدة فيها إبّان الحقبة العثمانيَّة.

المفاوضات، كما نادت بالاتحادِ مع سوريا وإقرار اللامركزيَّة وضمان حصصِ الطوائف في الحقوق والواجبات.(٥٥)

وافق المجلس النيابي اللبناني على المعاهدة في ١٧ تشرين الثاني وصادقَ عليها دون اعتراضٍ شيعي بارز(I) بعدما وقّع عليها رئيس الجمهوريَّة إميل إدّه والمفوض السامي. وجرى كل ذلك وسطَ إضرابٍ في بيروت وبعض المناطق. غير أنَّ لجنةَ الخارجيَّة في البرلمان الفرنسي لم تقِرَّ المعاهدةَ بسبب ضغطِ العسكريين الذين اعتبروا أنَّها لا تؤمّنُ العلاقات الدوليَّة في أوروبا. وهكذا سقطت في مهدها، وهي لو طُبِّقت لكانت القوات الفرنسيَّة بقيت في البلاد إلى عام ١٩٦١، بينما تمَّ الجلاء عام ١٩٤٦.(٥٦)

وكنتيجةٍ للمعاهدة، التحقَ كثيرٌ من النخب والأعيان الشيعة الوحدويّين بِرَكبِ لبنان الكبير كأحمد الأسعد والشيخ حسين مغنيَّة وغيرهما.

٨) نشأة الأحزاب السياسيَّة

تميّزت الثلاثينيات من القرن العشرين في لبنان بظهورِ الأحزاب السياسيَّة العلمانيَّة والطائفيَّة، من الحزب السوري القومي الاجتماعي، الذي أسسه أنطون سعادة عام ١٩٣٣ وكان في مطلعِ عهدهِ جمعيَّةً سريَّة قبل أنْ يتحوّل عام ١٩٣٥، إلى تنظيمٍ علني ينادي بالأمةِ السوريَّة الواحدة ضمن حدودها الطبيعيَّة. وكذلك نشأ حزبا الكتائب اللبنانيَّة ذي الوجه المسيحي عام ١٩٣٦، والنجّادة السُّني العروبي عام ١٩٣٣. وتزامنًا قام حزبا الكتلة الوطنيَّة برئاسة

(I) للمزيد انظر/ي: محاضر مجلس النواب اللبناني، الدور التشريعي الثالث في العقد الاستثنائي الثالث في الجلسة الثانية المنعقدة في يوم الثلاثاء في ١٧ تشرين الثاني سنة ١٩٣٦.

إميـل إدّه،(I) والكتلـة الدسـتوريَّة بزعامـة بشـارة الخـوري. وقبـل ذلـك تأسّـس فـي بيـروت الحـزب الشـيوعي عـام ١٩٢٤.(٥٧)

ولـم تتأسّـس أحـزابٌ شـيعيَّة صـرف لأنَّ الظـروفَ لـم تكـن مؤاتيـةً لنشـوئها كـون الحالـةِ الجماهيريَّـة كانـت أشـدَّ ارتباطًـا بالزعيـم مـن الأحـزاب، فاكتفـت الزعامـات التقليديَّـة الشـيعيَّة بذلـك، لينخرطَ الشـبابُ الشـيعي فـي الأحـزاب الموجـودة. ففـي مطلـع الثلاثينيـات وُلـدت أوّل خليَّـةٍ شـيوعيَّة فـي بعلبـك كان مـن أبـرز أعضائهـا حسـن قانصـو.(II) وفـي نفـس الفتـرة أسّـس إبراهيـم بـزي أوّلَ منظّمـةٍ للحـزب الشـيوعي فـي بنـت جبيـل، وقـامَ فـرعٌ لحـزب الوحـدة السـوريَّة فـي صـور علـى يـد رائـف حـلاوي ورائـف بيطـار وغيرهمـا. وتزامـن ذلـك مـع تغلغـلِ الحـزبِ السـوري القومـي الاجتماعـي فـي صـور والنبطيَّـة وبعلبـك والهرمـل، وانضـمَّ إليـه أحمـد عـارف الزّيـن وعـادل عسـيران. كمـا دخلت بعـض النُّخـب الشـيعيَّة الجنوبيَّـة والبقاعيَّـة إلـى حـزب النجـادة كعلـي بـزي وزهيـر عسـيران ومحمـد صفـي الديـن(III) وشـفيق مرتضـى ومحمـد ياغـي، وكان للحـزب فـرعٌ فـي بلـدة الوردانيَّـة الشـيعيَّة فـي إقليـم الخـروب، كمـا اتخـذ مقـرًّا لـه فـي بعلبـك فـي منـزل النائـب صبحـي حيـدر. وكذلـك تأسّـس فـي بنـت جبيـل فـرعٌ لحـزب الكتائـب بمبـادرة أشـخاص مـن آل بيضـون.(٥٨)

ويمكــن القــول إنَّ هــذه المرحلــة كانــت منطلقًــا لــولادة الأحــزاب الشــيعيَّة لاحقًــا فــي منتصــف الأربعينيّــات.

(I) إميل إدّه: محامٍ وسياسي لبناني، رئيس الجمهوريَّة الثالث في عهد الانتداب الفرنسي. توفّي عام ١٩٤٩.

(II) اختاره الحزب الشيوعي لينضم إلى مدرسة الكوادر في موسكو عام ١٩٣٣.

(III) محمد صفي الدين: قاضٍ من صور. كان مُقرّبًا من الرئيس فؤاد شهاب وصار نائبًا في خمس دورات. توفّي عام ٢٠٠٦.

٩) المطالبة بالمساواة في الحقوق

رغـم الاعتـراف بهـم كطائفـة، إلا أنَّ الشـيعةَ ظلّـوا يُعانـون حتـى رفـعِ الظلـم الاجتماعـي والاقتصـادي.(٥٩) فعلـى اختـلاف مواقفِهـم مـن لبنـان، طالبـوا دومًـا بالمسـاواة مـع باقـي الطوائـفِ فـي مختلـف المجـالات، ومنهـا الوظيفيَّـة. فـوزارة الخارجيَّـة الفرنسـيَّة أكّـدت أنَّ الشـكاوى الوحيـدة التـي رفَعَهـا الشـيعةُ كانـت تركّـز علـى عـدمِ توفُّـرِ المراكـز التـي يشـغلُها أبنـاءُ طائفتهـم.(٦٠)

وكانـت المطالـبُ تتـمُّ عبـرَ العرائـضِ والبرقيـات فـي الصحـف المحليَّـة والعالميَّـة، وفـي المؤتمـرات والتجمّعـات. وكانـت مجلـة «العرفـان» شـبهُ الناطقـة باسـم جبـل عامـل علـى موعـدٍ دائـم مـع المطالبـاتِ والاعتراضـات، ولـو أنَّهـا كانـت تركِّـزُ علـى الجنـوب، فتتكلّـم دومًـا عـن حرمـان الشـيعة مـن الوظائـف فـي الجنـوب اللبنانـي (عـدد نيسـان ١٩٢١) وعـن حقـوق الشـيعة المهضومـة (عـدد حزيـران ١٩٢١). كمـا نشـرت الصحـفُ فـي باريـس عـام ١٩٢٣ نـصَّ برقيَّـة مرفوعـة إلـى المسـؤولين الفرنسـيّين بيـن موقّعيهـا أحمـد عـارف الزّيـن.(٦١)

فـي ٢٤ شـباط ١٩٣٣ عُقِـدَ اجتمـاعٌ فـي منـزل يوسـف الزّيـن فـي كفرّمـان بوجـود نُخَـبٍ ورجـال ديـن شـيعة ومحافـظ صيـدا ومستشـارَي صـور ومرجعيـون الفرنسـيَّين، ولفـتَ المجتمعـون إلـى هضـمِ حقـوق الشـيعة وتصامُـمِ(I) الحكومـة التـي لا تسـمع نـداءً، وطالبـوا بمشـاريع علـى صعيـد الطرقـات، إضافـةً إلـى قضايـا التعليـم والتوظيفـات.(٦٢)

وبعـد يوميـن، فـي ٢٦ شـباط، أُقيـمَ مؤتمـر فـي صيـدا فـي منـزل نجيـب عسـيران وبحضـور ١٠٧ أشـخاص مـن الأعيـان ورجـال الدّيـن الشـيعة

(I) تصامُمُ الحكومة بمعنى تشاغلها عن المطالب.

والنائبَيْـن فضـل الفضـل ورضـا التامـر. وكان ممّـا تضمّنـهُ بيانُـه الدعـوة إلـى المسـاواة، وتحقيـق مطالـب إنمائيَّـة واقتصاديَّـة وزراعيَّـة وضرائبيَّـة، وانتخـاب أحـد رجـال «العلمـاء» الشـيعة رئيسًـا دينيًّـا.[٦٣] وعـام ١٩٣٤ قـدَّم الشـيعة العرائـضَ إلـى المفـوض السـامي دو مارتيـل يشـكون فيهـا مـن تدنـي أجـور قُضاتِهـم عـن نظرائهـم السُّـنة. فرئيـسُ محكمـة التمييـز الجعفريَّـة لـم يكـن يتقاضـى راتبًـا يسـاوي مـا ينالُـه رئيـس محكمـة التمييـز الحَنَفيَّـة. وقـد اعتبـروا هـذا الإجحـافَ مهينًـا لطائفتهـم.[٦٤]

وكذلـك كان ممثلـو الشـيعة داخـل الدولـة اللبنانيَّـة يقومـون بمهامِّهـم فـي المطالبـة بحقـوق الطائفـة والمسـاواة. ففـي جلسـة مناقشـة البيـان الـوزاري فـي ٥ أيـار ١٩٢٧، عـدَّد النائـب حسـين الزّيـن واقـعَ الحرمـان الـذي عليـه الشـيعة بخصـوص الوظائـف العامـة.[٦٥] وفـي مناقشـةِ البيـان الـوزاري لحكومـة بشـارة الخـوري فـي ٥ كانـون الثانـي ١٩٢٨، احتجّ النائـب يوسـف الزّيـن علـى عـدم تمثيـلِ الطائفـة الشيعيَّة بوزيـر، وانسـحب زميلـه صبـري حمـادة مـن المجلـس اعتراضًـا. كمـا طالـبَ عبـد اللطيـف الأسـعد بتأميـن العدالـة وإعطـاء الشـيعة حقوقهـم. وناشـد يوسـف الزّيـن الحكومـة فـي ٢٢ تشـرين الأول ١٩٢٩ أنْ تنشـر التعليـم الرسـمي، مبيّنًـا الأسـباب.[٦٦] وفـي ٦ نيسـان ١٩٣٧، تحوّلـت جلسـةٌ للمجلـس النيابـي عـن مسـارها، فأثـار صبـري حمـادة موضـوع حقـوق الطائفـة الشـيعيَّة، وتحـدث عـن الـ٦ و٦ مكـرّر[I] وغيـاب التمثيل الشـيعي فـي سِـلك الجندرمـة وقتهـا.[٦٧]

وفـي مناقشـة البيـان الـوزاري لحكومـة خيـر الديـن الأحـدب فـي ٩ تشـرين الثانـي ١٩٣٧ طالـب النائـب أحمـد الأسـعد بتطبيـق العدالـة

(I) ٦ و٦ مكرّر: معادلة لبنانيَّة تنصُّ على المساواة بين الطوائف في توزيع المناصب، فلا يمكنُ تعيينُ موظف من طائفة معيّنة في دائرة ما، دون تعيين نظيره من طائفة أخرى في المقابل.

بيـن المناطـق والطوائـف أساسًـا لأعمالهـا، وبإنشـاءِ المـدارس لأنَّهـا نادرةٌ بينمـا الأميَّـة متفشـية فـي أنحـاء الجنـوب.(٦٨)

وفـي ٣ كانـون الأول، وجّـه النائـب رشـيد بيضـون برقيَّـة احتجـاجٍ إلـى دو مارتيـل علـى هضـمِ حقـوق الطائفـة بخصـوص الحصـولِ علـى الوظائـف ذاكـرًا أنَّهـا تمثِّـلُ الأكثريَّـة فـي العـدد، وطالبـهُ رفـعَ مناشـدته إلـى وزارة الخارجيَّـة الفرنسـيَّة وعصبـة الأمـم.(٦٩) ووقـع حـراكٌ شـيعي كبيـر عندمـا صـدرَ مـن جنيـف عـام ١٩٣٨ ردٌّ علـى رسـالة بيضـون يزعـمُ عـدمَ وجـودِ أكفـاء شـيعة لتولّـي المناصـب الحكوميَّـة. وكانـت البرقيَّـةُ مصحوبـةً بدعــوةٍ للدولــة اللبنانيَّــة لأنْ تفتــحَ مــدارس فــي المناطــق الشــيعيَّة ومسـاعدة تلـك الموجـودة لترفـع مـن مسـتواها كـي تسـير مـع باقـي الطوائـف اللبنانيَّـة.

ولــم تكــن مطالــب الشــيعة تُقابــل بجدّيَّــة كبيــرة علــى المســتوى الرسـمي. فمـرّةً خـرج أحمـد الحسـيني مـن جلسـة المجلـس النيابـي لأنَّ أحـد زملائـه سـخر مـن الطائفـة الشـيعيَّة أثنـاء انتخـابِ لجنـةِ التربيـةِ الوطنيَّـة.(٧٠) وفـي ١٤ كانـون الأول ١٩٣٧ غـادر نـواب الجنـوبِ الجلسـة احتجاجًـا علـى تغييـبِ حقـوق الشـيعة، وقدّمـوا مطالـبَ الطائفـةِ إلـى رئيـس الجمهوريَّـة إميـل إدّه الـذي وعدهـم بتحقيقهـا. لكـن لـم تُنجِـز الحكومتـان الثانيـة والثالثـة المنبثقتـان مـن هـذا المجلـس شـيئًا مـن الوعـود.

وعندمـا أُعيـد تكليـف عبـد اللـه اليافـي فـي ٢٢ كانـون الثانـي ١٩٣٩، تبيّـن أنَّ الشـيعة لـم يصلـوا إلـى الحـدّ الأدنـى مـن مطالبهـم، وقـد أشـار إلـى ذلـك رشـيد بيضـون الـذي لفـتَ مجـدّدًا إلـى أنَّ الطائفـة الشـيعيَّة هـي الثالثـة فـي البـلاد. وذكّـر بالمـادة ٩٥ مـن الدسـتور التـي تنـصُّ علـى تمثيـل الطوائـف بصـورة عادلـة فـي الوظائـف العامّـة وتشـكيل الـوزارة، وبـأنَّ الشـيعة مـن الأشـد إخلاصًـا للبنـان.(٧١)

وتابعــت الفاعليــاتُ الشــيعيَّة اتصالاتهــا لتعزيــز حصّــة الطائفــة مــن التعليـم. فـزار المفـوض السـامي هنـري فيرنانـد دانتـز منـزل الشـيخ منير عسـيران فـي ١٥ كانـون الثانـي ١٩٤١، وقُدِّمـت لـه مذكّـرة بالمطالـب. ثـمَّ أتبعَهـا بيضـون بتاريـخ ٢٤ نيسـان ببرقيَّـةٍ إلـى المفـوض السـامي.(٧٢)

١٠) اندلاع الحرب العالميَّة الثانية

فــي أيلــول ١٩٣٩ نشــبَت الحــرب العالميَّــة الثانيــة وكان مــن نتائجها علــى لبنـان تعليـقُ الدسـتور وحـلُّ المجلـس النيابـي وإلغـاء المناصب الوزاريَّــة، مــع اســتمرارِ رئيــس الجمهوريَّــة إميـل إدّه فـي حكمِــه دون أنْ تكـون لـه سـلطاتٌ فعليَّـة.



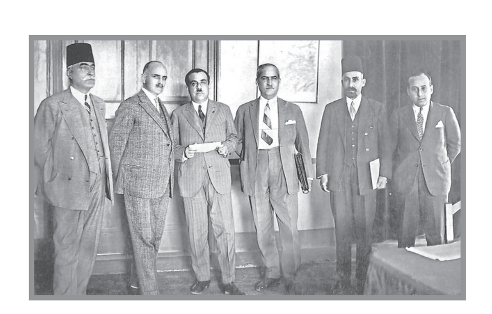
صورة لأحمد الأسعد جنب الجنرال كاترو

وبعدمــا ســقطت فرنســا فــي ٢٢ حزيــران ١٩٤٠، أصبــح لبنــان خاضعًــا لحكومـة فيليـب بيتـان الموالـية للألمـان. وقـام المفـوضُ السـامي دانتـز بتعييــن المارونــي ألفـرد نقـاش رئيسًـا للجمهوريَّـة. وبعـد انتصـارِ الحلفاء فــي لبنــان والمنطقــة فــي ١٥ تمــوز ١٩٤١، تحــوَّل الصــراعُ الدولــي فــي البــلاد نزاعًــا فرنســيًّا بريطانيًّــا.(٧٣) فقــد تســلَّم «الفرنســيون الأحــرار» شـؤون الانتـداب وعينـوا الجنـرال جـورج كاتـرو مندوبًـا سـاميًّا.(I) وسـمّى الإنكليـز إدوارد سـبيرز ممثّـلًا لهـم، وهـو لعـب دورًا كبيـرًا ضـد السياسـة الفرنسـيَّة فــي لبنــان وســوريا.(٧٤)

(I) المندوب السامي الفرنسي هو لقب «المفوّض السامي للجمهوريَّة الفرنسيَّة في سوريا ولبنان» بعد حزيران ١٩٤١.

١١) الاستقلال والجلاء

في ظلِّ مطالبةِ اللبنانيين المستمرة بالاستقلال، كان الإنكليزُ يستغلون الوضع ويشجِّعون الناسَ على مواجهة النفوذ الفرنسي الذي أصابه الوهن نتيجة الحرب العالميَّة الثانية.



صورة لأحمد الحسيني جنب الرئيس إميل إده

وفي ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤١ أعلن كاترو استقلالَ لبنان بحضور الرئيس ألفرد نقاش. كما أعلمَ الجنرال شارل ديغول مندوبي الدول بهذا الاستقلال بمذكرةٍ إلى عصبة الأمم يدعو فيها إلى الاعتراف به.[٧٥] وعُقِد مؤتمرٌ في بكركي ليلة الميلاد، وطالب المجتمعون بعودةِ الدستور وإجراء انتخابات لتشكيل حكومةٍ تعمل على تحقيقِ استقلالٍ فعلي، ولكن تنصَّل الفرنسيون متذرعين بظروف الحرب العالميَّة. وفي ١٨ آذار ١٩٤٣ أقال المفوض السامي نقاش وأعادَ العمل بالدستور وعيَّن البروتستانتي أيوب تابت رئيسًا مؤقتًا لوضع قانونٍ انتخابي جديد، ووقع الخلاف على توزيع مقاعد النواب.[٧٦]

وفي ١٧ حزيران ١٩٤٣ أصدر تابت مرسومَين تشريعيين حدَّد في الأول، ورقمه ٤٩، عددَ النواب بـ٥٤ عضوًا، ٣٢ منهم مسيحيون بينهم ١٨ للموارنة، و٢٢ مسلمًا بينهم ٩ للشيعة. كان هدفُه تسجيل المهاجرين اللبنانيّين، ومعظمُهم من المسيحيّين، لإعطائهم حقوق المقيمين. بينما تعلَّق الثاني، الرقم ٥٠، بتوزيع زيادةِ عددِ النواب على المناطق الانتخابيَّة. وقد استثار المرسومان الطوائفَ الإسلاميَّة لأنَّها رأت أنَّ من أهدافهما طبع لبنان بصبغة طائفيَّة مسيحيَّة، واعتبار باقي الطوائف بمثابة أقليّات. ودافعَ البريطانيّون عن حقوق

المسـلمين ولـم يوافقـوا علـى المرسـومَين.[٧٧]



صورة لأحمد الحسيني برفقة إميل إده أمام سراي بعبدا

وفـي ٢١ حزيـران عُقِـدَ مؤتمـرٌ للطوائـف الإسـلاميَّة فـي بيـروت للبحـث فـي قضيَّـة المرسـومَيْن وشـاركت فيـه وفـودٌ مـن مختلـف المذاهـب ومـن جميـع المناطـق بمـا فيهـا الجنـوب والبقـاع. وألقـى الشـيخ سـليمان ظاهـر كلمـةً أعلـن فيهـا تضامـن الشـيعة مـع إخوانهـم باقـي المسـلمين فـي كل مـا يقـرِّرُه المؤتمـر.[٧٨] وطالـب المجتمعـون بإلغـاء المرسـومَيْن وإجـراءِ إحصـاءٍ شـامل جديـد وانتخابـاتٍ علـى أساسـه. ولوّحـوا بأنَّـه فـي حـال عـدم تحقيـقِ مطالبهـم، فإنَّهـم سينشـدون الفديراليَّـة، وإعـادة المناطـق الأربـع التـي ضُّمـت إلـى لبنـان عـام ١٩٢٠ إلـى سـوريا، ووضْـع لبنـان تحـت سـيطرة دوليَّـة، وجعـل بيـروت مرفـأً حـرًّا.[٧٩]

وبحسـبِ تقريـرٍ بريطانـي سـرّي مُرسـل فـي ١٧ تمـوز ١٩٤٣ مـن المفوضيَّـة البريطانيَّـة فـي بيـروت إلـى وزارة الخارجيَّـة فـي لنـدن أنَّ رئيـس الـوزراء العراقـي نـوري السـعيد قـال خـلال لقـاءات له فـي بيروت مـع الزعمـاء المسـلمين، إنَّ الفرنسـيّين يحاولـون اسـتمالةَ الشـيعة إلـى جانبهـم، لكنـه نَقَـلَ عـن مفتـي صـور محمـد جـواد شـرف الديـن أنَّ زعمـاءَ الشـيعةِ لـن يخرجـوا عـن الموقـف الإسـلامي العـام.[٨٠]

ونتيجـةً لتـردّي الوضـع السياسـي العـام فـي البـلاد، أقـالَ المنـدوب السـامي الفرنسـي جـان هللـو فـي ٢١ تمـوز ١٩٤٣ أيـوب تابـت، وعَيَّـنَ مكانـه الأورثوذكسـي بتـرو طـراد. وطلـب هللـو مـن سـبيرز المشـاركة فـي حـلّ الأزمـة. وبنـاءً لتسـوية الأخيـر، أصـدر المسـؤول الفرنسـي فـي

٣١ تموز مرسومًا جديدًا حدَّدَ فيه عدد النواب بـ٥٥ نائبًا، ٣٠ مسيحيًّا بينهم ١٨ مارونيًّا، و٢٥ للمسلمين، بينهم ١٠ شيعة.[٨١]

وأُجريت الانتخابات في دورتَيْن في ٢٩ آب و٥ أيلول.[٨٢] وانعكس الصراع الفرنسي البريطاني في لبنان تدخّلاتٍ مارسها الطرفان في عمليّات الاقتراع، وخصوصًا عبر تشكيلِ اللوائح. في الجنوب كان الفرنسيّون غير مرتاحين لعادل عسيران، فرفضوا ترشيحَهُ لمصلحة نجيب عسيران قبل أنْ يتراجعوا لاحقًا بعد تدخّلٍ بريطاني، فارتأوا تشكيل لائحة قويَّة شعبيًّا برئاسة أحمد الأسعد وعضويَّة يوسف الزّين، علي عبد الله، رشيد بيضون، كاظم الخليل،[I] ومحمد الفضل. لكنَّ البريطانيّين عادوا وفرضوا عادل عسيران مكان يوسف الزّين.

وفي جبل لبنان ضغطَ الفرنسيّون على عادل الحسيني ذي التمثيل الشعبي الكبير والخبرة السياسيَّة كي يدخلَ ضمن لائحة إميل إدّه في مواجهة بشارة الخوري.

وأمّا في البقاع، فتدخّلَ الفرنسيّون عبر أيوب تابت لدى صبحي حيدر ليترشّح ضد ابن عمه إبراهيم حيدر، وحاولوا فرضَ موسى نمور على لائحة صبري حمادة. كما تواصل الفرنسيّون مع منافسِ الأخير في عائلته، سعد الله حمادة، وتمَّ إغراؤهُ بإدخالِ أخيه فضل الله ضمنَ لائحة نمور.

وكان لهذا الدّور الفرنسي البريطاني أثرٌ واضحٌ بعدم حصولِ مفاجآتٍ في نتائج الانتخابات. لكنّه كان أضعفَ في العاصمة بيروت لغيابِ العصبيّات العائليَّة ولتعدُّد الانتماءات فيها، ولكونها واجهة لبنان

(I) كاظم الخليل: سياسي شيعي عاملي. عُيِّنَ وزيرًا وانتُخِب نائبًا مرّات عدة. كان من المقرّبين إلى الرئيس كميل شمعون. توفّي عام ١٩٩٠.



مظاهرات أمام البرلمان

على العالـم ومقـر البعثـات الديبلوماسـيَّة. وانطلاقًـا مـن ذلـك، كان بيـانُ «شـباب الإصـلاح الشـيعي» الداعـم لترشـيح محسـن سـليم[I] الـذي اعتُبـر مرشـح الشـباب الشـيعي المتحـرّر مـن قيـود الزعامـة المتحجّـرة.[٨٣]

وبعدهـا احتـدم الصـراعُ علـى منصـب رئاسـة الجمهوريَّـة بيـن الكتلـة الوطنيَّـة بزعامـة إميـل إدّه ودعـم فرنسـي، والكتلـة الدسـتوريَّة بقيـادة بشـارة الخـوري بتأييـد بريطانـي. تـمَّ انتخـاب الأخيـر رئيسًـا فـي ٢١ أيلـول ١٩٤٣ بأغلبيَّـة ٢٤ صوتًـا وبغيـاب عـددٍ مـن النـواب عـن جلسـة الانتخـاب، منهـم النائـب الشـيعي عـن جبـل لبنـان أحمـد الحسـيني.

وتشـكَّلت حكومـةٌ مـن سـتةِ وزراء برئاسـة ريـاض الصلـح، وكان بينهـم شـيعي واحـد هـو الجنوبـي عـادل عسـيران. وانتُخـبَ صبـري حمـادة رئيسًـا للمجلـس النيابـي. وطبّقـت الحكومـةُ سياسـةً اسـتقلاليَّة، فلـم تـزُر

(I) محسن سليم (١٩١٨-٢٠٠٠): وُلد في حارة حريك، نال إجازة في الحقوق من معهد الحقوق في الجامعة اليسوعيَّة، مُحام مشهور، عضو في نادي الاتحاد الفرنسي وفي جمعيات أدبيَّة وعلميَّة وثقافيَّة عدّة، ترأس لجنة الدفاع عن الدستور والحريات. انتخب نائبًا عن بيروت، الدائرة الثانية، في دورة سنة ١٩٦٠. عضو لجنة الشؤون الخارجيَّة ولجنة الإدارة والعدليَّة طيلة فترة نيابته. محامي المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى منذ تأسيسه عام ١٩٦٩ حتى سنة ١٩٧٦.

الجنـرال هللـو وطالبـت بتسـلّم المصالـح مـن الفرنسـيين. وتـمَّ الاتفـاقُ شـفهيًّا علـى صيغـة سياسـيَّة عُرِفـت بالميثـاق الوطنـي محـدِّدًا معالجـة لاحقـة لمشـكلة الهويَّـة والنظـام، وذلـك بتوزيـعِ المناصـب فـي الدولـة، منهـا رئاسـةُ مجلـس النـواب للشـيعة.[٨٤] وقـد أعطـى الميثـاقُ شـرعيَّةً للواقـع الطائفـي، وأُتيحَـت للطائفـة الشـيعيَّة فرصـة تبـوء موقـعِ الشـريك الثانـوي مـن خـلال رئاسـة المجلـس النيابـي.[٨٥]

واسـتغلّت الحكومـةُ اللبنانيَّـة سـفرَ هللـو إلـى الجزائـر فقدّمـت إلـى مجلـس النـواب فـي ٨ تشـرين الثانـي ١٩٤٣ مشـروعَ تعديـل الدسـتور بمـا يتعلَّـقُ برفـعِ الانتـداب، الأمـر الـذي أغضبـهُ بعـد عودتـهِ، فألغـى التعديـلَ وعلَّـق الدسـتور وحـلَّ المجلـس النيابـي وأقال رئيـس الجمهوريَّة وأعضـاء الحكومـة ووضـع عـددًا منهـم فـي قلعـة راشـيا، وبينهـم عـادل عسـيران،[I] وكلّـفَ إميـل إدّه بصـورةٍ مؤقتـة برئاسـة الدولـة.

ونتيجـة لـردّاتِ الفعـل المحليَّـة رسـميًّا وشـعبيًّا، وعربيًّـا، ودوليًّـا خصوصًـا مـع الـدور الـذي لعبَـه سـبيرز، أرسـل الجنـرال ديغـول مسـاعده كاتـرو إلـى لبنـان فألغـى تدابيـر هللـو، وأطلـق المعتقليـن فـي يـوم ٢٢ تشـرين الثانـي ١٩٤٣ الـذي بـاتَ عيـد الاسـتقلال.[٨٦] فقـد اعتبـر ديغـول أنَّ العمـلَ الـذي قـام بـه هللـو جنونـي يضـرُّ بمصالـح فرنسـا.[٨٧]

وأثنـاء معركـة الاسـتقلال هـذه، كان الزعيـم البقاعـي صبـري حمـادة عبَّـر عـن رغبتِـه بالتوجّـه مـن بشـامون التـي تشـكّلت فيهـا حكومـةٌ مؤقتـةٌ، إلـى بعلبـك الهرمـل لتحريـضِ العشـائر المؤيّـدة لـه، وأخـذَ يسـتقبلُ الوفـودَ أثنـاء وجـوده فـي بشـامون للدعـوةِ إلـى مواجهـة الفرنسـيين.[٨٨]

(I) اعتقل الفرنسيّون رئيس الجمهوريَّة بشارة الخوري ورئيس الحكومة رياض الصلح والوزراء كميل شمعون، سليم تقلا، عادل عسيران، والنائب عبد الحميد كرامي. انظر/ي: ماجد ماجد، **تاريخ الحكومات اللبنانيَّة ١٩٢٦-١٩٩٦**، التنضيد الإلكتروني مؤسسة كلمات كومبيوتر ط١، ١٩٩٧، ص ٥٣.

وبعـد تعديـل الدسـتور، كان علـى الحكومـةِ أنْ تُنجِـزَ هـذا الاسـتقلال وتُثبِّتَـه باسـتلام المصالـح وتحقيـقِ جـلاء الجيـوش الأجنبيَّـة عـن لبنـان. وكان ذلـك بعـد محادثـاتٍ مـع فرنسـا وبريطانيـا، وبعـد رفـعِ شـكاوى إلى مجلـس الأمـن. وجـرى توقيـعُ الاتفـاق فـي وزارة الخارجيَّـة الفرنسـيَّة فـي ٢٣ آذار ١٩٤٦. وتمَّـت عمليَّـة الجـلاءِ بسـلام، وغـادرَ آخـر جنـدي فرنسـي لبنـان فـي ٣١ كانـون الأول ١٩٤٦.(٨٩)

١٢) الفقهاء الشيعة يدخلون المؤسسات العامة


صورة للعلماء الشيعة في فترة الإنتداب

مـع الانتـدابِ كان الفقهـاءُ الشـيعة يتجنّبـون الوقـوعَ فـي المحظـور الفقهـي(I) بتولّـي مناصـب اسـتحدثها الفرنسـيّون. لكـن مـع الوقـت بـدأت الأمـورُ بالتبـدُّلِ عنـد كثيريـن، رغـم اسـتمرار البعـض بالرفـضِ الدائـم كالسـيد حسـن محمـود الأميـن الـذي لـم يقبـل تعيينـه رئيسًـا لمحكمـة الاسـتئناف الجعفـري. وكذلـك امتنـعَ كلٌّ مـن السـيدين عبـد الحسـين شـرف الديـن ومحسـن الأميـن والشـيخ حسـين مغنيَّـة عـن منصـب رئيـس العلمـاء فـي سـوريا ولبنـان. لكـن مـا لَبِـثَ أنْ تأسّـس القضـاء والإفتـاء وانخـرطَ فيهمـا الفقهـاء، ومنهـم مَـنْ كان فـي خانـةِ الممانـع للانتـداب قبـلُ، ولا تفسـيرَ لذلـك إلّا أنَّهـم قبِلـوا الدولـة قبـولًا ترسَّـخَ لاحقًـا فـي الفتـرة الاسـتقلاليَّة.

(I) كان مشهورُ سيرة الفقهاء الشيعة العامليّين عامّة بتجنّبُ تولّي المناصب الرسميَّة المقدَّمة من الحكام لأسبابٍ عقائديَّة ـ فقهيَّة، وكانت الحالاتُ الاستثنائيَّة الضروريَّة لها تأصيلاتُها في هذا المجال.

ومـن الأسـماء المُشـاركة، مثـالًا لا حصـرًا، فـي مجـال القضـاء الشـرعي الشـيخان منيـر عسـيران ويوسـف الفقيـه، السـادة عبـد اللـه ابـن عبـد الحسـين شـرف الديـن، نـور ابـن أخ عبـد الحسـين شـرف الديـن ومحمـد باقـر ابـن محسـن الأميـن. وفـي القضـاء المدنـي حسـن وعبـد المطلـب نجـلا السـيد محسـن الأميـن، زيـد ابـن الشـيخ أحمـد عـارف الزّيـن. وفـي منصـب المفتـي السـيدان محمـد جـواد ابـن عبـد الحسـين شـرف الديـن ومحمـد علـي الأميـن والشـيخ عبـد الحسـين صـادق وغيرهـم.[٩٠]

الهوامش

(١) علي الشامي، **ثوابت الهويَّة في متغيرات الاجتماع الشيعي**، مقالة في كتاب **الشيعة في لبنان من التهميش إلى المشاركة الفاعلة**، لمجموعة من الباحثين، ص ٢٦١.

(٢) محمد جميل بيهم، **النزعات السياسيَّة بلبنان عهد الانتداب والاحتلال ١٩١٨-١٩٤٥**، دار الأحد، بيروت، ١٩٧٧، ص ٢٦.

(٣) علي فتوني، **تاريخ لبنان الطائفي**، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠١٣، ص ٧٠.

(٤) إبراهيم الأسود، **تنوير الأذهان في تاريخ لبنان**، ج٣، ص ٢٤٧.

(٥) سنان ساتيك، **الثورة السوريَّة الكبرى يوم الخلاص من المستعمر الفرنسي**، ٢١ كانون الثاني ٢٠٢٠، موقع الجزيرة الوثائقيَّة، تاريخ الدخول: ٥ نيسان ٢٠٢٣، الساعة ١٥:٢٩.

(٦) ستيفان لونغريغ، **تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي**، ص ١٩٩-٢٠٠-٢٠٧.

(٧) علي شعيب، **مطالب جبل عامل، الوحدة والمساواة في لبنان الكبير**، ص ٩٦.

(٨) غسان طه، **شيعة لبنان ـ العشيرة ـ الحزب ـ الدولة (بعلبك ـ الهرمل نموذجًا)**، ص ١١٤-١١٥.

(٩) ستيفان لونغريغ، **تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي**، ص ٢١٢.

(١٠) هدى رزق، **لبنان بين الوحدة والانفصال ١٩١٩-١٩٢٧**، ص ١٠٧.

(١١) غسان طه، **شيعة لبنان ـ العشيرة ـ الحزب ـ الدولة (بعلبك ـ الهرمل نموذجًا)**، ص ١١٨-١٢٠.

(١٢) نوال فياض، **صفحات من تاريخ جبل عامل في العهدين العثماني والفرنسي**، ص ٧١.

(١٣) فؤاد عجمي، **الإمام المغيب موسى الصدر وشيعة لبنان**، دار الأندلس، بيروت، ط١، ١٩٨٧، ص ٧٢-٧٣.

(١٤) ستيفان لونغريغ، **تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي**، ص ٢٠٧.

(١٥) صابرينا ميرفان، **حركة الإصلاح الشيعي**، ص ٤٧٨.

(١٦) حسان حلاق، **تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٥٢**، ص ١١٧-١١٩.

(١٧) عاطف عيد، **لبنان تاريخ سياسة وحضارة بين الأمس واليوم**، ١٩٩٨، ج١٠، ص ٣٧.

(١٨) لحد خاطر، **الانتخابات النيابيَّة في تاريخ لبنان**، منشورات دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٩٦، ص ١٣١.

(١٩) حسان حلاق، **تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٥٢**، ص ١٢٠.

(٢٠) غسان طه، **شيعة لبنان ـ العشيرة ـ الحزب ـ الدولة (بعلبك ـ الهرمل نموذجًا)**، ص ١١٠.

(٢١) إبراهيم الأسود، **تنوير الأذهان في تاريخ لبنان**، ج٣، ص ١٩٦.

(٢٢) ماجد ماجد، **تاريخ الحكومات اللبنانيَّة، ١٩٢٦-١٩٩٦**، التنضيد الإلكتروني مؤسسة كلمات كومبيوتر ط١، ١٩٩٧، ص ١٧.

(٢٣) أكرم ياغي، **قوانين الأحوال الشخصيَّة لدى الطوائف الإسلاميَّة والمسيحيَّة**، مكتبة زين الحقوقيَّة والأدبيَّة، بيروت، ط٤، ص ٤٩.

(٢٤) علي فتوني، **تاريخ لبنان الطائفي**، ص ٨٩.

(٢٥) لويس صليبا، **لبنان الكبير أم لبنان خطأ تاريخي**، ص ١٩٦.

(٢٦) صابرينا ميرفان، **حركة الإصلاح الشيعي**، ص ٤٨٠.

(٢٧) علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، ص ٢٤٧.

(٢٨) صابرينا ميرفان، المصدر السابق، ص ٤٨٩.

(٢٩) حسان حلاق، **تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٥٢**، ص ١٢٢.

(٣٠) جهاد بنوت، **حركات النضال في جبل عامل**، ص ٢٨١.

(٣١) حسان حلاق، **مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦**، الدار الجامعيَّة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢٣.

(٣٢) حسان حلاق، **تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٥٢**، ص ١٥١.

(٣٣) حسان حلاق، **مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦**، ص ٢٥.

(٣٤) حسان حلاق، المصدر السابق، ص ٢٨، ٣٠، ٣٢-٣٤، ٤٥، ٥٥.

(٣٥) جهاد بنوت، **حركات النضال في جبل عامل**، ص ٢٨٤.

(٣٦) حسان حلاق، **تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٥٢**، ص ١٥٤.

(٣٧) سلام الراسي، **الناس أجناس**، دار نوفل، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥، ص ٥١.

(٣٨) علي شعيب، **التجربة الحزبيَّة عند شيعة لبنان**، مقالة في كتاب **الشيعة في لبنان من التهميش إلى المشاركة الفاعلة**، لمجموعة من الباحثين، ص ٢٨٦.

(٣٩) أنطوان عريضة، **لبنان وفرنسا**، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٨٧، ص ٨٠-٨٤.

(٤٠) صابرينا ميرفان، **حركة الإصلاح الشيعي**، ص ٤٥٥-٤٥٦.

(٤١) حسن الأمين، **مستدركات أعيان الشيعة**، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط٢، ١٩٩٧، ج١، ص ٢٦٩.

(٤٢) علي شعيب، **التجربة الحزبيَّة عند شيعة لبنان**، مقالة في كتاب **الشيعة في لبنان من التهميش إلى المشاركة الفاعلة**، لمجموعة من الباحثين، ص ٢٨٦.

(٤٣) علي شعيب، المصدر السابق، لمجموعة من الباحثين، ص ٢٩٣.

(٤٤) تمارا الشلبي، **شيعة جبل عامل ونشوء الدولة اللبنانيَّة**، ص ٢٣٣.

(٤٥) علي شعيب، **تاريخ لبنان من الاحتلال إلى الجلاء ١٩١٨-١٩٤٦**، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٩٠، ص ١٤٢.

(٤٦) تمارا الشلبي، **شيعة جبل عامل ونشوء الدولة اللبنانيَّة**، ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٤٧) علي شعيب، **مطالب جبل عامل، الوحدة والمساواة في لبنان الكبير**، ص ١٤٨-١٤٩.

(٤٨) وهيب أبي فاضل، **لبنان في مراحل تاريخه الموجزة**، مكتبة أنطوان، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤، ص ٢٥٩.

(٤٩) علي شعيب، **مطالب جبل عامل، الوحدة والمساواة في لبنان الكبير**، ص ١٥٠.

(٥٠) علي شعيب، المصدر السابق، ص١٥٢، ١٥٧، ١٥٩-١٦١.

(٥١) سعد الحميداوي، **أحمد الأسعد ودوره السياسي في لبنان ١٩٠٨-١٩٦١**، دار ناريمان للنشر والطباعة والتوزيع، ص ٧١.

(٥٢) علي شعيب، **تاريخ لبنان من الاحتلال إلى الجلاء ١٩١٨-١٩٤٦**، ص ١٤٠.

(٥٣) حسان حلاق، **تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٥٢**، ص ١٦٧.

(٥٤) حسان حلاق، المصدر السابق، ص ١٧٠.

(٥٥) حسان حلاق، المصدر السابق، ص ١٦٧-١٦٨.

(٥٦) حسان حلاق، المصدر السابق، ص ١٧٢-١٧٣.

(٥٧) ستيفان لونغريغ، **تاريخ سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي**، ص ٢٨٣-٢٨٥.

(٥٨) علي شعيب، **التجربة الحزبيَّة عند شيعة لبنان**، مقالة في كتاب **الشيعة في لبنان من التهميش إلى المشاركة الفاعلة**، لمجموعة من الباحثين، ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٥٩) حسن غريب، **نحو تاريخ فكري ـ سياسي لشيعة لبنان**، ج٢، ص ٥٣.

(٦٠) نوال فياض، **صفحات من تاريخ جبل عامل في العهدين العثماني والفرنسي**، ص ٩٩.

(٦١) علي شعيب، **مطالب جبل عامل، الوحدة والمساواة في لبنان الكبير**، ص ٩٣.

(٦٢) علي شعيب، المصدر السابق، ص ١١٤-١١٥.

(٦٣) علي شعيب، المصدر السابق، ص ١١٨.

(٦٤) صابرينا ميرفان، **حركة الإصلاح الشيعي**، ص ٤٨١.

(٦٥) حسن غريب، **نحو تاريخ فكري ـ سياسي لشيعة لبنان**، ج١، ص ٢٨١.

(٦٦) حسن غريب، المصدر السابق، ج١، ص ٢٨٠-٢٨٢.

(٦٧) حسان حلاق، **تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٥٢**، ص ١٨١.

(٦٨) حسن غريب، **نحو تاريخ فكري ـ سياسي لشيعة لبنان**، ج١، ص ٢٨٠-٢٨٢.

(٦٩) نوال فياض، **صفحات من تاريخ جبل عامل في العهدين العثماني والفرنسي**، ص ٩٩.

(٧٠) علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، ص ١٣٩.

(٧١) حسان حلاق، **تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٥٢**، ص ١٨٩.

(٧٢) علي فتوني، **تاريخ لبنان الطائفي**، ص٩٠-٩١.

(٧٣) حسان حلاق، **تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٥٢**، ص ١٩٠.

(٧٤) وهيب أبي فاضل، **لبنان في مراحل تاريخه الموجزة**، ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٧٥) ماجدة رماني، **الانتداب الفرنسي على لبنان ١٩٢٠-١٩٤٦**، مذكّرة مكمّلة لنيل شهادة الماجستير، السنة الجامعيَّة ٢٠١٥-٢٠١٦، جامعة محمد خيضر بسكرة، كليَّة العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة ـ قطب شتمة، شعبة التاريخ، ص ٧٣.

(٧٦) وهيب أبي فاضل، **لبنان في مراحل تاريخه الموجزة**، ص ٢٩٠.

(٧٧) حسان حلاق، **تاريخ لبنان المعاصر١٩١٣-١٩٥٢**، ص ١٩٩-٢٠١؛ علي فتوني، **تاريخ لبنان الطائفي**، ص ١٠٦.

(٧٨) محمد جميل بيهم، **النزعات السياسيَّة بلبنان عهد الانتداب والاحتلال ١٩١٨-١٩٤٥**، ص ٥٧، ٥٩.

(٧٩) حسان حلاق، **تاريخ لبنان المعاصر١٩١٣-١٩٥٢**، ص ٢٠٢-٢٠٤.

(٨٠) حسان حلاق، المصدر السابق، ص ٢٠٩-٢١٠.

(٨١) حسان حلاق، المصدر السابق، ص ٢١١.

(٨٢) لحد خاطر، **الانتخابات النيابيَّة في تاريخ لبنان**، ص ١٥٩.

(٨٣) علي شعيب، **تاريخ لبنان من الاحتلال إلى الجلاء ١٩١٨-١٩٤٦**، ص ١٩٨-١٩٩، ٢٠١-٢٠٣.

(٨٤) وهيب أبي فاضل، **لبنان في مراحل تاريخه الموجزة**، ص ٢٩٠-٢٩١.

(٨٥) غسان طه، **شيعة لبنان ـ العشيرة ـ الحزب ـ الدولة (بعلبك ـ الهرمل نموذجًا)**، ص ١٢١-١٢٢، علي فتوني، **تاريخ لبنان الطائفي**، ص ١٠٧.

(٨٦) وهيب أبي فاضل، **لبنان في مراحل تاريخه الموجزة**، ص ٢٩٢-٢٩٤.

(٨٧) صلاح عبوشي، **تاريخ لبنان الحديث من خلال ١٠ رؤساء حكومة**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٩، ص ٢٨.

(٨٨) غسان طه، **شيعة لبنان ـ العشيرة ـ الحزب ـ الدولة (بعلبك ـ الهرمل نموذجًا)**، ص ١٢٣.

(٨٩) وهيب أبي فاضل، **لبنان في مراحل تاريخه الموجزة**، ص ٢٩٩-٣٠١.

(٩٠) هاني فحص، **الشيعة بين الاجتماع والدولة**، ص ١٥٨.

الفصل السابع

واقع شيعة لبنان
من الاستقلال حتى مجيء الصدر

بعيـدًا مـن التصريحـات اللفظيَّة، فـإنَّ دولةَ الطوائــف اللبنانيَّــة، بعــد نَيْــلِ الاســتقلال، عمـدَت إلـى ترسيخِ الطائفيَّـةِ علـى قاعـدة التوزيــعِ للمناصــب.[١] كمــا أقامَــت هــذا الاســتقلالَ علــى ثنائيَّــة الانتمــاءِ العربــي بالوجــه الغربــي، الأمــر الــذي قادَنــا إلــى جدليَّــة الهويَّــةِ بحســبِ تعريفــاتِ الطوائــف المختلفــة. ومــن الطبيعــي أنْ ينعكـسَ ذلـك علـى الواقـعِ العـام الداخلـي بتفاصيلــه المعقّــدة والمتنوّعــة، وعلــى الواقــع الشــيعي خصوصًــا. وهكــذا كانــت للشــيعة رئاســةُ المجلـس النيابـي مـع اسـتثناءٍ حصـل لمـرة واحـدة سـيَرِدُ شـرحُهُ لاحقًـا، كمـا نالـوا حصّتهـم مـن التقسـيمةِ النسـبيَّة ضمــن الطائفــة الإســلاميَّة العامــة.



صورة صبري حمادة وحبيب أبي شهلا ومجيد إرسلان مع العلم اللبناني



صورة للرئيس بشارة الخوري والرئيس صائب سلام في غداء في الهرمل

لكــن، وامتــدادًا للمرحلــةِ الســابقة منــذ انتمائهــم إلــى لبنــان الكبيــر

وانعكاسًا لأرقامهم السكّانيَّة، كان مِن المتوقّع أنْ يستمرّوا في مطالبهم الدائمة بالمساواةِ في الوظائف والخدمات الرسميَّة، سواء رسميًّا عبر ممثّليهم داخل الدولة، أو نخبويًّا وشعبيًّا من خلال المؤتمرات والتجمّعات الخاصّة والعامّة.



صورة صبري حمادة

١) الدستور ـ الميثاق ـ الصيغة

رغم أنَّ التطوّرات السياسيَّة عام ١٩٤٣ وما رافقها من مدٍّ وطني كانت تحمل وعدًا بالقضاءِ على الانقسام الطائفي، ومع أنَّ البيانَ الوزاري في ٧ تشرين الأول من العام نفسه تحدَّث عن ضرورةِ إلغاءِ الطائفيَّةِ في ظلِّ توحُّدِ الشعب، إلّا أنَّ الحكومةَ اللبنانيَّة لم تُلغِ الموادَّ الخاصّة بالطائفيَّة، سواء الواردة في الدستور أو المعمول بها عُرفًا، بل إنَّ العهدَ الاستقلالي حافظَ عليها رُغمَ التعديلات الدستوريَّة التي تتطرّق إلى المواد الطائفيَّة. فلم يلعب الميثاقُ دورًا في توحيد لبنان الطائفي، بل سارَع إلى تجميعِ طوائفه في وحدةٍ فوْقيَّة أبقَت على كوامنِ التناقضات في داخلها ولم تسعَ إلى إزالتِها بل عمِلت على تأجيل انفجارها.[٢]

ومع أنَّ واضعَيِ الميثاق هما بشارة الخوري ورياض الصلح، فإنَّ مجهودَهما جاء تتويجًا للقاءاتٍ مختلفة بين الأفرقاء منذ ولادة لبنان لإيجاد صيغة للتعايش في الكيان.[٣] ولم يكُن الميثاق الوطني مجرّدَ تسويةٍ محليَّة فحسب، بل كانت له أيضًا جوانبُ عربيَّة ودوليَّة، ولكن تمَّ التركيزُ من المؤرّخين والمنظّرين ومجمل اللبنانيين على الجانب المحلّي من الميثاق.



صورة أحمد الأسعد



صورة عادل عسيران

وقـد تضمَّـن التفاهـمَ علـى الاسـتقلال عـن الـدولِ العربيَّـة وعـدم المطالبـة بـأي وحــدةٍ معهـا، وكذلــك رفـضَ الوصايــةَ أو الامتيــازات أو الحمايـة الأجنبيَّـة.(٤) وهكـذا يكـون عقَدَ تسـويةً حـول هويَّــةِ البلـد. فيعرِّفـه بأنَّــه ذو وجـهٍ عربـي يأخـذُ مـا هـو إيجابـي فـي الحضـارة الغربيَّـة. فيكـونُ الوجـهُ العربـي بديـلًا لعروبة لبنـان، والعلاقاتُ الثقافيَّــة بالغــرب بديــلًا للمطالبــات بالحمايــة الغربيَّــة.(٥) وهكــذا يمكــن القــولُ إنَّ الهويَّــة الجديــدة للبنــان شـكّلت تسـويةً بيـن الفكـرةِ المارونيَّـة للجبـل والتـراثِ السُّـني للمدينـة. وكان علــى الشــيعةِ شــقُّ طريقهــم بيــن هذيــن التصوّرَيْــن.(٦)

وكذلـك أكّـدت وثيقـةُ الميثـاق الوطنـي العُـرفَ القائـم بتوزيـع الرئاسـات الثـلاث، فيكـون رئيـسُ الجمهوريَّـة مارونيًّـا ورئيـس المجلـس النيابـي شـيعيًّا ورئيـس مجلـس الـوزراء سُـنّيًّا.(٧) وقـد خُـرِقَ هـذا الميثـاق عـام ١٩٤٦، إذ انتُخِـبَ حبيـب أبـو شـهلا(I) الأورثوذكسـي بأكثريَّــة ضئيلـة رئيسًـا للمجلـس النيابـي مـن ٢٢ تشـرين الأول ١٩٤٦ حتـى ٧ نيسـان

(I) حبيب أبو شهلا: محامٍ أورثوذكسي وكان وزيرًا للتربية الوطنيَّة والعدليَّة في حكومتَي رياض الصلح الأولى والثانية. توفّي عام ١٩٥٧.

١٩٤٧، وكان ترشيحُه بدعمٍ من رياض الصلح الذي استاءَ من تأييد صبري حمادة لتولّي عبد الحميد كرامي رئاسة الحكومة. فطبخ الصلح انتخاباتِ رئاسة المجلس تلك بحجّة إلغاء الطائفيَّة السياسيَّة.[٨]



صورة كامل الأسعد

وبالعودة إلى الميثاق، فقد كان يرتدُّ ضمنًا إلى إيلاء مقامِ تأسيسِ الدولةِ اللبنانيَّة إلى أطرافهِ التي ليست إلّا طوائفه. وهذا الاستواءُ للطوائفِ أطرافًا في تأسيسِ الدولة المستقلّة يُفضي إلى شيء هو غير الميثاق وغير الدستور، وهو ما يُسمّى الصيغة اللبنانيَّة، والتي مِن جهةٍ ما هي أسبقُ زمانًا منهما،[٩] كون استقلال هذه الطوائف ذاتيًّا له جذورُه التاريخيَّة.

وهكذا بات في لبنان مراجع ثلاثة يُستندُ إليها سياسيًّا وهي الدستور، الميثاق، والصيغة. وصار بإمكان هذه الصيغة والتي افترضَ دستورُ عام ١٩٢٦ أنَّ عليها أنْ تتجاوز نفسها، وأنْ تُبدِّدَ محتوى الميثاق رغم أنَّها تستمدُّ شرعيّتَها النظريَّة منه، إذ أنَّ طَلَبَ الحماية الخارجيَّة الذي حظرَه الميثاق عمَّ لاحقًا جهتَيْه، وتحوّلت الحمايةُ إلى حماياتٍ لأنَّ الجهتين في واقعِ أمرهما جهات.[١٠]

وقد استطاعت الصيغةُ، وهي التي كان عليها أنْ تكونَ إبرةَ الميزان وصِمامَ الأمان للنظام السياسي،[١١] أنْ تُضَيِّقَ على الدستورِ أيضًا. فعلى سبيل المثال لا الحصر، فإنْ كان الدستور يكفلُ حقوق الفرد المواطن، فإنَّ الصيغة تضمُّه طوعًا أو قسرًا إلى طائفته، فتضيِّقُ هامشَ اختياره السياسي وتفرضُ عليه نظامَ أحوالٍ شخصيَّة قد لا يوافقُ أيديولوجيّته.[١٢]

٢) الأحزاب الشيعيَّة، البداية والنهاية

ظهـرت منظمتـا «الطلائـع» و«النهضـة» فـي الوسـط الشـيعي منتصـفَ الأربعينيّـات. واسـتطاعتا اسـتقطابَ الشـباب الشـيعي الـذي كان متفرّقًـا بين الأحـزاب الطائفيَّـة والعلمانيَّـة، وبـأدوارٍ مهمّشـة فيهـا بسـببِ الوضـعِ الطائفـي الـذي كان يفـرضُ نفسـهُ علـى الأحـزاب الطائفيَّـة، والعقبـاتِ التـي كانـت تعاني منهـا تلـك العلمانيَّـة وأفكارهـا التـي لا تتناسـب مـع البيئـات اللبنانيَّـة الطائفيَّـة، ومنهـا الشـيعيَّة.

صورة رشيد بيضون

وُلـدت منظمـة «الطلائـع» فـي ١٩٤٤ مـن رحـم الجمعيَّـة الخيريَّـة العامليَّـة التـي تأسّسـت عـام ١٩٢٣ بغيـة رفـعِ الحرمـان عـن الشـيعة النازحيـن إلـى بيـروت وتأميـنِ الخدمـات الاجتماعيَّـة والصحيَّـة والتعليميَّـة والثقافيَّـة لهـم.

تلـك الجمعيَّـة كانـت تلقـى دعمًـا كبيـرًا مـن رجـال الديـن والميسـورين الشـيعة محليًّـا واغترابيًّـا. وكان الهـدفُ مـن إنشـائها مواجهـةَ الزعامـات التقليديَّـة الشـيعيَّة، وجـاءت ولادتُهـا نتيجـة لتواصـل سياسـي بيـن رئيسـها رشـيد بيضـون وشـخصياتٍ سياسـيَّة أخـرى لمنافسـة الزعيـم العاملـي أحمـد الأسـعد.[١٣] وكان بيضـون، وقبـل تأسيسـهِ لهـا، انتُخـب نائبًـا عـن الجنـوب فـي دورتَـي ١٩٣٧ و١٩٤٣ وترشّـح لرئاسـة المجلـس النيابـي عـام ١٩٣٨.

وكانـت «الطلائـع» ذات الأغلبيَّـة الشـيعيَّة السـاحقة والمُنتشـرة فـي مختلـف مناطـق لبنـان وخصوصًـا الجنـوب، تسـتخدمُ فـي حركتِهـا

شعاراتٍ شيعيَّة إلى جانب تلك الوطنيَّة والعروبيَّة. فأطلقت بعضُ فِرقِها على نفسها أسماء مستوحاة من الأئمّة الشيعة، كما اتّخذت سيف ذي الفقار شعارًا لها.[١٤]



شعار حزب النهضة



شعار منظمة الطلائع

وأمّا منظمة «النهضة»، فقد أسّسها أحمد الأسعد كردَّةِ فعلٍ على «الطلائع» التي انتشرت مراكزُها في مختلف مناطق الجنوب بدعمٍ من الزعامات السياسيَّة المنافسة له كآل الزّين وعسيران والخليل. وقد التقَت مصالحُ الأسعد في مواجهة بيضون مع البورجوازيَّة السُّنيَّة ـ المارونيَّة في بيروت التي كانت تنظرُ بقلقٍ إلى تنامي قدرات «الطلائع» الشيعيَّة في المدينة.

وهكذا وُلدت «النهضة» عام ١٩٤٦ من رحم جمعيَّة خيريَّة تحمل الاسم نفسه في برج البراجنة في الضاحية الجنوبيَّة لبيروت، وانتُخب الأسعد رئيسًا لها، واتّخذت مركزًا رئيسًا لها في الباشورة البيروتيَّة، واستحدثت فروعًا في القرى الجنوبيَّة. وكمنظمة «الطلائع»، كانت فِرقُ «النهضة» تحملُ أسماء مستوحاة من أئمّة أهل البيت.[١٥]

ووقعت صِداماتٌ بين الجهتَين أدّت إلى سقوط قتلى وجرحى وكان ذلك ذريعة استخدمتها الدولة لإلغاءِ تراخيصِ المنظمتَيْن في آذار ١٩٤٧، الأمر الذي أضرَّ ببيضون أكثر، كون حزبيّته كانت أقوى وخصوصًا في العاصمة بيروت.[١٦] وكان لرياض الصلح وصبري حمادة

دوران كبيـران فـي ضـربِ «الطلائـع». الأوّلُ مـن خـلال مؤازرتـه لأحمـد الأسـعد و«النهضـة»،[١٧] والثانـي باسـتنادهِ إلـى دعـم أجهـزة الدولـة كونـه كان وزيـرًا للداخليَّـة.[١٨]

وهكـذا كان لإنهـاء ظاهـرةِ الحزبيَّـة الشـيعيَّة الوليـدة الأثـر المُطمئِـن عنـد عديديـن التقـت مصالحُهـم فـي هـذا الخصـوص. فالبورجوازيَّـة السُّـنيَّة ـ المسـيحيَّة ارتاحـت مـن وليـدٍ بيروتـي جديـدٍ مقلـق، والزعامـاتُ التقليديَّـة الشـيعيَّة سـواء البقاعيَّـة كصبـري حمـادة أو الجنوبيَّـة كأحمـد الأسـعد نظـرت بقلـقٍ إلـى هـذه التجربـة البعيـدة مـن الزعامـات التقليديَّـة العائليَّـة.

٣- العودة إلى الأحزاب السياسيَّة

بعـد إلغـاءِ تراخيـص «الطلائـع» و«النهضـة» عـام ١٩٤٧، عـادت المرجعيَّةُ شـيعيًّا للزعامـاتِ التقليديَّـة الممثِّـلةِ للحـالات الجماهيريَّـة التـي كانـت أمـام تحـدٍّ جديـدٍ شـكّلتهُ قيـاداتٌ ووجاهـات محليَّـة جديـدة بـرزت بقـوّة وراحـت تتقاسـمُ مراكـز القـوى معهـا. وكانـت تلـك الشـخصيّات الجديـدة مِـنْ طبقـةٍ مـن الشـيعة الميسـورين المتعلّميـن والمغتربيـن. وقـد اسـتطاع بعـض هـؤلاء الوصـول إلـى البرلمـان.[١٩]

لكـن حزبيًّـا، وجَـد الكثيـرُ مـن الشـباب الشـيعي ضالّتـهُ مجـدّدًا عنـد الأحـزاب غيـر الشـيعيَّة علـى اختـلاف أيديولوجيّاتهـا والتـي كانـت رسَّـخت وجودَهـا منـذ الثلاثينيـات فـي المجتمعـات الشـيعيَّة. وأسّـس الحـزب التقدمـي الاشـتراكي فرعًـا لـه فـي بعلبـك عـام ١٩٥٠ علـى يـد فريـد حيـدر، نائـب رئيـس البلديَّـة، ومحمـد عبـاس ياغـي.[I] وانتشـر

(I) محمد عباس ياغي: وُلد في بعلبك ١٩٢٢. كان مقرّبًا مِن زعيم الحزب التقدمي الاشتراكي

فكر حزب البعث العربي في بعلبك مع زيد حيدر[I] وفي الجنوب مع الشيخ علي الزّين[II] وعلي جابر.[٢٠]

وفي هذه الفترة أيضًا كان المزاج الشيعي يميل مجدّدًا بقوّة إلى الفكر العروبي، فظهرت حركة القوميّين العرب عام ١٩٥٢ كردة فعل على نكبة فلسطين عام ١٩٤٨.[٢١] وقد أخذت لها حيّزًا كبيرًا في الوسط الشيعي، وتأسّست فروعٌ لها في النبطيَّة على يد ياسر بدر الدين وعلاء طاهر وفي بنت جبيل مع عدنان شرارة.[٢٢]

وهكذا، وفي المنتصف الثاني من الخمسينيات، كانت الأحزاب الأيديولوجيَّة التي وعدَت بتغييرِ الأساليب القديمة للبلاد تجذِب الشباب الشيعي نحوها بعيدًا مِن الزعامات التقليديَّة. فقد أعطت أسلوبًا سياسيًّا جديدًا ظهر في القرى والمدن الشيعيَّة النائية.[٢٣]

٤) استمرار المطالبة بالمساواة في الحقوق

رغم الواقع الجديد المتحسّن لناحيةِ مطالب شيعةِ لبنان بعد الاستقلال، إلّا أنَّ الهاجسَ الطائفي المُهيْمِن في البلد وتداعياته على حقوق الطائفة بقي طاغيًا. واستمرَّ الشيعة يطالبون بحقوقٍ تتوافقُ

كمال جنبلاط وعضوًا في الحزب وجبهة النضال الوطني. انتُخِب رئيسًا لبلديَّة بعلبك، ونائبًا عن دائرة بعلبك لمرّة واحدة. توفّي عام ١٩٩٧.

(I) زيد حيدر: وُلد في عشرينيات القرن الماضي. حضر المؤتمر التأسيسي لحزب البعث العربي في ٧ نيسان ١٩٤٧ وعمل على نشر فكره في بعلبك. انتُخب في المؤتمر القومي التاسع عضوًا في القيادة القوميَّة ثمَّ عُيّنَ أمينًا عامًا لجبهة التحرير العربيَّة عام ١٩٦٩. توفّي عام ٢٠٢٠.

(II) علي الزّين: رجل دين من بلدة جبشيت قضاء النبطيَّة. وُلد عام ١٩٠٢. أسّس عام ١٩٣٥ «عصبة الأدب العاملي». منذ الخمسينيات ظهرت ميوله القوميَّة، انجذب إلى حزب البعث العربي وانضمَّ إلى شعبته في النبطيَّة ثمَّ غادرها. له العديد من المؤلفات في تاريخ الشيعة وجبل عامل. أمّا علي جابر فشارك في المؤتمر التأسيسي لحزب البعث عام ١٩٤٧، وكان عضوًا في قيادته القوميَّة. توفي عام ٢٠١٦.

مـع نسـبتهم فـي البـلاد، سـواء فـي الجانـب الإنمائـي أو فـي مـا يخـصّ حصّتهـم مـن الوظائـف داخـل الدولـة.

وكان الوضـع الإنمائـي فـي المناطـق الشـيعيَّة مُزريًـا. ففي إحـدى المذكّراتِ المرفوعـة إلـى رئيـس الـوزراء عـام ١٩٤٣، وَرَد أنَّ ٣٠٠ قريـة ذات أغلبيَّـة شـيعيَّة فـي الجنـوب لا يوجـد فيهـا مستشـفى واحـد، وهـي محرومـةٌ مـن مشـاريع الـري حتـى أنَّ معظـم النـاس يشـربون مياهًـا راكِـدة.[٢٤]

وفـي مذكّـرة رفعتهـا الكتلـة الإسـلاميَّة عـام ١٩٤٣ إلـى رئيـس الجمهوريَّـة لتبيــان الظلــمِ اللاحــقِ بالطوائــفِ المســلمةِ فــي توزيــعِ الوظائــف والمنافـع العامّـة، كان الـردُّ الإيجابـي بإتاحـة الاطـلاعِ علـى الجـدول العام لمديريَّـة الموظفيـن لتحديـدِ نصيـبِ كل طائفـةٍ مـن الوظائـف بالنسـبة إلـى عـدد أفرادهـا. وتبيَّـن أنَّ حصّـة الطائفـة الشـيعيَّة أصابَهـا الإجحـافُ فـي الكميَّـة والراتـب حتـى أنَّهـا لـم تنَـل مـن حقوقهـا إلّا النصـف.[٢٥]

وفــي إحــدى جلســات المجلــس النيابــي فــي ٢١ كانــون الأول ١٩٤٦، وبعـد أنْ نالـت حكومـة ريـاض الصلـح الثقـةَ بالإجمـاع، فوجـئ المجلـسُ باسـتقالة النـواب الشـيعة عـادل عسـيران ورشـيد بيضـون وكاظـم الخليـل احتجاجًــا علــى عــدم تخصيــصِ طائفتهــم بمقعدَيْــن وزاريَّيْــن أســوة بالــدروز.[٢٦]

وفـي إحـدى الرسـائل الأجنبيَّـة عـام ١٩٥١ أنَّ نـوابَ جنـوب لبنـان شـدّدوا فـي مناسـبات عديـدة علـى المشـكلة الخطيـرة لنقـص ميـاه الشـفَة فـي العديـد مـن القـرى.[٢٧]

وكذلـك كان فـي خطابـات أحمـد الأسـعد فـي مجلـس النـواب إلحـاحٌ متكـرر علـى ضـرورة إنشـاءِ المـدارس ومـدِّ الطـرق بيـن القـرى وداخلهـا لتسـهيل تنقّـل التلامـذة وحركتهـم، خاصّـة بعدمـا قـدَّم مشـروعًا يراعـي إمكانيّـات الدولـة وحاجـة النـاس إلـى العِلـم.[٢٨]

٥) أزمة ١٩٥٢ واستقالة بشارة الخوري

حَمَلَ عـام ١٩٥٢ أزمـةً داخليَّـة كبيـرة شـهدت مـا عُـرف بالثـورة البيضـاء، كانـت نتيجتُهـا الإطاحـةَ ببشـارة الخـوري ووصـول كميـل شـمعون إلـى رئاسـة الجمهوريَّـة.

فمـع مطلـع السـنة، تـردّت الأوضـاعُ الداخليَّـة الاقتصاديَّـة والسياسـيَّة بشـكل كبيـر، وشـهِدت البـلادُ إضرابـاتٍ عديـدة[I] «ونشـطت المعارضـة السياسـيَّة التـي قادهـا كميـل شـمعون وكمـال جنبـلاط وغيرهمـا مـن الساسـة، إذ تـمَّ تشـكيل جبهـة معارضـة داخـل المجلـس سُـمِّيت بالجبهة الاشـتراكيَّة الوطنيَّـة».[٢٩]

اتّهـم بشـارة الخـوري رئيـس الـوزراء عبـد اللـه اليافي بأنَّـه خَلْـفَ الحملةِ المعارِضـة للرئاسـة الأولـى. وفـي الجلسـة النيابيَّـة فـي ١٥ كانـون الثانـي ١٩٥٢، «طالـب النائـب عبـد اللـه الحـاج[II] بإلغـاء امتيـازات الشـركات أو تعديلهـا أو تأميمهـا وانتقـد كتلـةَ نـواب بيـروت التـي مـن بينهـا رئيـس الـوزراء، لأنَّهـا فـي بيانهـا لـم تذكُـر مطالـبَ الشـعب حـول شـركة الكهربـاء إلّا بتحفـظٍ زائـد». كمـا تحـدّث نائـب الجنـوب حسـين العبـد اللـه عـن «احتـكارات الشـركات واسـتغلالها للشـعب».[٣٠]

بعـد تكليـف سـامي الصلـح بالحكومـة فـي ١١ شـباط ١٩٥٢،[٣١] وإثـر اشـتداد النـزاع بيـن مجلـس الـوزراء ورئاسـة الجمهوريَّـة، وَقَـفَ رئيـس مجلـس النـواب أحمـد الأسـعد وصبـري حمـادة إلـى جانـب بشـارة الخـوري. ومـع تفاقـم الأزمـة، أشـار النائـب المعـارض عبـد اللـه الحـاج

(I) مثل إضراب المحامين الذي استمرّ لثلاثة أشهر، وذاك ضد شركة الكهرباء، وإضراب موظفي سكّة الحديد. انظر/ي: حسان حلاق، **تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٥٢**، ص ٤٢٣.

(II) عبد الله الحاج: نائبٌ معارض لبشارة الخوري، كان نائبًا عن قضاء بعبدا ـ المتن، وعضوًا مؤسّسًا في الجبهة الاشتراكيَّة الوطنيَّة المعارضة.


صورة أحمد الأسعد وبشارة الخوري

فـي الجلسـة النيابيَّـة بتاريـخ ٢٧ آذار إلـى فسـاد الحُكـمِ الـذي جعـل المواطنيـن يخشـون زوالَ الديموقراطيَّـة وقيـام الفوضـى الشـارعيَّة. وفـي الأوّل مـن أيـار اعتبـر رشـيد بيضـون أنَّ كتلـة بيـروت سـتقوم بواجبِهـا وبالوسـائل الدسـتوريَّة لوضـع حدٍّ للأزمـة السياسـيَّة والاقتصاديَّـة. كمـا اعتبـر عضـو حـزب النـداء القومـي النائـب عـن الجنـوب علـي بـزي أنَّ «ناقـوس الخطـر يـدق».[٣٢]

حـاول رئيـس الجمهوريَّـة القيـام بإصلاحـاتٍ لامتصـاصِ النقمـة ضـد السـلطة، لكـن جـاء اغتيـالُ ريـاض الصلـح فـي ١٦ تمـوز ١٩٥٢ ليزيـدَ الطيـنَ بلّـة، كمـا سـاهمت ثـورة مصر فـي ٢٣ تمـوز (يوليـو) فـي تطويـر حركـة المعارضـة أكثـر للتخلّـص مـن العهـد القائـم.[٣٣] فاسـتدرك بشـارة الخـوري الأمـر لإقـرار الإصلاحـات[I] فـي جلسـة الحكومـةِ فـي ١٩ آب، تلـك الحكومـة التـي طلبـت صلاحيـات اسـتثنائيَّة لسـتة أشـهر، لكـن المعارضـةَ اعتبـرت الأمـر مجـرّدَ منـاورةٍ وإلهـاء لإسـكاتها.[٣٤]

وبعـد أنْ أقامـت المعارضـةُ مهرجـان ديـر القمـر العالـي اللهجـة تجـاه الحُكـم والرئيـس، حضـر رئيـس المجلـس النيابـي أحمـد الأسـعد اجتمـاع نـواب الكتلـة الدسـتوريَّة التـي يرأسـها بشـارة الخـوري مـن أجـل تحضيـرِ مهرجـانٍ مقابـل. ومـع تفاقـم الأمـور اسـتقال ثلاثـة وزراء مـن الحكومـة،

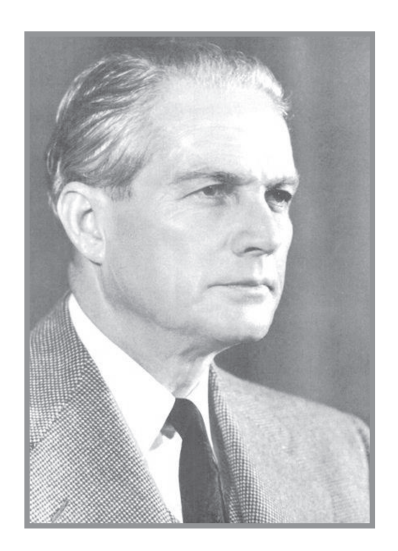
(I) كانت الإصلاحات تشمل تعديلَ قانون الانتخاب، وإعادة تنظيم مجلس القضاء، وتحقيق اللامركزيَّة وتنظيم الصحافة وإقرار قانون جديد للأحزاب السياسيَّة والقيام بعدد من المشاريع الإنمائيَّة والاقتصاديَّة والصحيَّة، وبتوزيع بعض الأراضي الأميريَّة على الفلاحين. انظر/ي: ماجد ماجد، **تاريخ الحكومات اللبنانيَّة ١٩٢٦-١٩٩٦**، ص ٨٢.

بينهـم حسـين العبـد اللـه وأحمـد الحسـيني الـذي تبـادل رئيسـا الجمهوريَّـة والحكومـة الاتّهامـات بشـأن سـبب اسـتقالته،[٣٥] فسـمَّى رئيـس مجلـس الـوزراء سـامي الصلـح كلًّا مـن عبـد اللـه الحـاج وعلـي بـزي بـدلًا منهمـا، لكـن بشـارة الخـوري رفـضَ توقيـع مراسـم التعييـن هـذه.[٣٦] وبعـد إقالتـه الصلـح، وإصـداره مرسـوم تعييـن حكومـة ثلاثيَّـة مِـن كبـار الموظفيـن غيـر السياسـيّين، دعـت المعارضـة فـي بيانـات متعـددة إلـى الإضـراب الشـامل، وكان بينهـا مـا صـدرَ عـن الكتلـة الوطنيَّـة، ومِـن أعضائهـا عبـد اللـه الحـاج، وعـن حـزب النـداء القومـي ومِـن مُنتسـبيه علـي بـزي، إضافـة إلـى بيـان مجموعـة مـن المسـتقلّين يتقدّمهـم عـادل عسـيران.[٣٧] وفـي المقابـل، كان لصبـري حمـادة موقـفٌ مغايـرٌ، فقـد شـجب حركـة المعارضـة، ودافـع عـن بشـارة الخـوري بقـوّة.[٣٨]

وبعـد إخفـاقِ كل محاولاتـه مـع المعارضـة، إضافـةً إلـى فشـله فـي إقنـاع قائـد الجيـش آنـذاك فـؤاد شـهاب بإنـزال العسـكر إلـى الشـارع، قـرّر بشـارة الخـوري الاسـتقالة مـن منصبـه وتعييـن شـهاب علـى رأسِ حكومـةٍ مؤقتـة، وكان ذلـك فـي ١٨ أيلـول ١٩٥٢،[٣٩] ليتـمَّ لاحقًـا انتخـاب كميـل شـمعون رئيسًـا فـي ٢٣ أيلـول،[٤٠] بعدمـا حصـل علـى ٧٤ صوتًـا مـن أصـل ٧٧.[٤١]

٦) أزمات العهد الشمعوني وأحداث ١٩٥٨

مـع تولّـي شـمعون سـدّة الحكـم، بـرزت عوامـلُ عـدّة كانـت تُنـذِر بانفجـارٍ متوقـع. فتفاعلـت وتأجّجـت لتنتـج عنهـا أحداث ١٩٥٨ الشـهيرة. فقـد شـرَع الرئيـس فـي تركيـز سـلطتِه منـذ السـنة الأولـى بإصـدار مرسـومٍ تشـريعي فـي ٤ تشـرين الثانـي ١٩٥٢ قضـى بإنقـاص عـدد النـواب. ممّـا ولَّـد أزمـةً سياسـيَّة. وباسـتمرار الخـلاف داخـل البرلمـان،


صورة كميل شمعون

اضطُـرَّ إلـى تشـكيل حكومـةٍ جديـدة برئاسـة صائـب سـلام فـي ٣٠ نيسـان ١٩٥٣ واسـتبعد فيهـا أركان المعارضـة برئاسـة كمـال جنبـلاط.[٤٢] وتمثّـل الشـيعةُ فيهـا برشـيد بيضـون.[٤٣]

وبعـد إنشـاء حلـف بغـداد[I] فـي ٢٤ شـباط ١٩٥٥، عمّـت التظاهـراتُ مختلـف المناطـق اللبنانيَّـة، ومنهـا بيـروت وصيـدا وصـور والنبطيَّـة وبنـت جبيـل. ونشـطت جبهـةُ الاتحـاد الوطنـي[II] بإقامـةِ المهرجانـات والتظاهـرات ضـد الدخـول فـي هـذا الحلـف.[٤٤]

واعتبـرت المعارضـة زيـارة شـمعون ورئيـس وزرائـه سـامي الصلـح لتركيـا عـام ١٩٥٥ تحديًـا لشـعورها، كـون أنقـرة كانـت وقتهـا تحشـدُ قوّاتهـا علـى الحـدود مـع سـوريا. كمـا أنَّ البيـان المشـترك الصـادر عـن تلـك الزيـارة أوضـحَ أنَّ لبنـان أصبـح يقـفُ صراحـة فـي صـف المعسـكر الغربـي. وكان تأكيـدُ ذلـك عبـر قيـام الرئيـس التركـي محمـود جـلال بايـار بزيـارةِ ردٍّ إلـى لبنـان فـي نفـس السـنة.[٤٥]

وفـي غضـون العـدوان الثلاثـي علـى مصـر[III] فـي أواخـر تشـرين الأول

(I) حلف بغداد: هو أحد الأحلاف التي أُسّست باقتراحٍ أميركي للوقوف في وجه المدّ الشيوعي في الشرق الأوسط. وتكوّن من إنكلترا ومن دول لديها امتداد جغرافي مع بعضها وتُشكِّل الحزام الجنوبي للاتحاد السوفياتي، وهي: باكستان، إيران، العراق وتركيا. وقد اعترضت مصر معلنةً أنَّها ضد أي حلف في العالم العربي خارج إطار جامعة الدول العربيَّة.

(II) جبهةُ الاتحاد الوطني: تضم الأحزاب اليساريَّة والقوميَّة.

(III) العدوان الثلاثي: حرب شنّتها بريطانيا وفرنسا وإسرائيل على مصر بين ٢٩ تشرين الأول حتى



صورة عادل عسيران مع كميل شمعون ومجيد إرسلان في استقبال الرئيس السوري شكري القوتلي

١٩٥٦، دعا شمعون رؤساءَ وملوك العرب إلى مؤتمر تأييدًا لمصر، وقد عُقِدَ بعد توقّف القتال، في منتصف تشرين الثاني. ودَبَّ الخلاف فيه بسبب طرحِ رئيس الوزراء عبد الله اليافي، مدعومًا بالوزير صائب سلام، مشروعَ «مقاطعة الدول العربيَّة للدول المعتدية: إنكلترا وفرنسا» الأمر الذي اعترضَ عليه آخرون حرصًا على العلاقات التقليديَّة مع الغرب، فنشبت أزمةٌ وزاريَّة استقال على أثرِها اليافي وسلام، وقَبِلَ شمعون الاستقالتَيْن.(٤٦)

وكان أحمد الأسعد مع مشروع المقاطعة، فقد رأى أنَّ مصدرَ الدسائس هو الغرب الذي اتّخذ من لبنان ساحةً لحبكِ مؤامراته ضدّ العرب بواسطة فئةٍ قليلة ذات تبعيَّةٍ للخارج.(٤٧) وكذلك كان موقف النائب عبد الله الحاج.(٤٨) وأمّا كامل الأسعد، نجل أحمد، فقد أيَّدَ مصر ودافع عن شرائِها السلاح من المعسكر الاشتراكي، وعارض سياسة لبنان الخارجيَّة المنحازة إلى الغرب.(٤٩)

ثمَّ عُهِدَ إلى سامي الصلح تشكيلُ حكومةٍ تمثّل فيها الشيعة بمحمد صبرا عن جبل لبنان.(٥٠) وفي ٥ نيسان ١٩٥٧، وبعد جلسةِ الاستماعِ إلى بيان الحكومة عن سياستها حيال مشروع أيزنهاور،(I) نالت

---

٧ تشرين الثاني ١٩٥٦، وكان سببها المُعلن تأمين الممرّ الملاحي لقناة السويس.

(I) بعد تراجع الدور البريطاني في المنطقة بسبب أزمة السويس، وخوفًا من ملء الشيوعيَّة الدوليَّة لهذا الفراغ السياسي، بادرت الإدارة الأميركيَّة عام ١٩٥٧ إلى إجراء وقائي في وجه الخطر الشيوعي في منطقة الشرق الأوسط. فوافق مجلس الشيوخ على مقترحات الرئيس دوايت أيزنهاور والتي باتت

الحكومـةُ الثقـة، واسـتقال سـبعةُ نـوابٍ اعتراضًـا علـى تراجـع لبنـان عـن الحيـاد، منهـم أربعـة شـيعة هـم: أحمـد الأسـعد، وابنـه كامـل، صبـري حمـادة، وعبـد اللـه الحـاج(٥١) الـذي اعتبـر أنَّ هـذا البيـان قـاد البـلادَ إلـى العـزل والانفـراد عـن السياسـة العربيَّـة. وشـدّد كامـل الأسـعد(I) على ضـرورة رسـمِ سياسـةٍ خارجيَّـة تقـومُ علـى أسـاس المصلحـة الوطنيَّـة فـي الشـرق العربـي، وأكّـدَ أنَّ «حياتنـا مهـدّدة مـن إسـرائيل والاسـتعمار، والأمـران لـم يـأتِ البيـانُ علـى ذكرهمـا».(٥٢)

وكذلـك شـهد عـام ١٩٥٧ مواجهـةً سياسـيَّة بيـن الحكومـة والمعارضـة إثرَ إقـرار مشـروعٍ للانتخـاب فـي المجلـس النيابـي حـدَّدَ عـدد النـواب بــ٦٦ يتوزّعـون علـى ٢٨ دائـرة انتخابيَّـة صغيـرة لتشـتيتِ أصـوات المعارضيـن، وليسـهِّلَ علـى شـمعون التحكُّـمَ بنتائـج الانتخابـات فيأتـي بمجلـسٍ نيابي مـوالٍ لـه يعـدِّلُ الدسـتورَ مُتيحًـا لـه ولايـة ثانيـة. وبـادرت حكومـةُ سـامي الصلـح إلـى حـلِّ البرلمـان والدعـوة إلـى انتخابـاتٍ جديـدة. وكانـت المعارضـةُ تطالـبُ بحكومـة حياديَّـة تُشـرِف علـى عمليّـاتِ الاقتـراع ودعـت إلـى الإضـراب والتظاهـرِ سـلميًّا. لكـنَّ الحكومـةَ ردَّت بمنـعِ التظاهـر، فوقعـت صِدامـاتٌ عـدة مـع القـوى الأمنيَّـة.

وهكـذا أُجريـت الانتخابـاتُ النيابيَّـة فـي شـهر حزيـران مـن تلـك السـنة فـي جـو متشـنّج، ودخلتهـا المعارضـة، مدعومـةً مـن مصـر وسـوريا، تحـت عنـوانِ رفـض التجديـد للرئيـس، مـع مـا يعنيـه ذلـك مـن تحـوّلٍ

تُعرف منذ ذلك الحين بمبدأ أيزنهاور. وبموجبه أصبح في استطاعة الأميركيين تقديم مساعدات عسكريَّة واقتصاديَّة لأي دولة شرق أوسطيَّة ترغب في ذلك للمحافظة على استقلالها، أو صدُّ أي اعتداء يقوم به بلد يسيطر عليه الشيوعيَّة العالميَّة.

(I) كامل أحمد الأسعد: وُلد عام ١٩٣٢، سياسي شيعي عاملي. تولّى رئاسة مجلس النواب ثلاث مرات. انتُخب نائبًا لدورات عديدة، وعُيِّنَ وزيرًا في حكومات متعدّدة. يحمل اسم شقيق جدِّه عبد اللطيف، كامل خليل الأسعد. توفّي عام ٢٠١٠.

فـي سياسـة البـلاد الخارجيَّـة، بينمـا كان العهـدُ الشـمعوني المسـنود أميركيًّـا يخوضُهـا تحـت عنـوانِ الحفـاظ علـى اسـتقلال لبنـان وسـيادته. وأسـفرت الانتخابـاتُ عـن فـوزٍ سـاحق للمرشّـحين المواليـن للعهـد وخسِـرَ العديـد مـن أقطـابِ المعارضـة مقاعدَهـم، فلَـمْ يسـتطِع كمـال جنبـلاط وأحمـد الأسـعد وصائـب سـلام وعبـد اللـه اليافـي الفـوز فـي جبـل لبنـان والجنـوب وبيـروت علـى التوالـي. فاتّهـم المعارضـون أجهـزة الدولـة بالتدخُّـلِ فـي التأثيـر علـى نتائـج الانتخابـات.(٥٣)

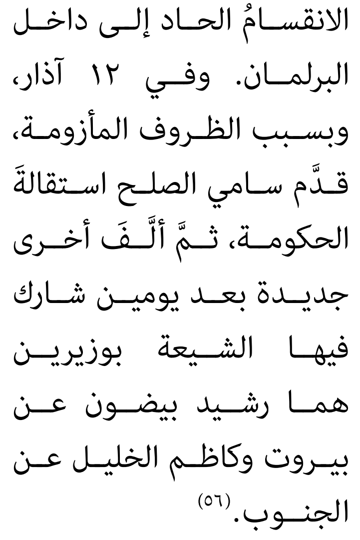
وفـي الحكومـة المنبثقـة عـن المجلـس النيابـي الجديـد، تمثَّـل الشـيعةُ بالجنوبـي كاظـم الخليـل، ونالـت الثقـة فـي جلسـة ٢٩ آب ١٩٥٧، ولـم يشـترك رئيـسُ المجلـس النيابـي عـادل عسـيران بالاقتـراع.(٥٤)

ومـع إطلالـة عـام ١٩٥٨ وقعـت أحداثٌ سياسـيَّة عديـدة محليَّـة وإقليميَّة ودوليَّــة أدّت إلــى توسـيع الشـرخِ بيـن جبهتَـيِ العهـد الشـمعوني ومعارضيـه. فالاندمـاجُ بيـن مصـر وسـوريا تحـت اسـم الجمهوريَّـة العربيَّـة المتحـدة(I) ـ مـع مـا رافقـه مـن مظاهـرِ ابتهـاجٍ سياسـي وشـعبي عنـد بعـض الفرقـاء وصَـلَ إلـى حـدِّ الاصطـدام مـع القـوات الحكوميَّـة وقيـام تظاهـراتٍ فـي مـدن مختلفـة منهـا صـور والنبطيَّـة وبنـت جبيـل الشـيعيَّة جنوبًـا وطرابلـس السُّـنيَّة شـمالًا ـ أثـارَ مخـاوفَ الاسـتقلاليّين اللبنانيّيـن. وأعـادَ ذلـك إلـى السـاحةِ فكـرةَ المشـروع العربـي، فاسـتغلَّه المعارضـون لفـرضِ الحيـاد، وازداد الطيـن بلّـة محليًّـا.(٥٥) وانتقـل هـذا

(I) تشكّل هذا الكيان في ٢٢ شباط ١٩٥٨ إثرَ الوحدة الاندماجيَّة بين مصر بزعامة جمال عبد الناصر وسوريا برئاسة شكري القوتلي، وقد انضمَّ إليها اليمن لاحقًا على أساس فديرالي. وقد كان للدعم المصري العسكري للقوات السوريَّة ضد تحرّكات عسكريَّة تركيَّة على حدود سوريا الشماليَّة الحافز القوي لدى الرأي العام في دمشق وبعض القادة السوريّين السياسيّين والعسكريّين لتبنّي فكرة الاتحاد مع مصر تحصينًا لموقع بلادهم الحيادي في الحرب الباردة في المنطقة، وتحقيقًا لحلم الوحدة الذي راود القوميين العرب فيها.



صورة لحبيب صادق بالسلاح خلال أحداث ١٩٥٨



الانقسـامُ الحـاد إلـى داخـل البرلمـان. وفـي ١٢ آذار، وبسـبب الظـروف المأزومـة، قـدَّم سـامي الصلـح اسـتقالةَ الحكومـة، ثـمَّ ألَّـفَ أخـرى جديـدة بعـد يوميـن شـارك فيهـا الشـيعة بوزيريـن همـا رشـيد بيضـون عـن بيـروت وكاظـم الخليـل عـن الجنـوب.(٥٦)



صورة لرشيد كرامي برفقة النقيب المنشق عبد الكريم الزين في أحداث ١٩٥٨

وفـي ٢٨ آذار، وقعـت اشـتباكاتٌ بيـن القـوى الأمنيَّة ومتظاهريـن مبتهجيـن بالوحـدة فـي مدينـة صـور نتـجَ عنهـا زجُّ أعـدادٍ منهـم فـي السـجن بتهمـة تحقيرِ العلـم اللبنانـي.(٥٧)

وتراكمـت التوتـرات وتفاقمـت عقـبَ اغتيـال الصحافـي المعـارض العضـو فـي الحـزب التقدمـي الاشـتراكي نسـيب المتنـي(I) فـي ٢ أيـار ١٩٥٨ ومـا تـلاه مـن انفجـاراتٍ وإضرابـات وصِدامـات مـع القـوى الأمنيَّـة فـي طرابلـس وبيـروت والشـوف والجنـوب وغيرهـا مـن المناطـق، لتصِـلَ إلـى مواجهـات مسـلّحة بـدأت فـي ١٥ تمـوز. وهـي أحـداثٌ أفسـحت المجال لنـزولٍ عسـكري أجنبـي فـي لبنـان تمثَّـلَ بالجيـش الأميركـي.(٥٨) واتّهـم العهـدُ الجمهوريَّـةَ العربيَّـة المتحـدة بإرسـال السـلاح والمتطوّعيـن مـن

(I) نسيب المتني: صحافي لبناني أسّس جريدة «التلغراف» وكان من دُعاة التقارب مع الجمهوريَّة العربيَّة المتحدة.



صورة لكامل الأسعد محمولا على الأكتاف

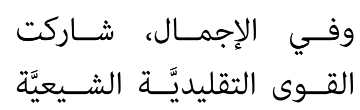
سوريا لدعم المعارضين في لبنان، فيما قال هؤلاء إنَّ الرئيسَ يحصل على المساعدات من العراق والأردن.[٥٩]

وفي المواقف، اعتبر كامل الأسعد أنَّ اغتيالَ نسيب المتني هو مصرعُ الحريَّة في لبنان.[٦٠] كما عارض والده أحمد الإنزالَ الأميركي ووصفَهُ بالإجراءِ الخطير، معتبرًا إيّاهُ احتلالًا عسكريًّا يهدفُ إلى ضرب المعارضة. كذلك رفَعَ رئيسُ مجلس النواب عادل عسيران مذكِّرةً إلى مجلس الأمن احتجَّ فيها، باسم المجلس، على التدخُّل الأميركي العسكري.[٦١] واستقالَ الوزير رشيد بيضون في ٢٢ أيار.[٦٢]

وفي المقابل، أخذَ الجيشُ اللبناني، وعبر قائدهِ فؤاد شهاب، موقفًا أقرب إلى الحياد نسبيًّا للحفاظ على وحدته، سواء حيال صِدامات الداخل أو مِنَ الإنزال الأميركي،[٦٣] إذ أنَّ هذه الأحداثَ المسلَّحة كادت تتحوَّل حربًا أهليَّة طائفيَّة بين المسلمين والمسيحيّين،[٦٤] الأمر الذي لا يتحملُّهُ وضعُ الجيش.



صورة لصبري حمادة يطلق فيها النار



وفي الإجمال، شاركت القوى التقليديَّة الشيعيَّة في هذه الأحداث جنبًا إلى جنب مع الأحزاب اليساريَّة.[٦٥]


صورة للرئيس فؤاد شهاب مع البطريرك عريضة

ففـي الجنـوب انخرطـت فيهـا مناطـق صيـدا وصـور والنبطيَّـة ومرجعيـون بتوجيـهٍ مـن أحمـد الأسـعد.[I] وبقيـت بنـت جبيـل والزهرانـي وجزيـن خـارجَ نطـاق العمليّـات العسـكريَّة. وفـي بعلبـك ـ الهرمـل سـيطرت قـواتٌ للمعـارض صبـري حمـادة[٦٦] علـى الأرض. وقـد سـرَّعَ تدخُّـلُ شـمعون بمجريـات الانتخابـات النيابيَّـة ومحاولته إقصـاءَ الزعيـمِ البقاعي والقضـاء علـى حلفائـه التقليديّيـن ودعـم منافسـه نايـف أمهـز، انضمـامَ حمـادة إلـى المعارضـة بحيـث أصبـح عمـادًا رئيسـيًّا فيهـا.[٦٧] كمـا أنَّ المنطقـةَ كانـت فـي حالـةِ نفـورٍ مـن الرئيـس منـذُ نكـثَ بتنفيـذ وعـدِهِ قبـل سـنوات بالعفـو عـن معتقليـن مـن الدنادشـة والجعافـرة،[٦٨] ليعـودَ ويرضـخ لاحقًـا بعـد تقديـم قائـد الجيـش شـهاب وعـدد مـن الضبـاط اسـتقالاتهم.[٦٩]

وهكـذا كان علـى مسـارِ هـذه الأحـداث المتراكمـة أنْ يقـودَ إلـى تسـويةٍ مـا تمنـعُ إعـادة انتخـاب شـمعون، لكـن مـن دون تقديـم اسـتقالته، كـي لا يُعتبـر ذلـك نصـرًا للخـط الناصـري المعـارض؛ وذلـك بانتخـابِ شـخص مقبـول مـن كافـة الأطـراف، وعبـر العـرّاب الأميركـي روبـرت مورفـي، فـكان قائـدُ الجيـش اللـواء فـؤاد شـهاب رئيـسَ إجمـاعٍ فـي جلسـة

(I) بدأت الخلافات تتأزّم بين شمعون وأحمد الأسعد بعدما بدأ الأوّل بدعم خصمَي الثاني كاظم الخليل وعادل عسيران. فاعتبرها الأسعد إضعافًا لزعامته في الجنوب. انظر/ي: سعد الحميداوي، **أحمد الأسعد ودوره السياسي في لبنان**، ص ١٢٤.



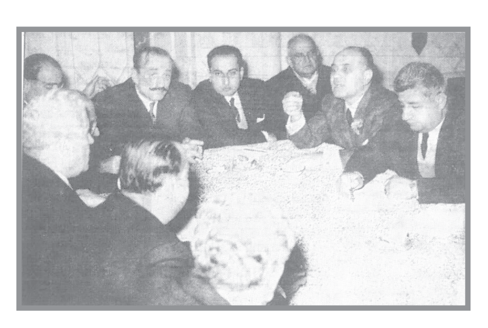
صورة الرئيس فؤاد شهاب يلقي كلمة بعد انتخابه رئيسًا للجمهورية

المجلس النيابي في ٣١ تموز ١٩٥٨ بأكثريَّة ٤٨ صوتًا في مقابل ٧ لريمون إدّه[I] وورقة بيضاء.[٧٠] وهكذا تمَّ التفاهمُ عليهِ إثرَ اتفاق أميركي ـ مصري ـ لبناني.[٧١] ولم تلبث القواتُ الأميركيَّة أنِ انسحبت على مراحل، وكانت مغادرةُ آخر فِرَقِها في ٢٥ تشرين الأول.[٧٢]

وفي الحكومةِ الأولى التي شكَّلها رشيد كرامي في عهد شهاب في ٢٤ أيلول من أشخاصٍ لم ينخرطوا في الأحداث،[٧٣] وتمثَّل الشيعة عبر محمد صفي الدين من الجنوب.[٧٤] لكنّها لم تدُم أكثر من شهرٍ وسقطت تحت ضغط الثورة المضادة التي قام بها الرأيُ العام المسيحي، ليعود كرامي على رأس حكومةٍ رباعيَّة في ١٤ تشرين الأول دون تمثيلٍ شيعي.[٧٥] لكن ما لبث أنْ أُعيدَ تشكيلُ الحكومة إثر استقالة ريمون إدّه، فكانت من ثمانية وزراء وفيها الشيعي علي بزي عن الجنوب.[٧٦]

وهكذا كانت أحداثُ ١٩٥٨ وما سبقها ضربةً للميثاق الوطني من قِبَل معظم الأفرقاء بحيث شاركَت الصيغةُ اللبنانيَّة المعقّدة في تسعيرِ تلك الضربة. وكان للشيعةِ، الذين ناضلوا كثيرًا ليكونوا في صُلبِ المشاركة، نصيبُهم مما جرى من خلال حضورِهم في الاعتراض ثمَّ الثورة على العهد الشمعوني الذي كان لا يُخفي

(I) ريمون إدّه: نجل إميل إدّه، محامٍ وسياسي، وُلد عام ١٩١٣. انتُخب نائبًا للمرة الأولى عام ١٩٥٣. توفّي عام ٢٠٠٠.



صورة أحمد الأسعد في اجتماع لجبهة الاتحاد لتأييد الرئيس فؤاد شهاب

ميولَـهُ للمحـور الغربـي الـذي كانـت سـلطتا العـراق وإيـران، الدولتـان الشـيعيّتان عامّـة، تسـيران فـي رِكابـه.

لـم تكُـن المشـاركة الشـيعيَّة المعترِضـة ثـمَّ الثائِـرة محصـورةً تحـت إمـرة القـادة المحليّيـن كأحمـد الأسـعد وصبـري حمـادة فحسـب، أو الانضـواء ضمـن «جبهـة الاتحـاد الوطنـي»[I] بزعامـة صائـب سـلام،[٧٧] بـل كانـت أعـدادٌ كبيـرة تحـت لـواء الأحـزاب الأخـرى كالحـزب الشـيوعي مثـلًا.

٧) مكسبان شيعيان في شؤون القضاء الجعفري

خـلال الخمسـينيات، حصـل الشـيعةُ علـى مكسـبَيْن علـى صعيـد تنظيـم شـؤون القضـاء الجعفـري:

- تعديـل المـادة ٢٤٠ مـن قانـونِ المحاكـم الشـرعيَّة الإسـلاميَّة. فمجلـسُ القضـاء الشـرعي كان الشـيعةُ يتمثّلـون فيـه بعضـو واحـد، أي أنَّ الأكثريَّـةَ السُّـنيَّة فيـه هـي مَـنْ تُقـرِّرُ مـا يتعلـق بقُضـاة الشـرع الجعفرييـن. ونتيجـةً للمطالبـة، عُدِّلـت المـادّة، وأصبحـت أحكامُهـا لا تطبَّـقُ بحـقِّ القضـاة الجعفرييـن إلّا إذا وافـقَ العضـو الشـيعي علـى القـرار.

- أُقِـرَّ قانـونُ تنظيـم القضـاء الجعفـري فـي ما لـه علاقـةٌ بتعيين

(I) جبهة الاتحاد الوطني: أطلقها صائب سلام بالشراكة مع ريمون إدّه وكان صبري حمادة من وجوهها البارزة.

القضاة، فبات ذلك خاضعًا لشَرطَيْ حيازةِ الشهادة من النجف والنجاح في الامتحان. وهكذا أُخرِجَت مسألةُ تسميةِ القضاة من أيدي رجال السياسة وذوي النفوذ الشيعة.(٧٨)



صورة لقاء لجمع من رجال الدين بحضور الشيخ محمد جواد مغنية

٨- مجيء موسى الصدر إلى لبنان

كان مجيء موسى الصدر، الإيراني الجنسيَّة اللبناني الأصل، إلى البلاد عام ١٩٥٩، عكْسَ وُجهةِ السير المعتادة على الطريق ما بين إيران ولبنان. فتاريخُ العلاقة بين جبل عامل وطهران كان يُفضي إلى هجرةٍ عكسيَّة منذ الزمن الصفوي في القرن السادس عشر. إلّا أنَّ الواقعَ في هذه المرحلة تغيّر، فالتوجُّه صار مِنْ موقعٍ شيعي كبير إلى آخرَ خلفي منعزل.(٧٩)

قبل استقرارِه، كانت للصدر زيارتان للبنان. الأولى عام ١٩٥٥ والتقى وقتها السيد عبد الحسين شرف الدين، وتعرَّف إلى أنسبائه، وزار بلدة شحور،(I) ثمَّ عاد إلى العراق ليقوم لاحقًا بزيارةٍ أخرى عام ١٩٥٧. والاثنتان كانتا بتشجيع من المرجع الإيراني حسين البروجردي.(٨٠)

في آخر حياة السيد عبد الحسين شرف الدين، زار شاه إيران محمد رضا بهلوي لبنان عام ١٩٥٦ والتقى شمعون في خطوةٍ

(I) هناك من يَنسبُ جذوره إلى بلدة معركة في قضاء صور. انظر/ي: فؤاد عجمي، **الإمام موسى الصدر وشيعة لبنان**، ص ٣٤.


صورة السيد موسى الصدر والسيد عبد الحسين شرف الدين

وصفها البعض بأنَّها لإنشاءِ تحالف،[٨١] وأرسل وفدًا إلى مدينة صور يطلب من السّيد شرف الدين زيارتَه من أجل تأييدِ الشيعة وتعزيز الطائفة وتقديم مساعدةٍ ماليَّة سخيَّة للكليَّة الجعفريَّة لكون الشاه، الملك الشيعي الوحيد في المنطقة، لكنّه لم يلقَ تعاونًا.[٨٢]

وبعد وفاة السّيد شرف الدين في ٣٠ كانون الأول ١٩٥٧، الأمر الذي ترك فراغًا شيعيًّا دينيًّا قياديًّا، بدأت مطالبةُ العديد من العامليّين الجنوبيّين[I] بمجيء موسى الصدر إلى لبنان.[٨٣] وهو كان أكملَ دراسةَ سنواتِه الأربع في النجف تحت رعاية المرجع الديني المجتهد محسن الحكيم،[II] صاحب النفوذ الديني الكبير على شيعة لبنان الذي يرجعُ إليه كثيرون في التقليد ويدفعون له الأخماس،[III] وقد نصحهُ أنْ يُلَبّيَ الدعوةَ المُرسلة إليه من أهالي مدينة صور والتي عمِلَ عليها أولاد السيد شرف الدين.

(I) استلم موسى الصدر رسالةً من أهل صور يتمنّون منه المجيء إلى المدينة ليأخُذ مكان السيد الراحل عبد الحسين شرف الدين. انظر/ي: مؤسسات الإمام الصدر، قصص إنسانيَّة، **مجيء الإمام الصدر إلى مدينة صور، مقطع من مقابلة السيدة منى مكي مع الإمام موسى الصدر**، تاريخ الدخول: ١٦ أيلول ٢٠٢٢، الساعة: ٠٠:٠٧.

(II) بعد وفاة البروجردي، تبنّى شاه إيران مرجعيَّةَ محسن الحكيم لتفويت الفرصة على بروز مرجعيَّة إيرانيَّة لأنَّه كان في صِدام مع بعض رجال الدين في بلاده. انظر/ي: فؤاد إبراهيم، **الفقيه والدولة ـ الفكر السياسي الشيعي ـ تطور الفقه السياسي الشيعي**، ص ٢٧٣.

(III) الخُمس عند الشيعة ما خلا خُمس الغنائم يُعرف بخُمس أرباح المكاسب. ويقتضي بدفع الشيعي خُمس ما زادَ عن مؤونته السنويَّة مهما كانت قيمة المبلغ. وتخرُج كلّ سنة.



صورة لموسى الصدر مع مجموعة من العلماء بينهم محمد جواد مغنية

كما أرسلَ الحكيم رسائل إلى أعيان الشيعة اللبنانيّين يُخبرُهم فيها عن مواهب الصدر الذي أخذ وقته قبل القدوم إلى لبنان. فأكملَ دراسةَ العلوم الدينيَّة في العراق حتى إطاحة النظام الملكي هناك في تموز ١٩٥٨،(I) تزامنًا مع أحداثِ لبنان، فعاد إلى إيران وعمِلَ في مجلّةٍ يدعمُها المرجع البروجردي الذي كانت له علاقاتٌ مع شيعة لبنان ونصحَهُ بدوره بتلبية الدعوة. والبروجردي غيرُ معادٍ لشاه إيران ويؤمِنُ بفصل الدين عن السياسة، ويرى أنَّ دورَ رجال الدين تقديم النُّصحَ لا القتال. وهكذا اقتنع الصدر بفكرة المجيء إلى لبنان، فكان في عام ١٩٥٩ الانتقالُ من إيران إلى لبنان في ظلِّ حكم فؤاد شهاب.(٨٤)

وبقدومه من إيران التي بكَّرَ فيها رجال الدين في الانفتاحِ على الواقع السياسي، خرقَ موسى الصدر تقليدَ رجال الدين الشيعة السائد

(I) أدى الانقلاب الذي وقعَ على يدِ ما يُدعى «الضباط الوطنيّين» وبينهم عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف إلى انتهاء المَلَكيَّة في العراق في ١٤ تموز ١٩٥٨ باغتيال الملك فيصل الثاني وأفراد العائلة المَلَكيَّة، كما قُتِلَ رئيس الوزراء نوري السعيد في هذا الانقلاب.

فـي لبنـان فـي تلـكَ المرحلـة الـذي كان قائمًـا علـى الهـدوء والانكفـاء السياسـي. وهـو جـاءَ بعـد انتهـاءِ حقبـةٍ سياسـيَّة محليَّـة حافلـة وبدايـةِ حكـمٍ سياسـي جديـد. حقبـةٌ تشـابكت أزماتُهـا الداخليَّـة مـع تلـك الإقليميَّة والدوليَّـة. ولذلـك ربـطَ البعـضُ حضـور موسـى الصـدر ومبادراتـه، بحـركاتٍ سياسـيَّة محليَّـة أو عربيَّـة أو عالميَّـة، علـى حـد قولـه هـو نفسـه.[٨٥]

٩) الصدر وشهاب: الوفاق والتعاون

رغـم أنَّ إصلاحـات شـهاب لـم تخـرُج عـن إطـارِ النظـام القائـم، إلّا أنَّـه يُمكـن القـول إنَّهـا لقيـت التأييـد مـن جانـب أوسـاطٍ واسـعةٍ فـي لبنـان متنوّعـة الانتمـاءات الاجتماعيَّـة.[٨٦] فقـد كـرَّسَ أوَّلَ سـنتين مـن عهـدهِ لتحقيـقِ الانفـراج فـي العلاقـات الداخليَّـة وبنـاء الوحـدة الوطنيَّـة بيـن اللبنانيّيـن والمسـاواة بينهـم.[٨٧]

تـودَّدَ موسـى الصـدر للنظـامِ الجديـد الـذي كان يريـدُ للبلـدِ مسـتقبلًا يتخطّـى السياسـة القديمـة، فمنَحَـه الرئيـس لاحقًـا الجنسـيَّةَ اللبنانيَّـة وانطلقـت الشـائعاتُ تتّهمُـه بأنَّـه تابـعٌ لـه. والتقـت خطـواتُ الصـدر مـع رغبـةِ الإصـلاح الشـهابي فـي البحـثِ عـن قـوى جديـدة فـي مواجهـةِ تلـك التقليديَّـة. إذ طالـبَ الصـدر بالإصلاحـات، مِـنْ مـدارس ومسـتوصفات وبحصـةٍ أكبـر مـن الموازنـة الوطنيَّـة للمـدن والقـرى المُهْمَلَـة فـي الجنـوب، كمـا بوظائـفَ أكثـر للشـيعة فـي الدوائـر الحكوميَّـة.[٨٨] ولذلـك حـاول ملاقـاةَ أفـكارِ فـؤاد شـهاب فـي وسـط الطريـق. فالرئيـس كان معتنِقًـا لفلسـفةِ الأب لويـس لوبريـه[I] القائلـة

(I) الأب لويس لوبريه: كاهن ومفكّر واقتصادي فرنسي. أسّس العديد من المؤسسات التي تُعنى بالقضايا الاجتماعيَّة والإنسانيَّة وتوظيف القضايا الاقتصاديَّة في سبيل ذلك. توفّي عام ١٩٦٦.



صورة لزعماء البقاع الشمالي في زيارة للرئيس فؤاد شهاب

بـ«الاقتصـاد الإنسـاني» أي بتحقيـقِ الإنمـاءِ المتكامـل وتوزيـع الثـروة فـي البـلاد بهـدف سـدِّ الفجـوةِ بيـن مجـالات اللامسـاواة علـى الصعيدَيْـن الاجتماعـي والمناطقـي.

لقـد اعتبـر الرئيـس أنَّ الانقسـامات الاقتصاديَّـة والاجتماعيَّـة هـي مصـدرُ الاضطرابـات ويجـب أنْ تُعالَـج. ولذلـك كان لا بـدَّ مـن تحقيـقِ توزيـعٍ أكثـر مسـاواة للثـروات والخدمـات، لكـن مـع المحافظـةِ علـى الصيغـة اللبنانيَّـة كـي لا تتعـرّضَ الجمهوريَّـة للخطـر.[٨٩] فنفَّـذَ سياسـةً إنمائيَّـة تتعلّـقُ بالبنى التحتيَّـة مثـل الطرقـات ووسّـع شـبكة الكهربـاء وأنشـأَ المـدارس الرسـميَّة، وباشـر إصلاحًـا إداريًّـا مسـتحدثًا عـددًا مـن المجالـس والمصالـح.[I]

وكذلـك كان الطرفـان يحمـلان تصـوّرًا جديـدًا للبنـان، فكانـا يتفقـان علـى التوفيـق بيـن العروبـة واللبْنَنـة. فالصـدر عَمِـلَ بجـد علـى لبْنَنـة شـيعة الكيـان ورسَّـخ الأحاسـيسَ الوطنيَّـة، وعـزّزَ الارتبـاطَ بالدولـة وخصوصًا عند

(I) منها على سبيل المثال لا الحصر: مجلس الخدمة المدنيَّة، مصلحة الإنعاش الاجتماعي، هيئة التفتيش المركزي والمشروع الأخضر. انظر/ي: عاطف عيد، **لبنان تاريخ سياسة وحضارة بين الأمس واليوم**، ج١١، ص ٧١.

شـيعةِ المناطـق النائيـة. وأمّـا شـهاب الـذي سـعى لتدعيـمِ الاسـتقلاليَّة اللبنانيَّـة، فقـد تبنّـى مقولـةَ ريـاض الصلـح حـول تقويـة الحـسِّ بالعروبـة عنـد المسـيحيّين ولبْنَنـة الشـعور العربـي عنـد المسـلمين.(٩٠)

وفـي بعلبـك ـ الهرمـل، تابـعَ شـهاب مـا بـدأهُ فـي عهـد شـمعون مـن علاقـات جيّـدة مـع العشـائر، إذ أَوْلاهـم اهتمامًـا خاصًّـا بربطِهـم بـوزارة الدفـاع مباشـرةً عبـر الضابـطِ بطـرس عبـد السـاتر الـذي عيَّنَـهُ مستشـارًا لشـؤون العشـائر فـكان يُرتِّـبُ اللقـاءات بيـن الرئيـس وشـيوخها الذيـن لـم يجـدوا مُشـكلةً فـي إرسـاء هـذه العلاقـاتِ المتينـة علـى حسـاب زعامتهـم التقليديَّـة الممثّلـة بصبـري حمـادة. وتوسّـعت الهُـوَّةُ بيـن حمـادة وشـهاب، فرفـضَ الأوّل بدايـةً انتخـاب الثانـي لرئاسـة الجمهوريَّـة بحجّـة عـدم فتـحِ شـهيَّةِ العسـكر علـى السـلطة. واسـتمرّت العلاقـة النديّـة بيـن الطرفيـن وبـرزَت فـي انتخابـات ١٩٦٠ النيابيَّـة بعـد تشـكيل زعمـاءِ العشـائرِ لائحـةً منافِسـة لحمـادة مدعومـةً مـن المكتـب الثانـي،(I) وعبـرَ بطـرس عبـد السـاتر نفسـه.(٩١)

(I) تأسّست «الشعبة الثانية» عام ١٩٤٥ مع الجيش اللبناني وتولّى رئاستها قائد الجيش السابق العماد إميل بستاني، وتوالى على رئاستها العديد من الضباط وصولًا إلى الملازم أوّل أنطوان سعد الذي استمر بها حتى عهد الرئيس فؤاد شهاب حين تحولت من «الشعبة الثانية» إلى «المكتب الثاني»، تيمنًا بالمكتب الثاني السوري. انظر/ي: **المكتب الثاني**، جريدة النهار، عدد خاص، ميلاد ١٩٧٠ ورأس سنة ١٩٧١.

الهوامش

(١) علي فتوني، **تاريخ لبنان الطائفي**، ص ١١٥.

(٢) علي فتوني، المصدر السابق، ص ١١١-١١٢.

(٣) علي شعيب، **تاريخ لبنان من الاحتلال إلى الجلاء ١٩١٨-١٩٤٦**، ص ٢٢٧.

(٤) حسان حلاق، **تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٥٢**، ص ٢١٩.

(٥) فواز طرابلسي، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، ص ١٨٧.

(٦) فؤاد عجمي، **الإمام المغيب موسى الصدر وشيعة لبنان**، ص ٧٧.

(٧) ماجدة رماني، **الانتداب الفرنسي على لبنان ١٩٢٠-١٩٤٦**، ص ٧٧.

(٨) علي شعيب، **تاريخ لبنان من الاحتلال إلى الجلاء ١٩١٨-١٩٤٦**، ص ٢٣٢؛ أحمد زين الدين، **كيف انتخب حبيب أبي شهلا رئيسًا للمجلس النيابي عام ١٩٤٦**، شبكة الثبات الإعلاميَّة، ٢٤ أيار٢٠٢٢، تاريخ الدخول: ٢ كانون الأول ٢٠٢٢، الساعة ٢٢:٣٩.

(٩) أحمد بيضون، **الصيغة الميثاق الدستور**، دار النهار للنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ص ١٢.

(١٠) أحمد بيضون، المصدر السابق، ص ١٥.

(١١) عاطف عيد، **لبنان تاريخ سياسة وحضارة بين الأمس واليوم**، ج١٠، ص ٩٧.

(١٢) أحمد بيضون، **الصيغة الميثاق الدستور**، ص ١٨.

(١٣) علي شعيب، **التجربة الحزبيَّة عند شيعة لبنان**، مقالة في كتاب **الشيعة في لبنان من التهميش إلى المشاركة الفاعلة**، لمجموعة من الباحثين، ص ٢٨٧-٢٨٨.

(١٤) علي شعيب، المصدر السابق، ص ٢٩٠.

(١٥) علي شعيب، المصدر السابق، ص ٢٩١.

(١٦) رشيد بيضون (١٨٨٩-١٩٧١) مستنيرًا على قلّة علم، موقع **الشهريَّة**، الجمعة ١١ أيلول ٢٠١٥، تاريخ الدخول: ٦ نيسان ٢٠٢٣، الساعة: ١٥:٢٥.

(١٧) سمير صبرا، منظمة الطلائع أحزاب سادت ثمَّ بادت (١)، **الشراع**، ٣٠ أيلول ١٩٨٥، ص ٦٦.

(١٨) علي شعيب، **التجربة الحزبيَّة عند شيعة لبنان**، مقالة في كتاب **الشيعة في لبنان من التهميش إلى المشاركة الفاعلة**، لمجموعة من الباحثين، ص ٢٩٢.

(١٩) علي شعيب، المصدر السابق، ص ٢٩٤.

(٢٠) علي شعيب، المصدر السابق، ص ٢٩٥.

(٢١) بلال الحسن، حركة القوميين العرب: نشأتها وتطورها عبر وثائقها، مجلة **الدراسات الفلسطينيَّة**، مجلد ١٢، عدد ٤٧، صيف ٢٠٠١، ص ١٤٠.

(٢٢) علي شعيب، **التجربة الحزبيَّة عند شيعة لبنان**، مقالة في كتاب **الشيعة في لبنان من التهميش إلى المشاركة الفاعلة**، لمجموعة من الباحثين، ص ٢٩٥.

(٢٣) فؤاد عجمي، **الإمام المغيب موسى الصدر وشيعة لبنان**، ص ٩٠.

(٢٤) فؤاد عجمي، المصدر السابق، ص ٧٤.

(٢٥) محمد جميل بيهم، **النزعات السياسيَّة بلبنان عهد الانتداب والاحتلال ١٩١٨-١٩٤٥**، ص ٣٨-٤١.

(٢٦) أصدقاء رشيد بيضون، **رشيد بيضون قول وفعل**، بيروت، ١٩٦٧، ص ٦٢.

(٢٧) فؤاد عجمي، **الإمام المغيب موسى الصدر وشيعة لبنان**، ص ٧٩.

(٢٨) هاني فحص، **الشيعة بين الاجتماع والدولة**، ص ٨٣.

(٢٩) سعد الحميداوي، **أحمد الأسعد ودوره السياسي في لبنان ١٩٠٨-١٩٦١**، ص ١١٧.

(٣٠) حسان حلاق، **تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٥٢**، ص ٤٢٤.

(٣١) ماجد ماجد، **تاريخ الحكومات اللبنانيَّة ١٩٢٦-١٩٩٦**، ص ٨٠.

(٣٢) حسان حلاق، **تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٥٢**، ص ٤٢٦-٤٢٧.

(٣٣) حسان حلاق، المصدر السابق، ص ٤٢٩-٤٣٠.

(٣٤) ماجد ماجد، **تاريخ الحكومات اللبنانيَّة ١٩٢٦-١٩٩٦**، ص ٨٢.

(٣٥) ماجد ماجد، المصدر السابق، ص ٨١.

(٣٦) حسان حلاق، **تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٥٢**، ص ٤٤٠-٤٤١.

(٣٧) ماجد ماجد، **تاريخ الحكومات اللبنانيَّة ١٩٢٦-١٩٩٦**، ص ٨٥.

(٣٨) حسان حلاق، المصدر السابق، ص ٤٤٩.

(٣٩) ماجد ماجد، **تاريخ الحكومات اللبنانيَّة ١٩٢٦-١٩٩٦**، ص ٨٧-٨٨.

(٤٠) حسان حلاق، **تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٥٢**، ص ٤٥٥.

(٤١) سعد الحميداوي، **أحمد الأسعد ودوره السياسي في لبنان ١٩٠٨-١٩٦١**، ص ١١٩.

(٤٢) ليلى رعد، **تاريخ لبنان السياسي والاقتصادي ١٩٥٨-١٩٧٥**، مكتبة السائح، طرابلس، ،ط١، ٢٠٠٥، ص ٣٧-٣٨.

(٤٣) عدنان ضاهر ورياض غنام، **المعجم الوزاري اللبناني**، دار بلال للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٨. ص ٧٠؛ ماجد ماجد، **تاريخ الحكومات اللبنانيَّة ١٩٢٦-١٩٩٦**، ص ٩٦.

(٤٤) حسن غريب، **نحو تاريخ فكري ـ سياسي لشيعة لبنان**، ج٢، ص ٧٤.

(٤٥) حمدي الطاهري، **سياسة الحكم في لبنان تاريخ لبنان من الانتداب حتى الحرب الأهليَّة ١٩٢٠-١٩٧٦**، منشورات إسمار، باريس، ط٢، ٢٠٠٦، ص ٣٢١-٣٢٢.

(٤٦) محمد جميل بيهم، **لبنان بين مشرق ومغرب ١٩٢٠-١٩٦٩**، ص ١٢٧.

(٤٧) ليلى رعد، **تاريخ لبنان السياسي والاقتصادي ١٩٥٨-١٩٧٥**، ص ٦٠.

(٤٨) حسن غريب، **نحو تاريخ فكري ـ سياسي لشيعة لبنان**، ج٢، ص ٥٦.

(٤٩) حسن غريب، المصدر السابق، ج٢، ص ٥٩.

(٥٠) ماجد ماجد، **تاريخ الحكومات اللبنانيَّة ١٩٢٦-١٩٦٦**، ص ١٢٤.

(٥١) محمد جميل بيهم، **لبنان بين مشرق ومغرب ١٩٢٠-١٩٦٩**، ص ١٣١.

(٥٢) ليلى رعد، **تاريخ لبنان السياسي والاقتصادي ١٩٥٨-١٩٧٥**، ص ٦٢-٦٤.

(٥٣) عباس أبو صالح، **الأزمة اللبنانيَّة عام ١٩٥٨**، المنشورات العربيَّة، بيروت، ١٩٩٨، ص ٦٧-٧٠.

(٥٤) ماجد ماجد، **تاريخ الحكومات اللبنانيَّة ١٩٢٦-١٩٦٦**، ص ١٢٧.

(٥٥) عباس أبو صالح، **الأزمة اللبنانيَّة عام ١٩٥٨**، ص ٨١-٨٢.

(٥٦) ماجد ماجد، **تاريخ الحكومات اللبنانيَّة ١٩٢٦-١٩٦٦**، ص ١٢٩.

(٥٧) ليلى رعد، **تاريخ لبنان السياسي والاقتصادي ١٩٥٨-١٩٧٥**، ص ٧٧.

(٥٨) عباس أبو صالح، **الأزمة اللبنانيَّة عام ١٩٥٨**، ص ١٣٣.

(٥٩) وهيب أبي فاضل، **لبنان في مراحل تاريخه الموجزة**، ص ٣٢٦.

(٦٠) ليلى رعد، **تاريخ لبنان السياسي والاقتصادي ١٩٥٨-١٩٧٥**، ص ٨٣.

(٦١) سعد الحميداوي، **أحمد الأسعد ودوره السياسي في لبنان ١٩٠٨-١٩٦١**، ص ١٥٤.

(٦٢) ماجد ماجد، **تاريخ الحكومات اللبنانيَّة ١٩٢٦-١٩٦٦**، ص ١٢٩.

(٦٣) عباس أبو صالح، **الأزمة اللبنانيَّة عام ١٩٥٨**، ص ١٤٧.

(٦٤) ندى فياض، **الدولة المدنيَّة تجربة فؤاد شهاب في لبنان**، منتدى المعارف، بيروت، رسالة ماجستير، ط١، ٢٠١١، ص ٦٠.

(٦٥) حسن غريب، **نحو تاريخ فكري ـ سياسي لشيعة لبنان**، ج٢، ص ٥٦.

(٦٦) عباس أبو صالح، **الأزمة اللبنانيَّة عام ١٩٥٨**، ص ١٠٨-١١١.

(٦٧) غسان طه، **شيعة لبنان ـ العشيرة ـ الحزب ـ الدولة (بعلبك ـ الهرمل نموذجًا)**، ص ١٢٤.

(٦٨) ندى فياض، **الدولة المدنيَّة تجربة فؤاد شهاب في لبنان**، ص ٥٥.

(٦٩) غسان طه، **شيعة لبنان ـ العشيرة ـ الحزب ـ الدولة (بعلبك ـ الهرمل نموذجًا)**، ص ١٢٧.

(٧٠) عباس أبو صالح، **الأزمة اللبنانيَّة عام ١٩٥٨**، ص ١٦٦.

(٧١) ليلى رعد، **تاريخ لبنان السياسي والاقتصادي ١٩٥٨-١٩٧٥**، ص ٩٣.

(٧٢) فواز طرابلسي، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، ص٢٣٦.

(٧٣) عاطف عيد، **لبنان تاريخ سياسة وحضارة بين الأمس واليوم**، ج١١، ص ٦٥.

(٧٤) ماجد ماجد، **تاريخ الحكومات اللبنانيَّة ١٩٢٦-١٩٦٦**، ص ١٣٥.

(٧٥) عاطف عيد، **لبنان تاريخ سياسة وحضارة بين الأمس واليوم**، ج١١، ص ٦٦.

(٧٦) ماجد ماجد، **تاريخ الحكومات اللبنانيَّة ١٩٢٦-١٩٦٦**، ص ١٣٨.

(٧٧) مارلين خليفة، ثورة ١٩٥٨ بروفة لحرب ١٩٧٥، موقع **مصدر ديبلوماسي**، ٢٤ آذار ٢٠١٩، تاريخ الدخول: ٢١ آب ٢٠٢٢، الساعة: ١٣:٢٩.

(٧٨) حسن غريب، **نحو تاريخ فكري ـ سياسي لشيعة لبنان**، ج٢، ص ٦٣.

(٧٩) فؤاد عجمي، **الإمام المغيب موسى الصدر وشيعة لبنان**، ص ٣٢.

(٨٠) **محطات تاريخيَّة في سيرة السيد موسى الصدر**، موقع مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات، تاريخ الدخول: ٢١ آب ٢٠٢٢، الساعة: ١١:٥٤.

(٨١) أسعد أبو خليل، **عهد السافاك: عندما كان تدخل إيران في لبنان محمودًا**، موقع عربي٢١، السبت ١٧ نيسان ٢٠٢١، تاريخ الدخول: ٢٢ آب ٢٠٢٢، الساعة: ٩:٥٢.

(٨٢) هاني فحص، **الشيعة بين الاجتماع والدولة**، ص ١٥٦.

(٨٣) جهاد بنوت، **حركات النضال في جبل عامل**، ص ٣٠١.

(٨٤) فؤاد عجمي، **الإمام المغيب موسى الصدر وشيعة لبنان**، ص ٥١-٥٢، ٥٤.

(٨٥) حسن غريب، **نحو تاريخ فكري ـ سياسي لشيعة لبنان**، ج٢، ص ١٠٨-١٠٩.

(٨٦) علي فتوني، **تاريخ لبنان الطائفي**، ١١٨.

(٨٧) فواز طرابلسي، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، ص ٢٤٠.

(٨٨) فؤاد عجمي، **الإمام المغيب موسى الصدر وشيعة لبنان**، ص ١١١-١١٢.

(٨٩) ليلى رعد، **تاريخ لبنان السياسي والاقتصادي ١٩٥٨-١٩٧٥**، ص ١١١.

(٩٠) ندى فياض، **الدولة المدنيَّة تجربة فؤاد شهاب في لبنان**، ص ٦٦.

(٩١) غسان طه، **شيعة لبنان ـ العشيرة ـ الحزب ـ الدولة (بعلبك ـ الهرمل نموذجًا)**، ص ١٢٧-١٢٨.

الفصل الثامن

الشيعة في المؤسّستَيْن التشريعيَّة والتنفيذيَّة مِن الانتداب حتى مجيء الصدر

يمكــن القــولُ إنَّ الرعيــلَ السياســي الأوّل المُمثِّــل للطائفــة الشــيعيَّة فــي مجلــس النــواب قــد ســلَك، بشــكلٍ عــام، خطًّــا وطنيًّــا مؤمنًــا بهــذا الكيــان الجديــد الناشــئ. و«فــي قــراءةٍ هادئــة لخطاباتهــم [الجيــل المؤسّــس]في مجلــس النــواب اللبنانــي، مُنــذ عهــد الانتــداب إلــى الاســتقلال ومــا بعــده، نجدُهــا تحكــي عــن ســلوكيّاتٍ سياســيَّة ذات طابــع وطنــي عــام [...] وكانــت شــبكةُ علاقاتِهــم السياســيَّة الوطنيَّــة تمــرُّ بمتَّحداتِهــم الطائفيَّــة وتتجاوزهــا مــن دون مبالغــة أو قطيعــة».[١]

كمــا يُلاحَــظ أنَّ طبقــةَ السياســيّين هــؤلاء كانــت مــن العائــلات المالكــة للأراضــي (الزّيــن، الأســعد، عســيران، الفضــل، حمــادة، حيــدر...)، بينمــا فشِــلت النُّخَــبُ المثقّفــة الشــيعيَّةُ فــي الوصــولِ إلــى المواقــع السياسـيَّة.[٢] فالفرنسـيّون كافـأوا الذيـن وقفـوا إلـى جانـب مشـروعهم، فســاندوهم فــي تولّــي المناصــب الرســميَّة.[٣]

وهكــذا بــدأ الشــيعة، ومــن خــلال العمــل السياســي يؤسّســون لموقــعٍ لهــم بيــنَ الطوائــف السياســيَّة، ولكــنَّ الســمةَ الأبــرز التــي عُرفــوا بهــا، حتــى فــي الخمســينيات، هــي عــدمُ تأثيرهــم فــي مجــرى السياســة اللبنانيَّــة.[٤]

١) النواب

نتيجـة ضـمِّ البقـاع ـ بعلبـك وجبـل عامـل إلـى لبنـان الكبيـر، باتـت النِسَـبُ الشـعبيَّة الشـيعيَّة الكبـرى فـي البقـاع والجنـوب. وصـارَ شـيعة جبـل لبنـان يمثّلـون الأقليَّـة بالمقارنـة بباقـي الشـيعة.

وفـي عـرضٍ تاريخـي، فـإنَّ اللجنـة الإداريَّـة للبنـان الكبيـر التـي شـكَّلها الجنـرال غـورو فـي أيلـول ١٩٢٠ مـن ١٧ عضـوًا برئاسـة داود عمـون، كان فيهـا عضـوان شـيعيّان، بقاعـي وجنوبـي همـا إبراهيـم حيـدر وحسـين الزّيـن.(٥) وبذلـك تكـونُ السـلطة الانتدابيَّـة أبعـدَت عائلـة حمـادة التـي كانـت تشـكِّل قبْـلُ موقعًـا سـلطويًّا.(٦)

وفـي المجلـس التمثيلـي الأوّل عـام ١٩٢٢، وبعـد حـلِّ اللجنـة الإداريَّـة، صـار الانتخـابُ باللـواءِ (محافظـة) لا بالقضـاء،(I) وتمثَّـل الشـيعة بخمسـة نـواب مـن أصـل ٣٠. فـكان لِلـواءِ الجنـوب ثلاثـة هـم فضـل الفضـل، نجيـب عسـيران ويوسـف الزّيـن، بينمـا لِلـواءِ البقـاع نائبـان همـا إبراهيـم حيـدر وأحمـد الحسـيني.(٧)

فـي المجلـس التمثيلـي الثانـي الـذي انتُخِـب فـي تمـوز ١٩٢٥، حضـرَ الجنـوب بنجيـب عسـيران وعبـد اللطيـف الأسـعد ويوسـف الزّيـن، والبقـاع بصبحـي حيـدر وصبـري حمـادة. وانتُخِـب موسـى نمّـور رئيسًـا لـه، وعُيِّـن يوسـف الزّيـن أمينًـا للسـر إلـى جانـب شـبل دمـوس.(٨) وقـد فضَّـل الفرنسـيّون ترشـيح صبحـي حيـدر بـدلًا مـن إبراهيـم حيـدر لاسـتيعابِ المعارَضـة للانتـداب التـي ظهـرت فـي جُـبِّ صبحـي مـن خـلال توفيـق هَوْلـو حيـدر.(٩)

(I) قُسِّم لبنان آنذاك إلى منطقتين وأربعة ألوية (محافظات) هي: منطقتا طرابلس وبيروت، وألوية لبنان الشمالي وجبل لبنان ولبنان الجنوبي والبقاع. انظر/ي: لحد خاطر، **الانتخابات النيابيَّة في تاريخ لبنان**، ص ١١٩.

وبعد إعلان الدستور في ٢٣ أيار ١٩٢٦، وقَّع هنري دو جوفنيل قرارًا عَيَّنَ فيه الشيوخ الـ١٦ للمرة الأولى، وكان للشيعة اثنان جنوبيّان هما حسين الزّين وفضل الفضل وبقاعي واحد هو إبراهيم حيدر الذي عُزِلَ بقرارٍ من المفوّض السامي فخلفَه أحمد الحسيني.

وفي زمن المفوّض السامي هنري بونسو، تمَّ تعديل الدستور في تشرين الأول ١٩٢٧ لدمجِ مجلسَيِ التمثيلي والشيوخ وليتكوَّنَ للبنان المجلس النيابي الأوّل مؤلّفًا من ٤٥ عضوًا ثلثاهم منتخبون وثلثهم مُعيَّن. وانتُخِب لرئاسة المجلس النيابي الأوّل محمد الجسر ولنيابة الرئاسة حبيب باشا السعد.

وفي ١٦ تشرين الأول ١٩٢٨ جُدِّدَت الرئاسة لمحمد الجسر، وكان الشيعي الجنوبي يوسف الزّين نائبًا له.[١٠] وأمّا الأعضاء الشيعة المنتخَبون فكانوا ثلاثة عن الجنوب: نجيب عسيران، يوسف الزّين وعبد اللطيف الأسعد، واثنان عن البقاع هما صبحي حيدر وصبري حمادة. والمعيَّنون كانوا أحمد الحسيني عن كسروان وحسين الزّين وفضل الفضل عن النبطيَّة.[١١]

وفي ١٧ حزيران ١٩٢٩ عَيَّنَ رئيس الجمهوريَّة شارل دباس ١٥ نائبًا لدورةٍ نيابيَّة ابتداؤها من ١٢ تموز ١٩٢٩ وانتهاؤها في ١٢ تموز ١٩٣٣. ونال الشيعة ثلاثة نواب، اثنان عن الجنوب هما علي نصرت الأسعد وفضل الفضل، وواحد عن جبل لبنان هو أحمد الحسيني. وانتخَب المجلسُ محمد الجسر رئيسًا له وبقيت نيابة الرئيسِ ليوسف الزّين. وكان التجديدُ شبيهًا أعوام ١٩٣٠، ١٩٣١، و١٩٣٢.[١٢] وبخصوص النواب المنتخَبين، فقد حصل الشيعةُ على خمسة مقاعد وبقيت الجنوبيَّة منها ليوسف الزّين، نجيب عسيران وعبد اللطيف الأسعد، وفي البقاع لصبري حمادة وانضم إليه إبراهيم حيدر. وانتهت ولاية هذا المجلس بقرار من بونسو في

٩ أيـار ١٩٣٢ علَّـقَ بموجبـه الدسـتور وحـلَّ مجلـس النـواب والـوزراء، وكلَّـف شـارل دبـاس القيـام بوظيفـة رئيـس حكومـة فشُـلَّت الحيـاة النيابيَّـة فـي لبنـان.[١٣]

وأواخـر العـام ١٩٣٣ قـرَّر الفرنسـيون إعـادة المجلـس النيابـي، فطلبـوا مـن دبـاس الاسـتقالة وأبدلـوه فـي ٢ تشـرين الثانـي بحبيـب باشـا السـعد بلقـب رئيـسٍ جمهوريَّـة وبصلاحيّـاتِ رئيـس دولـة. وجـرت الانتخابـات مطلـع عـام ١٩٣٤،[١٤] ونـال الشـيعة ثلاثـة مقاعـد مـن أصـل ١٨، اثنـان جنوبيّـان لفضـل الفضـل[I] ونجيـب عسـيران، وبقاعـي واحـد هــو صبــري حمــادة. وبإضافــة النــواب السـبعة المُعيّنيــن، وبينهــم شـيعي واحـد هـو إبراهيـم حيـدر عـن البقـاع، يكـون العـدد الإجمالـي هـو ٢٥. وتوالـى علـى هـذا المجلـس ثلاثـةُ رؤسـاء هـم شـارل دبـاس، بتـرو طـراد، وخالـد شـهاب. أمّـا نائـب الرئيـس فـكان واحـدًا للثلاثـة وهـو نجيـب عسـيران.[١٥]

ويُلاحـظُ أنَّ حجـمَ التمثيـلِ الشـيعي كان يتَّسـعُ ويضمـرُ بحسـبِ العـدد الإجمالـي للنـواب فـي المجالـس والـذي لـم يكـن ثابتًـا بعـد. ففـي المجلـس النيابـي لعـام ١٩٣٧، مجلـس الــ٦٣ نائبًـا، ومـا بعـد المعاهـدة اللبنانيَّـة الفرنسـيَّة، تمَّـت الانتخابـات للثلثَيْـن (٤٢ نائبًـا) فـكان للشـيعة ثمانيـة، خمسـة للجنـوب هـم أحمـد الأسـعد، كاظـم الخليـل، يوسـف الزّيـن، رشـيد بيضـون ونجيـب عسـيران، واثنـان للبقـاع همـا صبـري حمـادة وإبراهيـم حيـدر، وأحمـد الحسـيني فـي جبـل لبنـان. وأمّـا النـواب الــ٢١ المُعيّنـون، فـكان للشـيعة فيهـم ثلاثـة، اثنـان للجنـوب همـا بهيـج الفضـل وعلـي العبـد اللـه، ورشـيد الحرفـوش فـي البقـاع.

(I) خلَفَه ابنُه بعد وفاته. انظر/ي: حسن غريب، **نحو تاريخ فكري ـ سياسي لشيعة لبنان**، ص ٢٩٦.

وفـي جلسـة الافتتـاح للمجلـس اقْتـرِح أنْ يكـون رئيسـه شـيعيًّا، ورغـم عـدمِ ورودِ اعتـراض، أسـفر التصويـتُ عـن فـوزِ بتـرو طـراد بأكثريَّـة ٣٦ صوتًـا فـي مواجهـة الشـيعي صبـري حمـادة الـذي نـال ٢٤. ولكـن نيابـةَ الرئيـس بقيـت لممثّـل الجنـوب الشـيعي نجيـب عسـيران. وتكـرَّرَ انتخـابُ الرئيـسِ ونائبِـه فـي دورة تشـرين الأول عـام ١٩٣٨.

وفـي ٢١ أيلـول ١٩٣٩، عُطِّـلَ الدسـتورُ وحُلَّـت مؤسّسـتا مجلسَـيْ النواب والـوزراء.[١٦] وعـام ١٩٤٣ أُعيـدَ العمـلُ بالدسـتور واسـتُعيدت الحيـاة الوزاريَّـة والنيابيَّـة، وأعلـن الجنـرال جـورج كاتـرو أنَّ السـلطةَ الفرنسـيَّة سـتتنحّى حـالَ انتخـابِ رئيـسِ جمهوريَّـة لبنـان الدسـتوري.[١٧]

وتــمَّ فــي ١٨ آذار تعديــلٌ دســتوري قضــى باختيــارِ جميــع النــواب الــ٥٥ مـن الشـعب. وجـرت الانتخابـات فـي ٢٩ آب و٥ أيلـول وأُسـنِدت رئاسـة المجلـس النيابـي للمـرّة الأولـى إلـى شـيعي هـو صبـري حمـادة واختيـر نقـولا غصـن نائبًـا لـه. وكانـت حصّـةُ الشـيعة فـي الانتخابـات النيابيَّــة هــذه عــن البقــاع حمــادة وإبراهيــم حيــدر، وســتة عــن الجنـوب هـم أحمـد الأسـعد، رشـيد بيضـون، كاظـم الخليـل، محمـد الفضـل، علـي العبـد اللـه وعـادل عسـيران، وعـن جبـل لبنـان أحمـد الحسـيني، وعـن بيـروت محمـد بيضـون،[١٨] وكانـت تلـك المـرّة الأولـى التـي يُخصّـص فيهـا مقعـد للشـيعة فـي بيـروت.[I]

بعـد زوال الانتـداب وتحقيـق الاسـتقلال فـي ١٩٤٣ وحتـى عـام ١٩٥٩، أُجرِيَــت انتخابــات نيابيَّــة، أعــوام ١٩٤٧، ١٩٥١، ١٩٥٣ و١٩٥٧. وكان عـددُ النـواب فيهـا والتقسـيمات الإداريَّـة الانتخابيَّـة غيـر ثابتَيْـن. وقـد

(I) أمّا المقعد الثاني فأُضيف عندما رُفع لاحقًا عدد أعضاء مجلس النواب من ٩٩ إلى ١٢٨. انظر/ي: إبراهيم بيرم، **المقعدان الشيعيّان في بيروت تاريخًا وحاضرًا**، النهار، العدد ١٩٥٢٤، ٢٣ آب ١٩٩٦، ص ٦.

فـرضَ رشـيد بيضـون نفسـه مرشـحًا قويًّـا فـي بيـروت، إذ انتُخِـب عنهـا ثـلاث دورات أعـوام ١٩٤٧، ١٩٥١ و١٩٥٧. بينمـا فـاز عبـد اللـه الحـاج عـن عـام ١٩٥٣، هـو الـذي كان وصـل إلـى النيابـة عـن قضـاء بعبـدا فـي ١٩٥١. كذلـك كان لمحمـود عمّـار نصيـبٌ عـن دائـرة بعبـدا فـي انتخابـات ١٩٥٧. واسـتمرَّ أحمـد الحسـيني كمرشّـحٍ تقليـدي عـن جبـل لبنـان فنجـحَ نائبًـا عنـه كمُحافظـة فـي دورة ١٩٤٧، ثـمَّ عـام ١٩٥١ عـن قضـاء كسـروان.

وفـي الجنـوب سـيطرت زعامـة أحمـد الأسـعد التقليديَّـة ونجـح فـي دورات ١٩٤٧، ١٩٥١ و١٩٥٣ التـي شـاركه الفـوز فيهـا ابنُـه كامل الأسـعد الـذي اسـتطاع أيضًـا الوصـول عـن دائـرة مرجعيـون فـي انتخابـات ١٩٥٧. كمـا نجـح يوسـف الزّيـن وعـادل عسـيران عـن أعـوام ١٩٥٣، ١٩٤٧ و١٩٥٧، ومحمـد الفضـل عـن انتخابـات ١٩٤٧، ١٩٥١ و١٩٥٧، ومحمـد صفـي الديـن عـن دورتَـيْ ١٩٤٧ و١٩٥١، وكاظـم الخليـل عامَـي ١٩٥٣ و١٩٥٧ وعلـي بـزّي فـي ١٩٥١ و١٩٥٧. وفـاز علـي بـدر الديـن وحسـين عبـد اللـه عـام ١٩٥١.

علـى صعيـد البقـاع، اسـتمرَّ القُطبـان الحمَّـادي والحيـدري فـي الزعامـة، فوصـل صبـري حمـادة للانتخابـات الأربـع، وشـاركه إبراهيـم حيـدر فـي ثـلاثٍ منهـا بينمـا غـاب عـن دورة ١٩٥٣ لمصلحـة سـليم حيـدر. كذلـك فـاز فضـل اللـه حمـادة عـام ١٩٥١ وشـفيق مرتضـى عـام ١٩٥٧.[١٩]

٢) رؤسـاء المجلس النيابي

كان للشـيعةِ مبتغاهُـم بالحصـولِ علـى رئاسـة مجلـس النواب عـام ١٩٤٣، وذلـك رغـم الاعتـراضِ البريطانـي الـذي كان يـرى توليـةَ المنصـبِ لأي أحـد غيرهـم. وكانـت الحجـةُ فـي ذلـك عـدمَ وجـودِ زعامـاتٍ مناسـبة

للمقـام. فالجبلـي أحمـد الحسـيني فـي نظرهـم ضعيـفٌ وغيـر مثقَّـف، والبقاعيـان صبـري حمـادة وإبراهيـم حيـدر مـن رجـالات العصابـات، بينمـا الجنوبـي عـادل عسـيران سـيخاصمُ جميـع النـواب فـي ظـرف ١٥ يومًـا![٢٠]

وعندمـا تمَّـت الاسـتعداداتُ لتأميـنِ إجمـاعٍ نيابـي علـى بشـارة الخوري كمرشـح إجمـاعٍ بديـلًا عـن إميـل إدّه الفرنسـي الهـوى وكميـل شـمعون البريطانـي المُيـول، طالـبَ التيـارُ العروبـي الإسـلامي بايجـادِ صيغـة لاقتسـام الحُكـم بيـن الطوائـف، وهـذا مـا عُـرف بالميثـاق الوطنـي. هكـذا تـمَّ انتخـابُ صبـري حمـادة لرئاسـةِ المجلـس عـام ١٩٤٣ واسـتمرَّ فـي منصبـه حتـى تشـرين الأول ١٩٤٦، وتحقَّـق المطلـبُ الـذي كان الشـيعة ينـادون بـه منـذ عـام ١٩٣٧،[٢١] وهـم الطائفـةُ الثالثـة تعـدادًا فـي لبنـان، فقـد قـدَّرت الإحصـاءاتُ اللبنانيَّـة وقتهـا عـددَ الشـيعة بحوالـي ٢٠٠ ألـف شـخص مـن أصلِ مليـون نسـمة.[٢٢]

ولـم يمُـر وقـتٌ طويـلٌ حتـى خُـرِق الميثـاق الوطنـي مـن خـلال انتخـاب المسـيحي حبيـب أبـي شـهلا رئيسًـا لـه حتـى نيسـان ١٩٤٧،[٢٣] كمـا شـرحنا سـابقًا، لترجـع الأمـورُ بعـد ذلـك إلـى نصابهـا الميثاقـي، فيعـود صبـري حمـادة ويسـتمرَّ فـي منصبِـه حتـى آذار ١٩٥١.

وفـي حزيـران مـن تلـك السـنة انتُخِـب أحمـد الأسـعد رئيسًـا للبرلمـان، وبقـيَ حتـى ٣٠ أيـار ١٩٥٣، ليخلُفَـهُ الجنوبـي الآخـر عـادل عسـيران حتـى ١٥ تشـرين الأول ١٩٥٩، ثـمَّ تعـود الرئاسـة مجـددًا إلـى شـيعة البقـاع مـع صبـري حمـادة الـذي اسـتمرَّ يشـغلُها حتـى ٨ أيـار ١٩٦٤.[٢٤]

وكانـت الخمسـينيات فتـرةَ صـراعٍ جنوبيَّـة بيـن زعيـمٍ ووجيـهٍ علـى رئاسـة المجلـس النيابـي. فانتخابـات ١٩٥٣ التـي قسَّـمَت الجنـوبَ إلـى مقاطعاتٍ صغيـرة، أفقـدَت أحمـد الأسـعد، الزعيـم فـي المناطـق النائية مـن الجنوب،

بعضًا مـن قوَّتـه، وانتُخِـب خصمـه اللدود عـادل عسـيران رئيسًـا للمجلس، فغضِـبَ الأسـعد وغـادر نحو دمشـق لسـبعة أشـهر.[٢٥]

٣) الوزراء

فـي الحكومـات الــ١٨ فـي عهـد الجمهوريَّـة الأولـى (١٩٢٦-١٩٤٣)، غـابَ التمثيـلُ الشـيعي عـن ثـلاثٍ منهـا، وهـي حكومـات: ٥ كانـون الثانـي ١٩٢٨ و١٠ أيـار ١٩٢٩ والأخيـرة فـي ١٨ آذار ١٩٤٣.[٢٦] وأمَّـا الحكومـات الــ١٥ الباقيـة، فشـاركَ الشـيعة فيهـا عبـر سـتٍّ شـخصيّات مــن جبــل لبنــان والبقــاع والجنــوب. وكان الحضــورُ الشــيعي فــي الحكومــات محصــورًا بوزيــر واحــد باســتثناء حكومــة ١ كانــون الأول ١٩٤١ التـي تمثَّـل الشـيعة فيهـا بوزيرَيْـن همـا أحمـد الأسـعد وكانـت لــه وزارة الزراعــة والبــرق والبريــد وأحمــد الحســيني الــذي تولّــى حقيبــة الداخليَّــة.[٢٧] وللأخيــر مــن جبــل لبنــان حصّــة الأســد فــي الحكومـات خـلال هـذه الفتـرة.[I] فقـد شـارك فـي سـبعٍ منهـا متولِّيًـا وزارات الأشـغال العامــة والزراعــة والعدليَّــة والداخليَّــة. وأمّــا شــيعة الجنـوب فتمثّلـوا عبـر علـي نصـرت الأسـعد وأحمـد الأسـعد وعـادل عسـيران وفـؤاد عسـيران، بينمـا حضـر شـيعة البقـاع بصبحـي حيـدر وإبراهيــم حيــدر وصبــري حمــادة.[٢٨]

وهكــذا يكــونُ ترتيــب تمثيــل العائــلات فــي الحكومــات: الحســيني (٣٨,٨٤ فــي المئــة)، حيــدر (٣١,٥٧ فــي المئــة)، الأســعد (١٥,٧٨ فــي المئة)، عسـيران (١٠,٥٢ في المئة) وحمادة (٥,٢٦ في المئة).[٢٩]

وقــد تمثَّــلَ الشــيعةُ فــي معظــم حكومــات مــا بعــد الاســتقلال. فمِــنْ

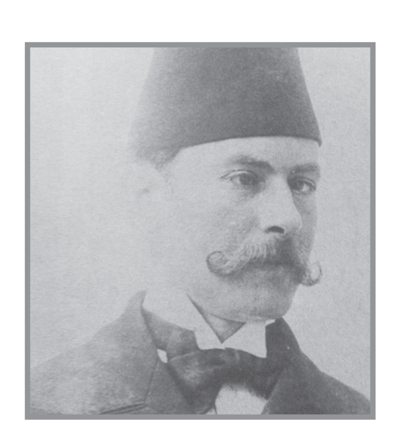
(I) كان أحمد الحسيني على علاقة جيدة برجال الانتداب وبإميل إدّه.

أصـل ٢٩ حكومـة حتـى عـام ١٩٥٩، حضـروا فـي ٢٤ منهـا، وفـي مختلـف الـوزارات. وقـد تنـاوب ١١ وزيـرًا علـى المناصـب. فمـن شـيعة الجنـوب: عـادل عسـيران، محمـد الفضـل، أحمـد الأسـعد، محمـد صفـي الديـن، كاظـم الخليـل، وحسـين العبـد اللـه. ومـن البقـاع صبـري حمـادة وسـليم حيـدر. وأحمـد الحسـيني ومحمـد صبـرا عـن جبـل لبنـان. وأمَّـا رشـيد بيضـون فقـد مثَّـل الجنـوب أوّلًا ثـمَّ بيـروت.[٣٠]

٤) تراجم النخب السياسـيَّة

علـى مـدى قـرن ونيـف منـذ عصـر القائمقاميَّـة عـام ١٨٤٢ وصـولًا إلـى عهـد الرئيـس فـؤاد شـهاب عـام ١٩٥٩، ظهـرَ العديـد مـن رجالات الشـيعة فـي ميـدان الشـأن العـام والسياسـة، نذكـر منهـم، بحسـب ترتيـبٍ زمنـي مسـتند إلـى تواريـخ الـولادة، علـى سـبيل المثـال لا الحصـر:

أ- فضل حسـن الفضل (١٨٦٥-١٩٣٥)



ابـن مدينـة النبطيَّـة، ومـن أصحـاب الأمـلاك. عُـرِفَ بتأييـده للفرنسـيّين. انتُخِـب نائبًـا عـن الجنـوب فـي المجلـس التمثيلـي الأول عـام ١٩٢٢، ثـمَّ عُيِّـنَ عضـوًا فـي مجلـس الشـيوخ عـام ١٩٢٦، والـذي أُلغِـيَ لاحقًـا ليُصبِـحَ عضـوًا فـي مجلـس النـواب. وعُيِّـنَ فيـه عـام ١٩٢٨ ويُعـاد انتخابُـهُ فـي ١٩٣٤. انتُخِـب عضـوًا فـي لجـان: الصحـة والمعـارف، الماليَّـة، العدليَّـة والإدارة، كمـا أمينًـا للسـر فـي هيئـة مكتـب المجلـس.[٣١]

ب- نجيب عسيران (١٨٦٦-١٩٥١)

هـو مـن مواليـد مدينـة صيـدا، تاجـرٌ ومـن المُـلّاك. تحالـفَ مع فضـل الفضل، وأيَّـدَ الانتـداب الفرنسـي. انتُخِـب نائبًـا عـن الجنوب فـي المجلسَـيْن التمثيليَّين الأول والثانـي عامَـي ١٩٢٢ و١٩٢٥، ثـمَّ فــي دورات ١٩٢٩ و١٩٣٤ و١٩٣٧. وكان نائبًـا لرئيــس المجلـس عــدة مــرّات، وعضـوًا فـي لجـان عـدّة داخـل المجلس (الأشـغال العموميَّـة والزراعـة، الماليَّـة، الصناعـة والاصطيـاف، الصحـة والزراعـة). وكذلـك شـارك فـي لجنـة المفاوضـات الخاصّـة بالمعاهـدة اللبنانيَّـة الفرنسـيَّة عـام ١٩٣٦.[٣٢]

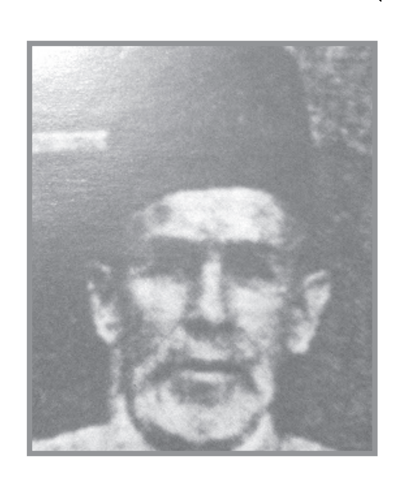
ج- إبراهيم أسعد حيدر (١٨٦٧-١٩٧٤)



ابـن مدينـة بعلبـك. سـافر إلـى فرنسـا، ثـمَّ عـاد قبـل الحـرب العالميَّـة الأولـى، فحُكِـمَ عليـه بالإعـدام لنزعتـه العروبيَّة، لكنّـه تخفّـى إلـى أنْ زالَ الحكـم التركي. عُيِّـنَ عضـوًا فـي اللجنـة الإداريَّـة لدولـة لبنـان الكبيـر عـام ١٩٢٠ عـن منطقـة بعلبـك، وكان نائبًـا عــن البقــاع فــي المجلــس التمثيلــي الأوّل عــام ١٩٢٢. وفــي أيــار ١٩٢٦ عُيِّــنَ فــي مجلــس الشـيوخ، ثـمَّ عُـزِلَ بعـد حوالـي شـهر. انتُخِـب نائبًـا عـن البقاع فـي دورات

١٩٢٩، ١٩٣٧، ١٩٤٣، ١٩٤٧، ١٩٥١ و١٩٥٧، كما عُيِّنَ عام ١٩٣٤. عُيِّنَ ناظرًا للزراعة في أيار ١٩٢٢، ووزيرًا للأشغال العامّة والزراعة في كانون الثاني ١٩٣٧، وتولّى حقائب الصحة والإسعاف العام، والبرق والبريد في تشرين الأول ١٩٣٧، ثمَّ الزراعة في كانون الثاني ١٩٣٩.[٣٣]

د- حسين إسماعيل الزّين (١٨٧٦-١٩٥٣)



ابن بلدة كفرّمان قرب النبطيَّة، ومواليد مدينة صيدا. عُيِّنَ عضوًا في اللجنة الإداريَّة عن النبطيَّة عام ١٩٢٠. ثمَّ مثَّلَ محافظة الجنوب في مجلس الشيوخ عام ١٩٢٦، وبعد إلغائه عام ١٩٢٧، أصبح عضوًا بالتعيين في المجلس النيابي الأوّل عام ١٩٢٨.[٣٤]

هـ- علي نصرت شبيب الأسعد (١٨٨١-١٩٤٠)



هو حفيد علي الأسعد أمير بلاد بشارة المولود في بلدة الزراريَّة الجنوبيَّة، والتحق بأبيه طفلًا إلى منفاه في اسطنبول، وعاد معه إلى بيروت بعد الحرب العالميَّة الأولى. وتولّى مناصب قضائيَّة وعدليَّة عديدة في بيروت ودمشق وحلب. عُيِّنَ عام ١٩٢٣ في حكومة لبنان الكبير

مستشارًا لمحكمة استئناف الحقوق والتجارة، ثمَّ عُيِّنَ عضوًا لمحكمة الاستئناف.[٣٥] هو أوّل وزير شيعي في حكومة لبنانيَّة إثر تعيينِه وزيرًا للزراعة في أيار ١٩٢٦، ثمَّ عُيِّنَ نائبًا عن الجنوب عام ١٩٢٩.[٣٦]

و- أحمد الحسيني (١٨٨١-١٩٦٣)

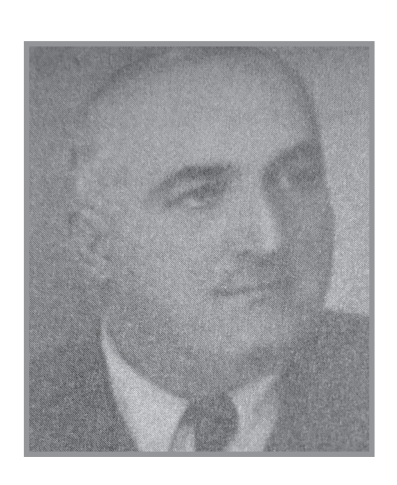
مواليد مزرعة السيّاد في جبيل. عُيِّنَ مديرًا لناحية شمسطار عام ١٩٠٧، وكانت تتبع وقتها متصرفيَّة جبل لبنان، ثمَّ عَمِلَ في محكمة كسروان البدائيَّة، وبعدها رُقِّيَ إلى رتبة مستشار في الاستئناف. وكان عضوًا عن كسروان في مجلس إدارة متصرفيَّة جبل لبنان في نيسان ١٩١٥، ثمَّ رئيسًا لمحكمة بعلبك البدائيَّة عام ١٩٢٢. انتُخِب عضوًا في المجلس التمثيلي الأوّل عن البقاع عام ١٩٢٢. عُيِّنَ في مجلس الشيوخ عام ١٩٢٦، وبعدها في مجلس النواب عام ١٩٢٨. انتُخِب نائبًا عن جبل لبنان في دورات ١٩٢٩، ١٩٣٧، ١٩٤٣، ١٩٤٧ و١٩٥١. وانخرطَ في لجان نيابيَّة عدّة، وكان رئيسًا لبعضها. وفي مشاركاته الحكوميَّة، كان وزيرًا للأشغال العامّة (أيار ١٩٢٧) وللزراعة (تشرين الأول ١٩٢٩) وللعدليَّة (آذار ١٩٣٠) وللأشغال العامّة والزراعة (آذار ١٩٣٧) وللداخليَّة (كانون الأول ١٩٤١) وللعدليَّة والزراعة (تموز ١٩٤٢) وللعدليَّة (أيار ١٩٤٦ وحزيران ١٩٤٧) وللأشغال العامة (شباط ١٩٥٢). وعارضَ خلال نيابتِهِ إبّان الانتداب الفرنسي مشروع البنك السوري، خشية ارتباط النقد اللبناني بنظيره الفرنسي. عَمِلَ على إنشاءِ طريق جبيل ـ قرطبا ـ العاقورة، التي تربط جبيل ببعلبك.[٣٧]

ز- يوسف إسماعيل الزّين (١٨٨٢-١٩٦٢)

ابن بلدة كفرّمان قرب النبطيَّة، ومواليد مدينة صيدا. عُرِفَ

بمسـاعداته للفقـراء علـى اختـلاف طوائفهـم،[٣٨] وأخـذ موقفًـا وسـطيًّا إبّـان النـزاع بيـن أنصـار المشـروع العربـي والانتـداب الفرنسـي. «جـدَّدَ مـع شـقيقه حسـين بنـاء المدرسـة العلميَّـة فـي النبطيَّـة، وجـرَّ ميـاهَ نبـع الطاسـة إلـى النبطيَّـة وجوارهـا [...] وسـعى فـي تعبيـدِ الطـرق العامِليَّـة كطريـق صـور ـ بنـت جبيـل وطريـق أبـي الأسـود ـ النبطيَّـة ـ جزيـن». انتُخِـب نائبًـا عـن الجنـوب فـي المجلـس التمثيلـي عامَـي ١٩٢٢ و١٩٢٥. وتولّـى نيابـةَ رئاسـةِ المجلـس النيابـي عـدّة مـرّات. انتُخِـب نائبًـا فـي دورات ١٩٣٧، ١٩٤٧، ١٩٥٣، ١٩٥٧، ١٩٦٠.[٣٩]

ح- صبحي سعيد حيدر (١٨٨٤-١٩٤٩)



ابـن مدينـة بعلبـك، سـافرَ إلـى اسـطنبول للتعلّـم. انتَسَـب عـام ١٩١٣ إلـى جمعيَّـة «العربيَّـة الفتـاة». بعـد نهايـة الحـرب العالميَّـة الأولـى عـام ١٩١٨، عَيَّنَـه الفرنسـيّون قائمقامًـا علـى بعلبـك. انتُخِـب فـي المجلسَـيْن التمثيليَّيْـن الأوّل والثانـي عامَـي ١٩٢٢ و١٩٢٥، ثـمَّ فـي المجلـس النيابـي الأوّل عـام ١٩٢٨. وكان نائبًـا لرئيـس المجلـس عـام ١٩٢٤، وعضـوًا فـي اللجنـة الماليَّـة. عُيِّـنَ وزيـرًا للماليَّـة فـي آب ١٩٢٨ وفـي تمـوز ١٩٣١، ثـمَّ مديـرًا للمعـارف (وزيـرًا) فـي أيـار ١٩٣٢ وكانـون الثانـي ١٩٣٤. ناضـلَ ضـدّ الأتـراك، ثـمَّ الفرنسـيّين فنكّلـوا بعائلتـهِ إثـرَ مواجهـات عـام ١٩٢٦ التـي قادهـا توفيـق هَوْلـو حيـدر. كان أحـد المشـاركين فـي وضـع الدسـتور اللبنانـي عـام ١٩٢٦.[٤٠]

ط- عبد اللطيف خليل الأسعد (١٨٨٦-١٩٣٦)



ابن بلدة الطّيبة الجنوبيَّة، وتولّى زعامة العائلة بعد وفاة أخيه كامل، والذي لَعِبَ دورًا سياسيًّا كبيرًا قبل مرحلة إنشاءِ الكيان اللبناني وبعدها. انتُخِب نائبًا عن الجنوب في دورات ١٩٢٥، ١٩٢٨ و١٩٢٩. كان معاديًا للانتداب الفرنسي عامّة، والحاكم العسكري الفرنسي بيشكوف خصوصًا، فأُسقِطَ في أكثر من دورة.(٤١)

ي- عبد الله الحاج (١٨٩٩-١٩٧٥)



ابن الغبيري في بيروت. عام ١٩٣٢ عُيِّنَ مستشارًا للأمير فيصل الأوّل، ثمَّ رئيسًا للديوان المَلَكي بالوكالة عام ١٩٣٤، وعادَ إلى لبنان عام ١٩٣٧. وصلَ إلى المجلس النيابي عن بعبدا المتن ثمَّ عن بيروت في دورتَي ١٩٥١ و١٩٥٣. وكان عضوًا في لجان نيابيَّة عدّة، ومعارضًا لبشارة الخوري، ومن مؤسّسي الجبهة الاشتراكيَّة الوطنيَّة المعارِضة. كانت له مواقف

عديـدة فـي إصـلاحِ النظـام سياسـيًّا واجتماعيًّـا، فوقـفَ ضـدّ غـلاء النقـل والكهربـاء، وأسّـس نقابـةَ مزارعـي التبـغ فـي لبنـان.[٤٢]

ك- أحمد الأسعد (١٩٠٢-١٩٦١)

ابـن بلـدة الطّيبـة الجنوبيَّـة، وسـليل عائلـة سياسـيَّة عريقـة. فأبـوه عبـد اللطيـف الأسـعد، وحمـوه كامـل الأسـعد عضـو «مجلـس المبعوثـان» العثمانـي. انتُخِـب نائبًـا عـن الجنـوب أعـوام ١٩٣٧، ١٩٤٣، ١٩٤٧، و١٩٥١، وأُعيـدَ انتخابُـهُ عـن قضـاء بنـت جبيـل فـي دورتـي ١٩٥٣ و١٩٦٠. وتـرأّس كتلـة نيابيَّـة كبيـرة. تولّـى مناصـب وزاريَّـة عـدة: الصحـة والإسـعاف العـام، والبـرق والبريـد فـي حكومـة آذار ١٩٣٨؛ والزراعـة، والبريـد والبـرق فـي حكومـة كانـون الأول ١٩٤١؛ والأشـغال العامـة، والصحـة العامـة فـي حكومـة كانـون الثانـي ١٩٤٥؛ والدفـاع الوطنـي، والزراعـة فـي حكومـة آب ١٩٤٥؛ والأشـغال العامّـة فـي حكومتـي تمـوز ١٩٤٨ وتشـرين الأول ١٩٤٩.

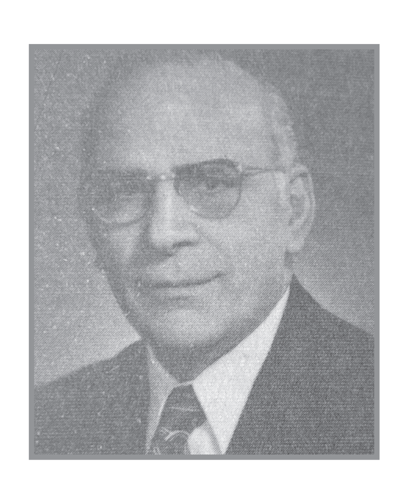
أسّـس «النهضـة» لمنافسـة رشـيد بيضـون ومنظمتـهِ «الطلائـع». ووقّـع عـام ١٩٢٠ علـى محضـر مؤتمـر الحجيـر ورفـضَ الانتـداب الفرنسـي، وشـاركَ فـي حـرب فلسـطين عـام ١٩٤٨ فقصفـت إسـرائيل منزِلـه فـي الطّيبـة.[٤٣]

وقـفَ ضـدّ قانـون احتـكار التبـغ الصـادر عـام ١٩٣٥، وذهـب برفقـةِ وفـدٍ فـي نيسـان ١٩٣٦ لمقابلـة دو مارتيـل ورئيـس الجمهوريَّـة إميـل إدّه لطلـب العفـو عـن المعتقليـن بسـبب الهجـوم علـى شـركة «الريجـي»، فـكان لـهُ مـا أراد. كمـا عـارضَ المعاهـدة اللبنانيَّـة الفرنسـيَّة عـام ١٩٣٦.[٤٤]

فـي أزمـة عـام ١٩٥٢، وحيـن اشـتدَّ النـزاع بيـن رئاسـتَي الجمهوريَّـة

والحكومة، وقفَ أحمد الأسعد إلى جانب بشارة الخوري.[٤٥] كما ظهرت الخلافات بينه وبين كميل شمعون بعد أنْ كانَ مؤيّدًا له، وذلك بسبب محاولات الأخير إضعاف زعامتِه في الجنوب من خلال دعمهِ لخصمَيْه السياسيَّيْن كاظم الخليل وعادل عسيران الذي أصبح رئيسًا للمجلس خلَفًا للأسعد. كما ندَّدَ بالعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، وأيَّدَ قيام الجمهوريَّة العربيَّة المتحدة عام ١٩٥٨.[٤٦]

ل- سليم نجيب حيدر (١٩١١-١٩٨٠)



ابن مدينة بعلبك. سافر إلى فرنسا للتعلّم، ثمَّ عاد إلى لبنان، فعُيِّنَ مدّعيًا عامًّا عام ١٩٣٨ ثمَّ قاضيَ تحقيق عام ١٩٤٣ ومستشارًا في محكمة الاستئناف عام ١٩٤٥. عمِلَ سفيرًا للبنان في عدّة بلدان بين أعوام ١٩٤٦ و١٩٦٦. تَمَّ انتخابُهُ نائبًا عن بعلبك ـ الهرمل في دورتَي ١٩٥٣ و١٩٦٨، كما كان عضوًا في لجنتَيِ الإدارة والعدل والشؤون الخارجيَّة. تولّى مناصب وزاريَّة عدّة، منها التربية الوطنيَّة، والصحة العامّة، والشؤون الاجتماعيَّة، والبرق والبريد والهاتف في أيلول ١٩٥٢. ثمَّ كان وزيرًا للزراعة، والبرق والبريد والهاتف في حكومتَيْ أيلول ١٩٥٤ وتموز ١٩٥٥.

كان سليم حيدر صاحبَ برنامجٍ إصلاحي كبير، و«ساهمَ في سَنِّ العديد من القوانين الحديثة، واقتراح البعض منها، وخصوصًا في

تقسـيم المناطـق الانتخابيَّـة، والإثـراء غيـر المشـروع، والتصريـح عـن الأمـوال، وإنشـاء محكمـة عليـا تنظـر فـي دسـتوريَّة القوانيـن. ووقّـع مرسـوم قيـام الجامعـة اللبنانيَّـة». كذلـك آمـن بفصـلِ السـلطات، واعتمـاد مبـدأ فصـل الـوزارة عـن النيابـة، وبجعـل لبنـان دائـرة انتخابيَّـة واحـدة، وإلغـاء الطائفيَّـة السياسـيَّة، واعتمـاد الاسـتفتاء الشـعبي، وإنـزال سـنِّ الانتخـاب إلـى الثمانـي عشـرة، وكان لـه دورٌ كبيـرٌ فـي إعطـاء المـرأة اللبنانيَّـة حقّهـا فـي ممارسـة الانتخـاب.(٤٧)

م- محمـد فايز الفضل (١٩١٢-١٩٨٦)



ابـن مدينـة النبطيَّـة. انتُخِـبَ نائبًـا عـن الجنـوب دورات ١٩٤٣، ١٩٤٧، ١٩٥١ و١٩٥٧. وكان عضـوًا فـي لجـان عـدّة فـي المجلـس هـي الأشـغال العامّـة والصحـة، العرائـض والاقتراحـات، الصناعـة والسـياحة، الماليَّـة، التجـارة والتمويـن والزراعـة، الإدارة والعدليَّـة، الاقتصـاد الوطنـي والزراعـة، التربيـة الوطنيَّـة. كمـا عُيِّـنَ فـي تمـوز ١٩٤٤ وزيـرًا للبـرق والبريـد والتجـارة والصناعـة.(٤٨)

الهوامش

(١) هاني فحص، **الشيعة بين الاجتماع والدولة**، ص ٨١.

(٢) حسن غريب، **نحو تاريخ فكري ـ سياسي لشيعة لبنان**، ج١، ص ٢٧٨.

(٣) هدى رزق، **لبنان بين الوحدة والانفصال ١٩١٩-١٩٢٧**، ص ١٠٩.

(٤) حسن غريب، **نحو تاريخ فكري ـ سياسي لشيعة لبنان**، ج٢، ص ٥٢.

(٥) لحد خاطر، **الانتخابات النيابيَّة في تاريخ لبنان**، ص ١١٤-١١٥.

(٦) غسان طه، **شيعة لبنان ـ العشيرة ـ الحزب ـ الدولة (بعلبك ـ الهرمل نموذجًا)**، ص ١٥٠.

(٧) لحد خاطر، **الانتخابات النيابيَّة في تاريخ لبنان**، ص ١٢٠-١٢١.

(٨) لحد خاطر، المصدر السابق، ص ١٢٨-١٢٩.

(٩) غسان طه، **شيعة لبنان ـ العشيرة ـ الحزب ـ الدولة (بعلبك ـ الهرمل نموذجًا)**، ص ١٥١.

(١٠) لحد خاطر، **الانتخابات النيابيَّة في تاريخ لبنان**، ص ١٣٢-١٣٤.

(١١) حسن غريب، **نحو تاريخ فكري ـ سياسي لشيعة لبنان**، ج١، ص ٢٩٦.

(١٢) لحد خاطر، **الانتخابات النيابيَّة في تاريخ لبنان**، ص ١٣٧-١٣٨.

(١٣) لحد خاطر، المصدر السابق، ص ١٤١.

(١٤) لحد خاطر، المصدر السابق، ص ١٤٢.

(١٥) لحد خاطر، المصدر السابق، ص ١٤٣-١٤٤.

(١٦) علي راغب حيدر أحمد، **المسلمون الشيعة في كسروان وجبيل (سياسيًّا ـ تاريخيًّا ـ اجتماعيًّا بالوثائق والصور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، ص ١٢٨.

(١٧) لحد خاطر، **الانتخابات النيابيَّة في تاريخ لبنان**، ص ١٥٥.

(١٨) لحد خاطر، المصدر السابق، ص ١٦٠.

(١٩) لحد خاطر، المصدر السابق، ص ١٦٨، ١٦٩، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٦.

(٢٠) علي شعيب، **تاريخ لبنان من الاحتلال إلى الجلاء ١٩١٨-١٩٤٦**، ص ٢٠٨.

(٢١) علي شعيب، المصدر السابق، ص ٢٠٩-٢١٠.

(٢٢) فؤاد عجمي، **الإمام المغيب موسى الصدر وشيعة لبنان**، ص ٧٥.

(٢٣) لحد خاطر، **الانتخابات النيابيَّة في تاريخ لبنان**، ص ١٦٦.

(٢٤) **لمحة تاريخيَّة للمجلس النيابي**، موقع الجمهوريَّة اللبنانيَّة مجلس النواب، تاريخ الدخول: ١٨ آب ٢٠٢٢، الساعة: ١١:٣٢.

(٢٥) فؤاد عجمي، **الإمام المغيب موسى الصدر وشيعة لبنان**، ص ٨٠.

(٢٦) ماجد ماجد، **تاريخ الحكومات اللبنانيَّة ١٩٢٦-١٩٩٦**، ص ٢٠، ٢٣، ٤٧.

(٢٧) ماجد ماجد، المصدر السابق، ص ٤٤.

(٢٨) ماجد ماجد، المصدر السابق، ص ١٧، ١٩، ٢١، ٢٤، ٢٦، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٤، ٤٦.

(٢٩) حسن غريب، **نحو تاريخ فكري ـ سياسي لشيعة لبنان**، ج١، ص ٢٧٨.

(٣٠) ماجد ماجد، **تاريخ الحكومات اللبنانيَّة ١٩٢٦-١٩٩٦**، ص ٥٣، ٥٦، ٥٨، ٦١، ٦٣، ٦٧، ٦٨، ٧١، ٧٣، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٨٥، ٨٦، ٨٨، ٩٣، ٩٦، ٩٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠٥، ١٠٩، ١١٢، ١١٤، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٥، ١٣٨.

(٣١) عدنان ضاهر؛ رياض غنام، **المعجم النيابي اللبناني**، ص ٤١٣.

(٣٢) عدنان ضاهر؛ رياض غنام، المصدر السابق، ص ٣٦٠.

(٣٣) عدنان ضاهر؛ رياض غنام، المصدر السابق، ص ١٧٧-١٧٨؛ عدنان ضاهر ورياض غنام، **المعجم الوزاري اللبناني**، ص ١٣٧-١٣٨.

(٣٤) عدنان ضاهر؛ رياض غنام، **المعجم النيابي اللبناني**، ص ٢٤٥.

(٣٥) إبراهيم الأسود، **تنوير الأذهان في تاريخ لبنان**، ج١، ص ٥٣٧-٥٣٩.

(٣٦) عدنان ضاهر؛ رياض غنام، **المعجم الوزاري اللبناني**، ص ٤٣؛ عدنان ضاهر ورياض غنام، **المعجم النيابي اللبناني**، ص ٤٤.

(٣٧) عدنان ضاهر؛ رياض غنام، **المعجم النيابي اللبناني**، ص ١٥٥-١٥٦؛ عدنان ضاهر ورياض غنام، **المعجم الوزاري اللبناني**، ص ١١٨.

(٣٨) إبراهيم الأسود، **تنوير الأذهان في تاريخ لبنان**، ج٣، ص ٥٨٩.

(٣٩) عدنان ضاهر؛ رياض غنام، **المعجم النيابي اللبناني**، ص ٢٤٨.

(٤٠) عدنان ضاهر؛ رياض غنام، المصدر السابق، ص ١٨٠؛ عدنان ضاهر ورياض غنام، **المعجم الوزاري اللبناني**، ص ١٤٠.

(٤١) عدنان ضاهر؛ رياض غنام، **المعجم النيابي اللبناني**، ص ٤٣.

(٤٢) عدنان ضاهر؛ رياض غنام، المصدر السابق، ص ١٣٣-١٣٤.

(٤٣) عدنان ضاهر؛ رياض غنام، المصدر السابق، ص ٤٢؛ عدنان ضاهر ورياض غنام، **المعجم الوزاري اللبناني**، ص ٤٢-٤٣.

(٤٤) سعد الحميداوي، **أحمد الأسعد ودوره السياسي في لبنان ١٩٠٨-١٩٦١**، ص ٦٨-٧٠.

(٤٥) حسان حلاق، **تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٥٢**، ص ٤٢٦.

(٤٦) سعد الحميداوي، **أحمد الأسعد ودوره السياسي في لبنان ١٩٠٨-١٩٦١**، ص ١٢٤، ١٤٢-١٥٠.

(٤٧) عدنان ضاهر؛ رياض غنام، **المعجم النيابي اللبناني**، ص ١٧٨-١٧٩؛ عدنان ضاهر ورياض غنام، **المعجم الوزاري اللبناني**، ص ١٣٨-١٣٩.

(٤٨) عدنان ضاهر؛ رياض غنام، **المعجم النيابي اللبناني**، ص ٤١٣-٤١٤؛ عدنان ضاهر ورياض غنام، **المعجم الوزاري اللبناني**، ص ٣٠١.

خلاصـــة

تنـاول هـذا البحـث تاريـخ الشـيعة فـي لبنـان مـن النشـأة وحتـى مجـيء السـيّد موسـى الصـدر. ويمكـن عـرض واسـتنتاج مـا يلـي حـول تلـك الحقبـة:

- إنَّ التأريـخ لوجـود الشـيعة فـي لبنـان فيـه آراء عديـدة رغـم طغيـان سـرديَّة معينـة فـي هـذا الخصـوص.

- إنَّ التشـيّع فـي لبنـان لـم يكـن فـي أكثريتـه محصـورًا دومًـا بالفِرقـة الإماميَّـة الاثنـي عشـريَّة التـي تشـكّل غالبيَّـة الشّـيعة فـي البـلاد اليـوم، بـل كان التواجـدُ الإسـماعيلي فـي فتـرة مـن الفتـرات ذا وزن بـارز.

- بعـد نهايـة الحكـم الفاطمـي وحتـى عصـر القائمقاميّتَيـن خضَـع الشّـيعة فـي معظـم تلـك الحقبـة لحُكـمٍ سُـنّي.

- كان للحمـلات المملوكيَّـة علـى كسـروان ومـا رافقهـا مـن تهجيـر للشّـيعة باتجـاه مناطـق أخـرى دورٌ كبيـر فـي تعزيـز وجودهـم فـي تلـك الأماكـن الجديـدة.

- يحيـط الغمـوضُ بقتـلِ المماليـك للشـهيد الأول، وتتداخـل فـي الحادثـة الأسـبابُ المذهبيَّـة مـع تلـك السياسـيَّة. وكذلـك الأمـر فـي مـا يتعلـق بالشـهيد الثانـي.

- شـهِدَ العصرُ العثمانـي صعـودَ دور الأسَـرِ الإقطاعيَّـة على حسـاب رجال الدّيـن، وقـد اسـتطاعت، انطلاقًـا مـن التزاماتهـا مـع الـوُلاة العثمانيّيـن، أنْ تكتُـبَ تاريـخ الشّـيعة خـلال تلـك الحقبـة.

- حمـل القـرن الثامـن عشـر نكْبـةً للشّـيعة مُنهيًـا فصـلًا طويـلًا مـن حُكْمِهـم الذاتـي فـي ظـلِّ السـلطنة العثمانيَّـة.

- بعـد خـروج المصريّيـن، خضَع شـيعة جبـل لبنـان لنظـام القائمقاميّتَين، بينمـا كان شـيعةُ مناطـقِ جبـل عامـل والبقـاع تحـت الحكـم العثمانـي المباشر.

- لـم يكـن للشـيعة رأيٌ موحَّـدٌ مِـنَ الفتنـةِ المسـيحيَّة الدرزيَّـة التـي عصفـت بالبـلاد منتصـفَ القـرن التاسـع عشـر. فقـد تغيَّـرت المواقـفُ باختـلافِ ظـروفِ كلِّ جماعـةٍ ومصالحهـا.

- كانـت الزعامـاتُ الشـيعيَّة خـلال هـذه المرحلـة تقليديَّـةً، وقـد فشِـلت المحاولـةُ الجريئـة لكسـرِ هـذا النمـط بإنشـاءِ قيـاداتٍ حزبيَّـة.

- انقسـمَ الشـيعةُ رأيًـا بشـدَّة فـي شـأنِ الانضمـام إلـى لبنـان الكبيـر. وقـد تـركَ ذلـك الأثـرَ الكبيـر اللاحـق علـى موقفِهـم مـن الثـورة العربيَّـة.

- حَظِـيَ الشـيعةُ باعتـرافٍ رسـميٍّ بهـم كطائفـةٍ مسـتقلَّة بعدمـا كانـوا محسـوبينَ علـى هامـش الإسـلام.

- صحيـحٌ أنَّ الطائفـةَ الشـيعيَّة عانَـت مـن التهميـشِ مـع إنشـاءِ لبنـان الكبيـر وبعـده، إلّا أنَّ هـذا التوصيـفَ للمراحـل اللاحقـةِ بـدا مُبالغًـا بـه قياسًـا إلـى الظـروفِ التـي رافقـت انضمـامَ الشـيعة إليـه وأحوالِهـم الذاتيَّـة الخاصـة. فـلا يمكـنُ إغفـالُ أنَّ السـيْرورةَ السياسـيَّة للطائفـةِ لـم تكُـنْ مكتملـةَ العناصـرِ بعـد.

- إنَّ موقـفَ الشـيعةِ الموفِّـقِ بيـن العلاقـةِ الجيِّـدة مـع فرنسـا والدعـوةِ

إلـى الاسـتقلال عنهـا، إضافـةً إلـى النسـبةِ السـكانيَّة، أثمـرَ اعترافًـا بهـم كمكـوِّنٍ أساسـي رسـمي مِـنْ خـلالِ رئاسـةِ مجلـس النـواب. كمـا أنَّهـم باتـوا أحـدَ عناصـرِ الصيغـةِ اللبنانيَّـة التـي انبثقَـت مِـن الميثـاق.

- لَعِـبَ الشـيعةُ دورًا بـارزًا خـلال التعقيـداتِ المحليَّـة التـي ضربـت لبنـان فـي فتـرة الخمسـينيات، كمـا طالتْهُـم انعكاسـاتُ التعقيـداتِ الإقليميَّـة علـى البـلاد.

- لـم يكُـنْ مجـيءُ موسـى الصـدر إلـى لبنـان، وهـو الـذي أمضـى سـنواتِهِ بيـنَ إيـران والعـراق، أمـرًا مسـتقلًا عـن الوضعَيْـن المحلّـي والإقليمـي وتعقيداتِهمـا.

خاتمة

ختامًـا، تناولنـا فـي هـذا البحـث تاريـخ الشّـيعة السياسـي فـي لبنـان مـن البدايـة حتـى مجـيء السـيّد موسـى الصـدر. الفصـل الأول غطّـى تعاريـفَ أساسـيَّة مرتبطـة بعنـوان الشّـيعة وفِرقهـم. وتطـرّق الثانـي إلـى تاريخهـم مـن زمـن الفتوحـات العربيَّـة الإسـلاميَّة حتّـى العصـرِ المملوكي فـي منتصـفِ القـرنِ الثالـث عشـر، عارِضًـا لبداياتهـم كمذهـبٍ فيـه مـع سـرْدِ أحوالِهـم خـلال الحقبـات الزمنيَّـة التـي تلَـت ذلـك. وتنـاول الثالـثُ واقعهـم حتّـى بدايـات السـلطنة العثمانيَّـة مُركّـزًا علـى الحمـلات المملوكيَّـة علـى كسـروان ودورِ الشّـهيد الأول. بينمـا تحـدَّث الرابـع عـن واقِعهـم وصـولاً إلـى مرحلـةِ القائمقاميّتَيـن، مسـلِّطًا الضـوءَ فـي شـكل أساسـي علـى أدوارِ الأُسَـر التقليديَّـة الشّـيعيَّة وعلاقتهـا بالسـلطة والمُلتزميـن الآخريـن، ومواقفهـم مـن الحكـم المصـري.

تطـرّق الخامـس إلـى المـدى الزمنـي مـن القائمّقاميّتَيـن والمتصرفيَّـة وحتّـى إنشـاء لبنـان الكبيـر وأظهـرَ اختـلافَ الظـروفِ السياسـيَّة والإداريَّـة لشـيعة جبـل عامـل وجبـل لبنـان والبقـاع، كمـا بيَّـنَ تبايُـنَ الـرؤى حـول «لبنـان الكبيـر» بيـن داعميـه وأنصـارِ المشـروع العربـي، مـع مـا رافـقَ ذلـكَ مـن أحـداثٍ عسـكريَّة. وتنـاول السـادس المرحلـةَ الزمنيَّـة مـن إنشـاءِ لبنـان الكبيـر وحتـى الاسـتقلال والجـلاء، والتـي

شـهِدَت الاعتـرافَ الرسـمي بالطائفـة الشـيعيَّة، وخفـوتَ مطالـبِ مؤيّـدي المشـروع العربـي بعـد المعاهدتَيْـن الفرنسـيتَيْن مـع سـوريا ولبنـان، وإقـرارَ بعـضِ النُّخَـب الشـيعيَّة السياسـيَّة والدينيَّـة بالكيـان اللبنانـي كأمـرٍ واقـع، الأمـرُ الـذي كسـرَ الجليـدَ بيـن الشـيعة المعارضيـن للبنـان الكبيـر والانخـراط فـي المؤسسـات الرسـميَّة. وسـلّط السّـابع الضـوء علـى المرحلـة مـن الاسـتقلال والجـلاء حتـى عـام١٩٥٩ ، والتـي شـهِدَت بـروزَ الشـيعة كعمـادٍ مـن أعمـدةِ الميثـاق الوطنـي، وظهـورَ الأحزاب الشـيعيَّة، ودورَ أبنـاء الطائفـة فـي الأزمـات التـي عصَفَـت بلبنـان، وخصوصًـا عامَـيْ ١٩٥٢ و١٩٥٨. واختُتِـمَ هـذا الجـزء بمجـيء موسـى الصـدر، والعلاقـة التـي جمعتـه بالرئيـس فـؤاد شـهاب. وأمّـا الفصـل الثامـن والأخيـر، فقـد قـدَّمَ عرضًـا لشـخصياتٍ شـيعيَّة سياسـيَّة تعاقبَـت علـى النيابـةِ والـوزارات ورئاسـة المجلـس النيابـي.

أخيـرًا، نأمَـل أنْ يكـون هـذا البحـث اسـتطاع أنْ يُضـيء قـدْرَ الإمـكانِ علـى نشـأةِ الشـيعةِ فـي لبنـانَ وتاريخهـم وسـيروتهم السياسـيَّة خـلال هـذه المرحلـة الطويلـة، وأنْ يكـونَ أضـافَ شـيئًا جديـدًا خصوصًـا فـي المواضيـع الجَدَليَّـة بعيـدًا مـن السـرديّات التقليديَّـة المُسـيطِرة.

مصادر البحث ومراجعه

- ابـن أبـي حــديد، عبـد الحميـد، **شـرح نهـج البلاغـة**، دار الكتـب العلميَّة، بيـروت، ١٩٩٨.

- ابن الأثير، علي بن محمد، **أسد الغابة**، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩.

- ابـن الأثيـر، علـي بـن محمـد، **الكامـل فـي التاريـخ**، دار الكتـاب العربـي، بيـروت، ط١، ١٩٩٧.

- ابـن تغري بردي، يوسـف، **حـوادث الدهور في مدى الأيام والشـهور**، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٠.

- ابن تيميَّة، أحمد، **جامع المسائل**، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠١٩.

- ابـن تيميَّـة، أحمد، **مجموع الفتاوى**، مجمّـع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ٢٠٠٤.

- ابن جُبير، محمد بن أحمد، **رحلة ابن جُبير**، دار صادر، بيروت.

- ابـن الجـزري، شـمس الديـن، **غايـة النهاية في طبقـات القـرّاء**، مكتبة ابن تيميَّـة، عُنِـي بنشـره أول مرة عـام ١٣٥١ هـ ج. برجستراسـر.

- ابـن حـزم، علـي بـن أحمـد، **الفصـل فـي الملـل والنحـل والأهـواء**، مكتبة الخانجـي، القاهرة.

- ابن حوقل، محمد، **صورة الأرض**، دار صادر أفّست ليدن، بيروت، ١٩٣٨.

- ابن خلّكان، أحمد بن محمد، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، ج٣.

- ابـن سَـبّاط، حمـزة بن أحمـد، **صدق الأخبـار**، جروس بـرسّ، طرابلس، ط١، ١٩٩٣.

- ابـن طولـون، محمـد بـن علـي، **اللمعـات البرقيَّـة فـي النُّكـت التاريخيَّـة**، مكتبـة القدسـي والبديـر، دمشـق، ١٣٤٨هـ.

- ابـن طولـون، محمـد بـن علـي، **مُفاكهـة الخـلّان في حـوادث الزمـان**، دار الكتـب العلميَّـة، بيـروت، ط١، ١٩٩٨.

- ابـن عسـاكر، علـي بن الحسـن، **تاريخ دمشـق**، دار الفكر للطباعة والنشـر والتوزيع، ١٩٩٥.

- ابـن العديـم، عمـر بـن أحمـد، **زبـدة الحلب فـي تاريخ حلـب**، دار الكتب العلميَّة، بيـروت، ط١، ١٩٩٦.

- ابن القلانسـي، حمزة بن أسـد، **تاريخ دمشـق**، دار حسّـان للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٣.

- ابـن كثير، اسـماعيل بـن عمر، **البدايـة والنهاية**، دار هجر للطباعة والنشـر والتوزيـع والإعلام، ط١، ١٩٩٧.

- ابـن منظـور، محمـد بـن مكـرم، **لسـان العـرب**، دار صـادر، بيـروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

- أبـو صالـح، عبـاس، **الأزمـة اللبنانيَّـة عـام ١٩٥٨**، المنشـورات العربيَّـة، بيـروت، ١٩٩٨.

- أبـو صبيـع، سـيف، **جبـل عامـل فـي العهـد العثمانـي دراسـة فكريَّـة تاريخيَّـة**، دار الرافديـن، بيـروت، ط١، ٢٠١٧.

- أبـو عبـد اللـه، عبـد اللـه إبراهيـم، **الموسـوعة اللبنانيَّـة: تاريخ لبنـان عبر الأجيـال**، نوبيليـس، ٢٠٠٢.

- أبـي فاضـل، وهيـب، **لبنان فـي مراحـل تاريخه الموجـزة**، مكتبـة أنطوان، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤.

- أبـو الفـدا، اسـماعيل بـن علـي، **المختصَـر فـي أخبـار البشـر**، المطبعـة الحسـينيَّة المصريَّـة، القاهـرة، ط١.

- إبراهيـم، فـؤاد، **الفقيـه والدولـة ـ الفكر السياسـي الشـيعي ـ تطـور الفقه السياسـي الشـيعي**، دار الكنـوز الأدبيَّة، بيـروت، ط١، ١٩٩٨.

- أحمـد، علـي راغـب حيـدر، **المسـلمون الشـيعة فـي كسـروان وجبيـل (سياسـيًّا ـ تاريخيًّـا ـ اجتماعيًّـا بالوثائـق والصـور ١٨٤٢-٢٠٠٦)**، دار الهـادي للطباعـة والنشـر والتوزيـع، بيـروت، ط١، ٢٠٠٧.

- إسـماعيل، عـادل، **لبنـان في تاريخه وتراثه**، سلسـلة دراسـات لبنانيَّة، مركز الحريري الثقافي، بيـروت، ط١، ١٩٩٣.

- إسـماعيل، عـادل، **الفتـن الطائفيَّـة وحروبهـا فـي لبنـان**، دار النشـر للسياسـة والتاريـخ، بيـروت، ط١، ٢٠٠٧.

- أرسـلان، شـكيب، **مدونـة أحـداث العالـم العربـي ووقائعـه**، الـدار التقدميَّـة، المختـارة، ط٢، ٢٠١١.

- ألّوف، ميخائيل، **تاريخ بعلبك**، المطبعة الأدبيَّة، بيروت، ط٣، ١٩٠٨.

- الأسـود، إبراهيـم، **تنويـر الأذهـان فـي تاريـخ لبنـان**، مكتبـة الجامعـة الأميركيَّـة لبيـروت، مطبعـة القديـس جاورجيـوس، بيـروت، ١٩٢٥.

- الأشـعري، أبـو الحسـن، **مقـالات الإسـلاميين واختـلاف المصلّيـن**، المكتبة العصريَّـة، بيـروت، ط١، ٢٠٠٥.

- الأميـن، محسـن، **أعيـان الشـيعة**، تحقيـق وتخريـج حسـن الأميـن، دار التعـارف للمطبوعـات.

- الأميـن، حسـن، **مسـتدركات أعيـان الشـيعة**، دار التعـارف للمطبوعـات، بيـروت، ط٢، ج١، ١٩٩٧.

- الأميـن، حسـن، **سـراب الاسـتقلال فـي بـلاد الشـام ١٩١٨-١٩٢٠**، دار ريـاض الريـس للكتـب والنشـر، بيـروت، ط١، ١٩٩٨.

- الأنصـاري، شـمس الديـن، **نخبـة الدهـر فـي عجائـب البـر والبحـر**، أوتـو هاراسوفيتـز، لايبزيـغ، ١٩٢٣.

- أوليفانـت، لورانـس، **أرض جلعـاد**، ترجمـة أحمـد العبـادي، دار مجـدلاوي للنشـر والتوزيـع، عَمّـان، ط١، ٢٠٠٤.

- آل جنـدي، أدهـم، **شـهداء الحـرب العالميَّـة الكبـرى**، مطبعـة العروبـة، دمشـق.

- آل صفا، محمد جابر، **تاريخ جبل عامل**، دار النهار للنشر، بيروت.

- بـاروت، محمـد جمال، **حملات كسـروان في التاريخ السياسـي لفتاوى ابن تيميَّة**، المركز العربي للأبحاث ودراسـة السياسات، ط١، ٢٠١٧.

- بازيلـي، قسـطنطين، **سـوريا وفلسـطين تحـت الحكـم العثمانـي**، ترجمـة طـارق معصرانـي، دار التقـدُّم، موسـكو، ١٩٨٩.

- بسـام، محمـد، **جبـل عامـل بيـن سـوريا الكبـرى ولبنـان الكبيـر ١٩١٨-١٩٢٠**، دار الكوكـب للتصميـم والطباعـة والنشـر، بيـروت، ط١، ٢٠١١.

- بعيـو، غانيـة، **التنظيمـات العثمانيَّـة وآثارهـا علـى الولايـات العربيَّـة**، مذكـرة لنيـل شـهادة الماجسـتير فـي التاريـخ الحديـث، ٢٠٠٨-٢٠٠٩، جامعـة الجزائـر، كليَّـة العلـوم الإنسـانيَّة والاجتماعيَّـة، قسـم التاريـخ.

- بنـوت، جهـاد، **حـركات النضـال فـي جبـل عامـل**، دار الميـزان، بيـروت، ط١، ١٩٩٣.

- بيضـون، أحمـد، **الصيغـة الميثـاق الدسـتور**، دار النهـار للنشـر، بيـروت، ط١، ٢٠٠٣.

- بيضـون، أحمـد، **الصـراع علـى تاريخ لبنـان**، منشـورات الجامعـة اللبنانيَّة، بيـروت، ١٩٨٩.

- بيهـم، محمـد جميـل، **النزعـات السياسـيَّة بلبنـان عهـد الانتـداب والاحتـلال ١٩١٨-١٩٤٥**، دار الأحـد، بيـروت، ١٩٧٧.

- بيهم، محمد جميل، **لبنان بين مشرق ومغرب ١٩٢٠-١٩٦٩.**

- الشـهيد الثانـي، زيـن الديـن بـن علـي، **الروضـة البهيَّـة فـي شـرح اللمعة الدمشـقيَّة**، انتشـارات داوري، قُـم، ١٤١٠هــ.

- الشـهيد الأول، محمـد بـن مكـي، **ذكـرى الشـيعة فـي أحـكام الشـريعة**، مؤسسـة آل البيـت لإحيـاء التـراث، قُـم، ط١، ١٤١٩هــ.

- الشـهيد الأول، محمـد بـن مكـي، **القواعـد والفوائـد، تحقيـق عبـد الهادي الحكيـم، مكتبـة المفيد، قُـم، ط١.**

- البديـري، أحمـد، **حـوادث دمشـق اليوميَّـة**، مطبوعات الجمعيَّـة المصريَّة للدراسـات التاريخيَّـة، القاهـرة، ط١، ١٩٥٩.

- البرزالي، القاسم بن محمد بن يوسف، **المقتــفي على الروضتين**، المكتبة العصريَّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.

- البـلاذري، أبـو العبـاس أحمـد بن يحيى بن جابر، **فتوح البلـدان**، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨.

- تدمـري، عمـر، **لبنـان مـن قيـام الدولـة العباسـيَّة حتـى سـقوط الدولـة الإخشـيديَّة**، دار جـروس بـرس، طرابلـس، ط١، ١٩٩٢.

- جابـر، علـي داود، **الحلقـة الضائعـة مـن تاريـخ جبـل عامـل**، دار الهـادي، بيـروت، ٢٠٠٥.

- حطيـط، أحمـد، **سـكان لبنـان فـي زمـن الحـروب الصليبيَّـة**، دار المحجـة البيضـاء، ط١، ٢٠١٠.

- حطيط، أحمد، **تاريخ لبنان الوسـيط ـ دراسـة في مرحلة الصراع المملوكي الصليبي**، منشورات دار البحار، بيروت، ط١، ١٩٨٦.

- حطيـط، أحمـد، **جبـل عامـل فـي قـرن ـ دراسـة فـي حوليَّـة حيـدر رضـا الركينـي**، دار المنتخـب العربـي، بيـروت، ١٩٩١.

- حقـي بـك، إسـماعيل، **لبنــان: مباحــث علميَّــة واجتماعيَّــة**، المطبعـة الأدبيَّــة، بيــروت، ١٩١٣.

- حمـادة، سـعدون، **الثـورة الشـيعيَّة فـي لبنـان**، دار النهـار للنشـر، بيروت، ط١، ٢٠١٢.

- حمـادة، سـعدون، **تاريـخ الشـيعة فـي لبنـان**، دار الخيّـال، بيـروت، ط١، ٢٠٠٨.

- حمـادة، محمـد، **تاريـخ الشـيعة في لبنـان وسـوريا والجزيرة فـي القرون الوسـطى**، ترجمـة محمـود الزّيـن، دار بهاء الديـن العاملي، بعلبـك، ٢٠١٣.

- حمود، سوزي، **لبنان في العصر الوسيط منذ العهد الراشدي إلى نهاية عهد المماليك**، دار النهضة العربيَّة، بيروت، ط٢، ٢٠١٠.

- حلّاق، حسان، **موقف لبنان من القضيَّة الفلسطينيَّة ١٩١٨-١٩٥٢**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط٢، ٢٠٠٢.

- حلّاق، حسان، **تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣-١٩٥٢**، دار النهضة العربيَّة، بيروت، ط٣، ٢٠١٠.

- حلّاق، حسان، **مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٩٣٦**، الدار الجامعيَّة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣.

- الحكيم، أنطوان، **من متصرفيَّة الجبل إلى دولة لبنان الكبير ١٩١٤-١٩٢٠**، الدار اللبنانيَّة للنشر الجامعي، ٢٠١٨.

- الحكيم، يوسف، **بيروت ولبنان في عهد آل عثمان**، دار النهار للنشر، بيروت، ط٤، ١٩٩١.

- الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، **أمل الآمل**، تحقيق أحمد الحسيني، مكتبة الأندلس، بغداد.

- ابن المطهر الحلّي، الحسن بن يوسف، **النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادي عشر**، دار الأضواء للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٩٦.

- ابن المطهر الحلّي، الحسن بن يوسف، **خلاصة الأقوال في معرفة الرجال**، مؤسسة النشر الإسلامي، قُم، ط١، ١٤١٧ هـ.

- الحميداوي، سعد، **أحمد الأسعد ودوره السياسي في لبنان ١٩٠٨-١٩٦١**، دار ناريمان للنشر والطباعة والتوزيع.

- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، ط١، ١٩٨٦.

- خاطر، لحد، **الانتخابات النيابيَّة في تاريخ لبنان**، منشورات دار لحد خاطر، بيروت، ١٩٩٦.

- خاطر، لحد، **عهد المتصرفين في لبنان ١٨٦١-١٩١٨**، منشورات الجامعة اللبنانيَّة، بيروت، ط١، ١٩٦٧.

- القباداياني، ناصر خسـرو، **سَـفَرْنامة**، ترجمة يحيى الخشّـاب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشـر، القاهـرة، ط١، ١٩٤٥.

- الخصيبــي، الحســين بــن حمــدان، **الهدايــة الكبــرى**، مؤسســة البــلاغ للطباعــة والنشــر والتوزيــع، بيــروت، ط٤، ١٩٩١.

- الخوانسـاري، محمـد باقـر الموسـوي، **روضـات الجنـات**، الـدار الإسـلاميَّة، بيـروت، ط١، ١٩٩١.

- درة، علـي، **الصـراع علـى المـدن الداخليَّـة في الحـروب الصليبيَّة ـ بعلبك أنموذجًا**، ط١، ٢٠١٤.

- درويـش، علـي إبراهيـم، **جبل عامل بيـن ١٥١٦ – ١٦٩٧ الحياة السياسـيَّة والثقافيَّـة**، دار الهادي، بيـروت، ط١، ١٩٩٣.

- ابن ناصر الدّين الدمشـقي، محمد بن عبدلله، **توضيح المشـتبَه**، مؤسسـة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٣.

- الدويهي، البطريرك اسطفان، **تاريخ الأزمنة**، دار لحد خاطر، بيروت، ط٣.

- الذهبـي، محمـد بـن أحمـد، **تاريـخ الإسـلام**، دار الكتـاب العربـي، بيروت، ط٢، ١٩٩٣.

- الذهبـي، محمد بن أحمد، **سِـيَر أعـلام النبلاء**، دار الحديـث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦.

- الذهبـي، محمـد بن أحمد، **ميـزان الاعتدال**، دار المعرفة للطباعة والنشـر، بيروت، ط١، ١٩٦٣.

- رزق، رامـز، **التاريـخ الحضـاري والسياسـي للشـيعة فـي لبنـان**، دار الولاء، بيـروت، ط١، ٢٠١٧.

- رزق، رامز، **جبل عامل تاريخ وأحداث**، دار الهادي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

- رزق، هـدى، **لبنـان بيـن الوحـدة والانفصـال ١٩١٩-١٩٢٧**، بيسـان للنشـر والتوزيـع، بيـروت، ط١، ١٩٩٨.

- رسـتم، أسـد، **لبنـان فـي عهـد المتصرفيَّـة**، دار النهـار للنشـر، بيـروت، ١٩٧٣.

- رعد، ليلى، **تاريخ لبنان السياسي والاقتصادي ١٩٥٨-١٩٧٥**، مكتبة السائح، طرابلس، ط١، ٢٠٠٥.

- رماني، ماجدة، **الانتداب الفرنسي على لبنان ١٩٢٠-١٩٤٦**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، السنة الجامعيَّة ٢٠١٥-٢٠١٦، جامعة محمد خيضر بسكرة، كليَّة العلوم الانسانيَّة والاجتماعيَّة ـ قطب شتمة، شعبة تاريخ.

- الراسي، سلام، **الناس أجناس**، دار نوفل، بيروت، ط٢، ٢٠٠٥.

- الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢.

- الزّين، علي، **فصول من تاريخ الشيعة في لبنان**، دار الكلمة للنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٩.

- سبط ابن الجوزي، أبو المظفر يوسف، **مرآة الزمان في تواريخ الأعيان**، دار الرسالة العالميَّة، دمشق، ط١، ٢٠١٣.

- سبيتي، مصطفى، **الحياة الفكريَّة للأقليات المذهبيَّة في لبنان في العهد المملوكي**، دار المواسم، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.

- سويد، ياسين، **موسوعة تاريخ لبنان ـ القائمقاميّتَين**، دار نوبليس، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.

- السبحاني، جعفر، **بحوث في الملل والنحل**، مؤسسة النشر الإسلامي، قُم، ط٢، ١٤١٣هـ.

- السبحاني، جعفر، **المناهج التفسيريَّة في علوم القرآن**، مؤسسة الإمام الصادق، ط٤، ١٤٣٢ هـ.

- السبحاني، جعفر، **العقيدة الإسلاميَّة على ضوء مدرسة أهل البيت**، مؤسسة الصادق، قُم، ط١، ١٤١٩ هـ.

- السخاوي، شمس الدين، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار مكتبة الحياة، بيروت.

- السيف، توفيق، **نظريَّة السلطة في الفقه الشيعي**، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٢، ٢٠١٤.

- السّيوطي، جلال الدين، **تاريخ الخلفاء**، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.

- شـرارة، وضّـاح، **الأمّــة القلقـة ـ العامليـون والعصبيَّـة العامليَّـة على عتبة الـدول**، دار النهـار، بيـروت ١٩٩٦.

- شـرف الديـن، عبـد الحسـين، **بغيـة الراغبيـن فـي سلسـلة آل شـرف الديــن**، دار المــؤرخ العربــي، بيــروت، ط١، ٢٠٠٦.

- شـريعتي، روح اللـه، **قواعـد الفقـه السياسـي**، مركز الحضـارة لتنمية الفكر الإسـلامي، سلسـلة الدراسـات الحضاريَّة، بيروت، ط١، ٢٠١٧.

- شـعيب، علـي، **تاريـخ لبنـان مـن الاحتـلال إلـى الجـلاء ١٩١٨-١٩٤٦**، دار الفارابـي، بيـروت، ط١، ١٩٩٠.

- شـعيب، علــي، **مطالــب جبــل عامــل، الوحــدة والمســاواة فــي لبنــان الكبيــر**، المؤسســة الجامعيَّــة للدراســات والنشــر والتوزيــع، بيــروت، ط١، ١٩٨٧.

- الشـدياق، طنوس بن يوسـف، **أخبار الأعيان في جبل لبنان**، مطابع سَـمْيا، بيروت، ١٩٥٤.

- الشريف المرتضى، علي بن الحسين، **الرسائل**، دار القرآن، قُم، ١٤٠٥هـ.

- الشـريف المرتضـى، علـي بـن الحسـين، **الشـافي فـي الإمامـة**، مؤسسـة الصـادق، طهـران، ط٢، ١٤١٠هـ.

- الشـلبي، تمـارا، **شـيعة جبـل عامـل ونشـوء الدولـة اللبنانيَّـة**، دار النهـار للنشـر، بيـروت، ط ١، ٢٠١٠.

- الشهرسـتاني، أبـو الفتح، **الملـل والنحل**، دار الكتب العلميَّـة، بيروت، ط١، ١٩٩٠.

- الشـيباني، زهـرة، **آل الحرفـوش فـي بعلبـك**، رسـالة تقدمـت بهـا الطالبـة لنيـل شـهادة ماجسـتير، اشـراف الدكتـور متعب الريشـاوي، جامعـة المثنّى كليَّـة التربيـة للعلوم الإنسـانيَّة قسـم التاريـخ، العـراق، ٢٠١٨.

- صادقـي (غلامـي)، علـي، **الشـهيد الثانـي زيـن الديـن الجبعـي العاملـي**، ترجمـة وتحقيـق كمـال السـيد، مؤسسـة أنصاريـان، قُـم، ط١، ١٩٩٥.

- صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، المطبعة الكاثوليكيَّة، بيروت، ط٢، ١٩٢٧.

- الصدر، حسن، **تكملة أمل الآمل**، مكتبة آية الله المرعشي، قُم، ١٤٠٦هـ.

- العباسي الصفدي، الحسن بن عبدالله، **نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك**، المكتبة العصريَّة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.

- صليبا، لويس، **لبنان الكبير! أم لبنان خطأ تاريخي!**، دار ومكتبة بيبليون، جبيل، ط٢، ٢٠١٦.

- الصليبي، كمال، **تاريخ لبنان الحديث**، دار النهار للنشر، بيروت، ط٧، ١٩٩١.

- الصليبي، كمال، **منطلق تاريخ لبنان**، دار نوفل، بيروت، ط٢، ١٩٩٢.

- ضاهر، عدنان وغنام، رياض، **المعجم النيابي اللبناني**، دار بلال للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٧.

- ضاهر، عدنان وغنام، رياض، **المعجم الوزاري اللبناني**، دار بلال للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٨.

- طرابلسي، فواز، **تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف**، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٨.

- طربين، أحمد، **لبنان منذ عهد المتصرفيَّة إلى بداية الانتداب**، معهد البحوث والدراسات العربيَّة، محاضرات ألقاها الدكتور طربين على طلبة قسم الدراسات التاريخيَّة، ١٩٦٨.

- طه، غسان، **شيعة لبنان ـ العشيرة ـ الحزب ـ الدولة (بعلبك ـ الهرمل نموذجًا)**، معهد المعارف الحكميَّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.

- الطاهري، حمدي، **سياسة الحكم في لبنان تاريخ لبنان من الانتداب حتى الحرب الأهليَّة ١٩٢٠-١٩٧٦**، منشورات اسمار، باريس، ط٢، ٢٠٠٦

- الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الأمم والملوك**، دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ

- الطوسيّ، أبو جعفر محمد بن الحسن، **تلخيص الشافي**، مؤسسة انتشارات المحبين، قُم، ط١، ١٣٨٢ هـ.

- الطوسيّ، أبو جعفر محمد بن الحسن، **الغيبة**، مؤسسة المعارف الإسلاميَّة، قُم، ط١، ١٤١١ هـ.

- عبد الرحيم، أحمد، **الصراع بين الأخباريين والأصوليين داخل المذهب الشيعي الاثنا عشري**، تكوين للدراسات والأبحاث، ط٢، ٢٠١٥.

- عبوشي، صلاح، **تاريخ لبنان الحديث من خلال ١٠ رؤساء حكومة**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٩.

- عجمي، فؤاد، **الإمام المغيب موسى الصدر وشيعة لبنان**، دار الأندلس، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

- عريضة، انطوان، **لبنان وفرنسا**، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٨٧.

- عيد، عاطف، **لبنان تاريخ سياسة وحضارة بين الأمس واليوم**، ١٩٩٨.

- العسيري، أحمد، **موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر**، الرياض، ط١، ١٤١٧ هـ.

- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، مجلس دائرة المعارف العثمانيَّة، حيدر أباد، ط٢، ١٩٧٢.

- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، **إنباء الغمر بأبناء العمر**، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة، مصر، ١٩٦٩.

- العيني، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى، **عقد الجُمان في تاريخ أهل الزمان ـ عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٧١٢ هـ)**، مطبعة دار الكتب الوثائق القوميَّة، القاهرة، ٢٠١٠.

- غريب، حسن، **نحو تاريخ فكري ـ سياسي لشيعة لبنان**، دار الكنوز الأدبيَّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠.

- الغزي، عبد الحليم، **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٧.

- فتوني، علي، **تاريخ لبنان الطائفي**، دار الفارابي، بيروت، ط١، ٢٠١٣.

- فحـص، هانــي، **الشـيعة بيــن الاجتمــاع والدولــة**، دار سـائر المشــرق، جديــدة المتــن، ط١، ٢٠١٥.

- فيـاض، نـدى، **الدولـة المدنيَّـة تجربـة فـؤاد شـهاب فـي لبنـان**، منتـدى المعـارف، بيـروت، رسـالة ماجسـتير، ط١، ٢٠١١.

- فيـاض، نـوال، **صفحـات مـن تاريـخ جبـل عامـل فـي العهديـن العثمانـي والفرنسـي**، دار الجديـد، بيـروت، ط١، ١٩٩٨.

- الفراهيـدي، أبـو عبد الرحمن الخليل بن أحمـد، **العين**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١.

-الفقيـه، محمـد تقـي، **جبـل عامل فـي التاريـخ**، دار الأضواء، الغبيـري، ط٢، ١٩٨٦.

- **القرآن الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- القزوينـي، جـودت، **المرجعيَّـة الدينيَّـة العليـا عنـد الشـيعة الإماميَّـة**، دار الرافديـن، بيـروت، ط١، ٢٠٠٥.

- القلقشـندي، أبـو العبـاس، **صُبْـح الأعشـى**، دار الكتـب العلميَّـة، بيـروت، ٢٠١٢.

- الصـدوق، محمـد بـن بابويـه، **عيـون أخبـار الرضـا**، مؤسسـة الأعلمـي للمطبوعـات، بيـروت، ط١، ١٤٠٤ هــ.

- كحالة، عمر، **معجم المؤلفين**، مكتبة المثنى، بيروت.

- كرد علي، محمد، **خطط الشام**، مكتبة النوري، دمشق.

- كوثرانـي، وجيـه، **الفقيـه والسـلطان**، المركـز العربـي للأبحـاث ودراسـة السياسـات، بيـروت، ط٤، ٢٠١٥.

- الكركي، علي بن الحسـين، **جامع المقاصد في شـرح القواعد**، مؤسسـة آل البيت لإحيـاء التراث، قم، ط١، ١٤٠٨هـ.

- لونغريـغ، سـتيفان، **تاريـخ سـوريا ولبنـان تحـت الانتـداب الفرنسـي**، دار الحقيقـة، بيـروت، ط١، ١٩٧٨.

- ماجـد، ماجـد، **تاريـخ الحكومـات اللبنانيَّـة ١٩٢٦-١٩٩٦**، التنضيـد الإلكترونـي مؤسسـة كلمـات كومبيوتـر ط١، ١٩٩٧.

- مجموعـة باحثيـن، **الشـيعة فـي لبنـان مـن التهميـش إلـى المشـاركة الفاعلـة**، دار المعـارف الحكميَّـة، حـارة حريـك، ط١، ٢٠١٢.

- محمـود، شـفيق، **المماليـك البحريَّـة وقضاؤهم على الصليبين في الشـام**، الجامعة الإسـلاميَّة بالمدينة المنورة، السـنة ٢١، العددان ٨١، ٨٢، ١٤٠٩ هـ.

- مختـار، عمـر أحمـد، **معجـم اللغـة العربيَّة المعاصـرة**، عالم الكتـب، ط١، ٢٠٠٨.

- معطـي، علـي، **تاريـخ لبنـان السياسـي والاجتماعـي**، مؤسسـة عـز الديـن للطباعـة والنشـر، بيـروت، ط١، ١٩٩٢.

- مكّـي، محمـد علـي، **لبنـان مـن الفتـح العربـي إلى الفتـح العثمانـي**، دار النهـار للنشـر، بيـروت، ط٥، ٢٠٠٦.

- مكّـي، محمـد علـي، **السياسـة الشّـيعيَّة فـي لبنـان مـن القـرن الـ١١ إلى القـرن الـ١٤**، ندوة مـن ندوات متفرّقة جُمعت تحت «عنوان حلقة دراسـيَّة حول عاشـوراء»، بيـروت، ١٩٧٤.

- **منـار الهـدى ـ دروس تمهيديَّـة في المعـارف الإسـلاميَّة**، جمعيَّة المعارف الإسـلاميَّة، بيروت، ط١، ٢٠١٤.

- منــذر، كمــال، **نظــام الإدارة فــي جبــل لبنــان فــي أثنــاء مرحلــة القائمقاميّتَيــن**، دراسـة دكتـوراه، جامعــة دمشــق كليَّــة الآداب قســم التاريــخ، ٢٠٠٠.

- ميرفـان، صابرينـا، **حركـة الإصـلاح الشـيعي**، دار النهـار للنشـر، بيـروت، ط١، ٢٠٠٣.

- المُحبّـي، محمـد أميـن بـن فضـل اللـه، **خلاصـة الأثـر فـي أعيـان القـرن الحـادي عشـر**، دار صـادر، بيـروت.

- المظفـر، محمـد رضا، **عقائد الإماميَّة**، مؤسسـة أنصاريان للطباعة والنشـر، قُم، ط١٢.

- المفيـد، محمـد بـن محمـد بـن النعمـان، **أوائـل المقـالات**، دار المفيـد للطباعـة والنشـر والتوزيـع، بيـروت، ط٢، ١٤١٤هــ.

- المقدسـي، أبـو محمـد، **أحسـن التقاسـيم فـي معرفـة الأقاليـم**، مكتبـة مدبولـي، القاهـرة، ط٣، ١٩٩١.

- المقريـزي، تقي الدّين، **السـلوك لمعرفة دول الملـوك**، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط١، ١٩٩٧.

- المقريـزي، تقـي الديـن، **المواعـظ**، دار الكتـب العلميَّـة، بيـروت، ط١، ١٤١٨هـ.

- المهاجر، جعفر، **التأسـيس لوجود الشـيعة في لبنان وسـوريا**، دار الملاك، بيروت، ١٩٩٢.

- المهاجـر، جعفـر، **شـيعة لبنـان والمنطلـق الحقيقـي لتاريخـه**، دار بهـاء الديـن العاملـي للنشـر والتوزيـع، بعلبـك، ط١، ٢٠١٣.

- المهاجـر، جعفـر، **الكرك حاضـرة علميَّة**، المستشـاريَّة الثقافيَّة للجمهوريَّة الإسـلاميَّة الإيرانيَّـة فـي بيـروت، المؤتمـر الدولـي حـول العلّامـة المحقّـق الكركي.

- المهاجـر، جعفـر، **الشـهيد الأول محمـد بن مكّـي الجزّينـي باعث النهضة فـي لبنـان**، دار بهـاء الدين العاملي للنشـر، بعلبّـك، ٢٠١٤.

- النوبختي، الحسن بن موسى، **فِرَق الشيعة**، دار بيبليون، باريس، ٢٠٠٨.

- النويـري، شـهاب الدين، **نهاية الأرب في فنـون الأدب**، دار الكتب والوثائق القوميَّة، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ.

- وينتـر، سـتيفان، **الشـيعة في لبنـان تحت الحكم العثمانـي**، ترجمة محمد حسـين المهاجر، منشـورات جامعة كامبريدج، بيروت، ط١، ٢٠١٦.

- وينتـر، سـتيفان، **دراسـتان علـى تاريـخ الشـيعة فـي جبـل لبنـان**، ترجـم بإشـراف جعفـر المهاجـر، دار بهـاء الديـن العاملـي للنشـر.

- وينتـر، سـتيفان، **الشـيعة فـي لبنـان تحـت الحكـم العثمانـي**، منشـورات جامعـة كامبريـدج، بيـروت، ط١، ٢٠١٦.

- ياغـي، أكـرم، **قوانيـن الأحـوال الشـخصيَّة لـدى الطوائـف الإسـلاميَّة والمسـيحيَّة**، مكتبـة زيـن الحقوقيَّـة والأدبيَّـة، بيـروت ط٤، ٢٠٢١.

- اليعقوبـي، أبـو العبـاس أحمـد بـن إسـحاق، **البلـدان**، دار الكتـب العلميَّة، بيـروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

-اليونينـي، قطـب الديـن أبـو الفتـح موسـى بـن محمـد، **ذيـل مـرآة الزمان**، دائـرة المعـارف العثمانيَّـة، الهنـد، ط١، ١٩٥٤.

مواقع إلكترونيَّة ودوريات

- موقع الجزيرة الوثائقيَّة.
- موقع الخيام.
- مجلة الدراسات الفلسطينيَّة.
- موقع الديار.
- موقع الشراع.
- موقع الشهريَّة.
- موقع عربي٢١.
- موقع مجلس النواب.
- موقع مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات.
- موقع مصدر ديبلوماسي.
- موقع مكتبة مدرسة الفقاهة.
- موقع مكتبة نور.
- موقع مؤسسات الإمام الصدر.
- مجلة الشراع.
- مجلة كليَّة التربية (واسط).
- جريدة الديار.
- جريدة النهار.

مصادر الصُّوَر ومراجعها

- حيـدر أحمـد، علـي راغـب، **إمـارة الحرافشـة بيـن عامـي ١٤٥٠-١٨٦٠ (فصـول مـن تاريـخ الشـيعة)**، دار الـولاء، بيـروت، ط١، ٢٠٢١.

- آل الجندي، أدهم، **شهداء الحرب العالميَّة الكبرى**، ١٩٦٠.

- البابا، محمد كامل، **طرابلس في التاريخ**، جروس برس، ط١، ١٩٩٥.

- جحـا، شـفيق، **المصـوّر فـي تاريـخ لبنـان**، ج١١، دار العلـم للملاييـن، بيـروت، ط١، ١٩٥٩.

- الجبيـل، مهنـا، **فكـر النهضـة والصـراع حـول ابـن تيميَّـة**، موقـع العربـي الجديـد، ١٤ أيلـول ٢٠٢٠، تاريـخ الدخـول ٣١ آذار ٢٠٢٣، سـاعة الدخـول ١٦:٢٨.

- حبحـاب، صافـي عبـد المرتضـى، **عيـن قانـا قريـة... وتاريـخ**، دار الخلـود، بيـروت، ط١، ٢٠٠٠.

- حمـادة، سـعدون، **تاريـخ الشـيعة فـي لبنـان**، المجلـد ١-٢، دار الخيـال، بيـروت، ط٢، ٢٠١٣.

- سـويد، ياسـين، **موسـوعة تاريـخ لبنـان - التاريـخ السياسـي والعسـكري**، ج ٥، دار نوبليـس، بيـروت، ط١، ٢٠٠٤.

- صفوة، نجدة فتحي، **مذكرات رستم حيدر**، الدار العربيَّة للموسوعات، بيروت، ط١، ١٩٨٨.

- ضاهر، عدنان وغنام، رياض، **المعجم النيابي اللبناني**، دار بلال للطباعة والنشر، ط١، ٢٠٠٧.

- عوض، حنا، **بعلبك في التاريخ**، بعلبك، ١٩٧٢.

- فارس، وليد، **التعدديَّة في لبنان**، مركز البحوث للتنمية والسلام، الكسليك، لبنان، جامعة الروح القدس، ط٢، ٢٠٠٧.

- قلعجي، قدري، **أبو ذر أول ثائر من الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧٣.

- لعيبي، شاكر، **كتاب تصاوير الإمام علي ـ مراجعها ودلالاتها التشكيليَّة**، رياض الريس للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١١.

- ميرفان، صابرينا، **حركة الإصلاح الشيعي**، دار النهار للنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.

- جابر، منذر، **يوسف بك الزين من جبل عامل الى الجنوب اللبناني**، مكتبة أنطوان، بيروت، ط١ ٢٠٢٢.

- هاشم، وهب محسن، **التاريخ المشرق للشيخ ناصيف نصار العاملي قائدًا وشهيدًا**، مركز إحياء التراث العاملي، بيروت، ط١، ٢٠١٨.

- De la montagne du Liban a la Bastide royale de fleurance.

- Les libanais et la vie au liban de l independance a la guerre 1943-1975.

- **Prise de Tripoli 1100**, Collections des musées de France (Joconde), Référence 000PE004409, Le ministère de la Culture francaise.

الدّوريّات

- مجلة الأمن العام
- مجلة العرفان
- الموسوعة التفاعلية الفلسطينيَّة

مواقع إلكترونيَّة

- موقع الجيش اللبناني
- موقع تقريب الإلكتروني
- موقع مدونة جبل عامل الإلكتروني